

المــملــكة الـعــربيــة السـعـوديــة
وزارة الـتـعـلــيــم الــعــالـــي
جـــامــعـــة أم الـــقـــرى
كـلـية الشريعة والدراسات الإسلامية
قــســـم الـــتـــاريـــخ

أثر المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعدادالطالبة:
عواطف أحمد عاطي الصاعدي

الرقم الجامعي:
٤٢٩٨٠٢٢١

إشراف الأستاذ الدكتور:
سعد عبد الله البشري

لـعـــا م ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخّصُ البحثِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد:

فهذا بحث عنوانه (أثر المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) تقدمت به لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يقع في ثلاثة فصول، تسبق بمقدمة، وتمهيد. فاحتوت المقدمة على أهمية الموضوع وتكمن في أن دراسة العلاقات العلمية التي ربطت مكة المكرمة بالأمصار الإسلامية المختلفة، وتأثير تلك العلاقات على الحياة العلمية لمكة لم تحظَ بالقدر الكافي من عناية الباحثين واهتمام الدارسين، وكذلك احتوت المقدمة على أسباب اختيار الموضوع ومن أهمها أن فترة الدراسة- القرنين الخامس والسادس الهجريين – قد برز فيه التنافس السياسي في مكة على الحكم، ومدى تأثير ذلك على الحياة العلمية، وشملت المقدمة عرض لأهم مصادر البحث.

وقد تناول التمهيد الحياة العلمية في مكة قبيل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وتناول الفصل الأول العوامل المؤثرة في الحياة العلمية في مكة، ويندرج تحته مبحثين، الأول الأحوال العامة في مكة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ويتحدث عن الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. أما المبحث الثاني فتطرق إلى عوامل ازدهار الحركة العلمية في مكة، حيث تضافرت عدة عوامل، وهي: المسجد الحرام، والحج، والمجاورون، والرحلة العلمية، والأوقاف.

وأما الفصل الثاني فهو العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وأقاليم المشرق الإسلامي، ويحتوي على سبعة مباحث، حيث اختص كل مبحث باقاليم معينة، على الترتيب التالي: العراق، فارس، الري والجبال وطبرستان، جرجان وخراسان، بلاد ماوراء النهر وخوارزم، سجستان، الهند.

واختص الفصل الثالث بأوجه التأثير العلمي للمشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة، وجاء هذا الفصل في مبحثين، هما تطور الحركة العلمية واتساعها، من حيث نهضة التعليم وتعدد مراكزه، كالكتاتيب، والمساجد، وحلقات العلم في الأربطة، والمدارس، ومجالس العلماء، وتحدث أيضًا عن الإجازات العلمية، والمكتبات والوراقين، والأسر العلمية. أما المبحث الثاني فكان عن نشاط العلوم والآداب، فتناول العلوم الشرعية من قراءات، وتفسير، وحديث، وفقه، بالإضافة إلى العلوم اللغوية والآداب كالنحو والأدب، ثم العلوم الاجتماعية مثل التاريخ والجغرافيا والرحلات، وأخيرًا العلوم التطبيقية والبحته،كالطب، والحساب، والفلك. وكل ذلك من خلال إسهامات علماء المشرق الإسلامي.

واختتم البحث بالخاتمة التي تناولت أهم النتائج المتوصل إليها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة	المشرف	عميد كلية الشريعة
عواطف بنت أحمد الصاعدي	أ.د. سعد بن عبدالله البشري	د.غازي بن مرشد العتيبي

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace on the best of the prophets and messengers, Prophet Muhammad and upon his family and companions divine good. After:

This study entitled "The Effect of Mashreq Al Islami on the Scientific Life in Holy Makkah during the Fifth & Sixth Hijri Centuries". I submitted this study in order to obtain the master degree in Islamic History.

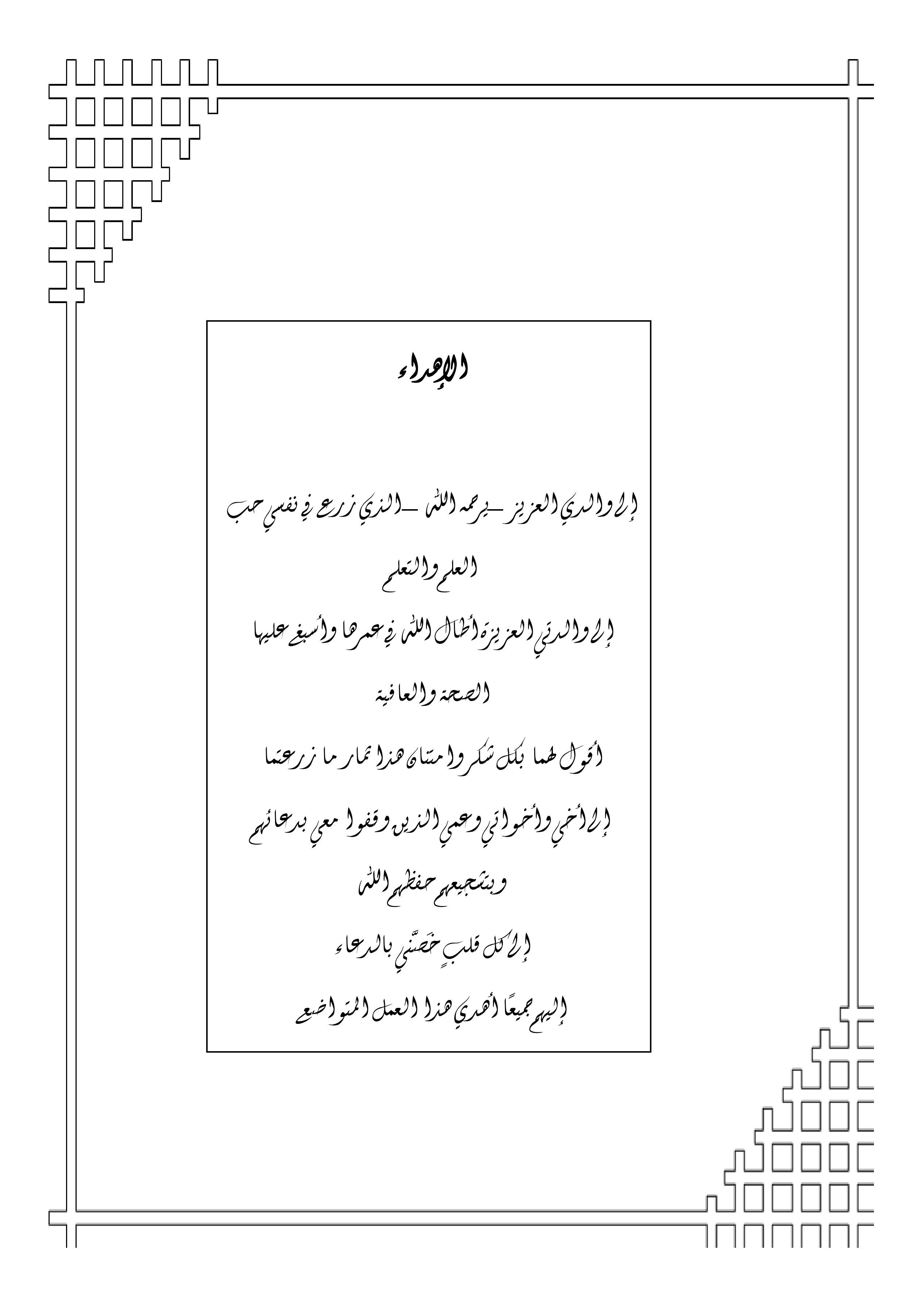
This research consists of an introduction, preface and three chapters. As for the introduction, it has the importance of the theme, which lies on studying the scientific relationship between Holy Makkah and the different Islamic countries. Researchers didn't pay attention to the effect of such relationship on the scientific life of Holy Makkah. Furthermore, the introduction has the reasons of selecting the theme, from which is that the political competition has emerged during such period. The introduction also contains the most importance resources of the research.

As for the preface, it has the scientific level in Holy Makkah before the fifth Hijri century. As for the first chapter, it deals with the factors that affecting scientific life in Holy Makkah. It contains two searches; the first is about the general conditions in Holy Makkah during the fifth and sixth Hijri centuries. It deals with the religious, political, economic and social conditions. As for the second search, it deals with the factors of promoting the scientific trend in Holy Makkah, as many factors have been combined; the Grand Mosque, Hajj, neighbors,scientificjourneysandendowments.

Concerning the second chapter, it is about the scientific relationship between Holy Makkah & the regions of Mashreq Al Islami. It has seven searches, whereas each search is concerned with specific regions on the following basis; Iraq, Persia, irrigation and mountains and Tabaristan, Gorgan and Khorasan, countries beyond the river and Khorezm, Sajistan, India. The third chapter focused on the aspects of the scientific effect of Mashreq Al Islami on scientific life of Holy Makkah. It consists of two searches; the first is about the development of scientific movement, in terms of renaissance of education, multiplicity of education centers, libraries and scientific families. As for the second search, it is about the science and arts activity. It deals with the legal sciences in terms of various readings of the Holy Q2uran, Islamic Exegesis, prophet's traditions and Islamic jurisprudence, as well as the linguistic sciences such as syntax and literature, then social sciences such as history and geography and finally the applied sciences such as medicine, calculation and astronomy. All of this via the contributions of Mashreq Al Islami scholars.

I have concluded the research with the conclusion, which has the most important results.

Researcher	Supervisor	Dean of the College
Awatef A. Al-Saedi	Prof.Dr. Saad A. Al-Bishri	Dr. Ghazi M. Al-Otaibi



الإهداء

إلى والدي العزيز – يرحمه الله – الذي زرع في نفسي حب العلم والتعلم

إلى والدتي العزيزة أطال الله في عمرها وأسبغ عليها الصحة والعافية

أقول لهما بكل شكر وامتنان هذا ثمار ما زرعتما

إلى أخي وأخواتي وعمي الذين وقفوا معي بدعائهم وبتشجيعهم حفظهم الله

إلى كل قلبٍ خصّني بالدعاء

إليهم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

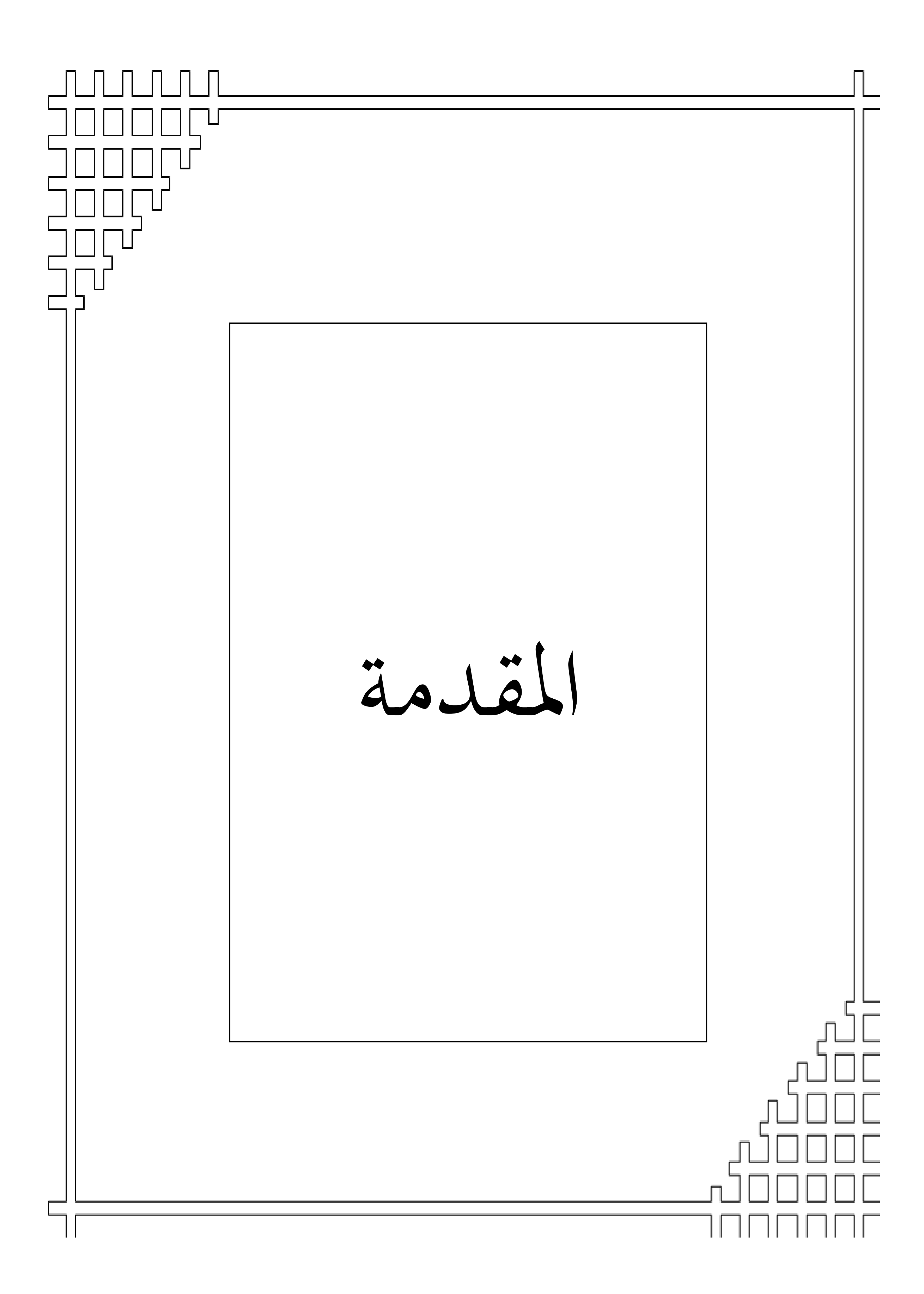
من المعلوم أن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، لذلك أصبح لزامًا وواجبًا عليَّ بعد أن انتهيت من إعداد هذا البحث أن أذكر لأهل الفضل فضلهم ممن أسدى إليَّ معروفًا في سبيل إعداد هذه الدراسة وإخراجها إلى حيز الوجود.

فأول من يستحق الشكر هو أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله البشري الذي تولى مهمة الإشراف على هذا البحث فكان مساندًا لي بعلمه ووقته وجهده، حرصًا منه على أن يكون هذا البحث أقرب إلى الكمال.

وثاني من يستحق الشكر والتقدير سعادة الدكتورة الفاضلة هدى عثمان أستاذة التاريخ الحديث في جامعة الملك عبد العزيز التي يعود لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في مواصلة دراستي العليا بتشجيعها وتحفيزها لي، للمضي قدمًا في هذا المنوال.

والشكر موصول لهذا الصرح العلمي جامعة أم القرى، وأخص منها مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وكذلك مكتبة الحرم المكي الشريف وجميع القائمين عليهما بما وفروه من مصادر ومراجع علمية التي استند إليها البحث، ليخرج بهذا الشكل النهائي.

كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان للمناقشين الفاضلين الأستاذ الدكتور مريزن سعيد عسيري، والأستاذة الدكتورة لمياء أحمد شافعي على قبولهما مناقشة الرسالة وتقويمها، وإسداء الملاحظات والتوجيهات البناءة ، فلهما مني كل تقدير ودعاء.



المقدمة

إن الحمـد لله، نحمـده، ونسـتعينه، ونسـتغفره، ونعـوذ بـالله مـن شـرور أنفسـنا ومـن سـيئات أعمالنـا، مـن يهـدي الله، فـلا مضـلَّ لـه، ومـن يُضـلل، فـلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد فإن هذه الدراسة تتناول أثر المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

هذا الموضوع كما هو واضح من عنوانه محدود بإطار زمني ومكاني، فإطاره الجغرافي مكة المكرمـة، أمـا إطـاره الـزمني القـرنين الخـامس والسـادس للهجرة/الحـادي عشـر والثـاني عشـر الميلاديين.

إن من الأسس التي نادى بها الدين الإسلامي، وحث عليها طلب العلم، وكان هذا حافزًا قويًا جعـل المسـلمين يرتحلـون في طلبـه وتحصـيله ، وهـذا بـدوره أدى إلى نمـو وازدهـار العلـم في مختلف الأقطار الإسلامية، ومنها مكة المكرمة ومدن المشرق الإسلامي.

فنجد أن مكة قد توفرت فيها عدة عوامل ساهمت في رقيها العلمي، حيث أن مكة قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم ومقصد حَجِّهـم، ولذا كانت مكة نقطة التقاء ومركز تجمعٌ لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ولهذا كانت من أقوى المراكز العلمية في علوم الشريعة، واللغة العربية، والتاريخ بين تلك الأقطار، وكانت حلقة وصل بين علماء الأمصار الإسلامية في شرق البلاد وغربها، وشمالها وجنوبها.

وبالرغم مما أصاب الدولة الإسلامية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من انقسام وضعف من الناحية السياسية، وذلك لأن الخلافة العباسية قد تراخت قبضتها على الأطراف منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبدأ نفوذها ينحسر عن أقاليم الدولة وأطرافها، إلا أن الحركة العلمية في هذين القرنين المعنيين بالدراسة كانت تسير قدمًا، ولم تتأثر بالأحوال السياسية، فقد انتشرت الأربطة، وأنشئت المدارس، وبلغ التصنيف والتأليف أوجه في كافة العلوم والمعارف.

فإذا نظرنا إلى الناحية السياسية لمكة في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، سنجد أنها كانت محل نزاع بين الخلافتين العباسية السنية والفاطمية الشيعية، حيث كانت كلتا الخلافتين تسعى جاهدة لأن يذكر اسمها على منبر الحرم المكي؛

وذلك لإضافة الصفة الشرعية لخلافتيهما، ولذا نرى أن الدعوة في مكة كانت تتأرجح ما بين عباسية وفاطمية، وذلك تبعًا لمدى ما تتمتع به احداهما من نفوذ وقوة أكثر من الأخرى، وقد استمر الوضع كذلك حتى تمكن صلاح الدين الأيوبي من إسقاط الخلافة الفاطمية في مصر وذلك سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م.

أما إذا نظرنا إلى العالم الإسلامي، فسنجد أن الخلافة العباسية قد فقدت حكمها المركزي، وحلت اللامركزية حيث حكم الولاة ولاياتهم حكمًا مستقلاً، وارتبطوا بالخلافة بروابط اسمية. ومن هنا قامت الدول المستقلة في مشرق الدولة ومغربها، ومن أهم هذه الدول التي قامت في المشرق: البويهية (٣٢٠- ٤٤٧هـ/ ٩٣٢- ١٠٥٥م) في فارس والعراق، والغزنوية (٣٥١- ٥٥٥هـ/ ٩٦٢- ١١٦٠م) في خراسان، والسلجوقية (٤٤٧-٥٩٠هـ/ ١٠٥٥- ١١٩٤م) في بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس، والخوارزمية (٥٩٠- ٦٢٨هـ/ ١١٩٤- ١٢٣١م) في خوارزم.

ولكن بالرغم من كل تلك الاضطرابات السياسية إلا أن ذلك لم يقف حجر عثرة أمام اتصال علماء المشرق الإسلامي بمكة، فنجدهم يقطعون آلاف الأميال في سبيل الوصول إلى مكة المكرمة للحج والمجاورة وطلب العلم.

ولاشك أن موضوع الدراسة يستمد أهميته إذا ما أدركنا أن أغلب الدراسات التاريخية قد أنصبت على تاريخ مكة المكرمة منذ عهد النبي ﷺ، وحتى منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. ثم بدأ هذا الاهتمام يتضاءل، حيث نجد أن الدراسات التالية قد ركزت على الأحوال الدينية، وقلما أشارت إلى الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمكة المكرمة. وأما القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين فلم تحظَ مكة المكرمة بما يتناسب وأهميتها بعناية المؤرخين.

كما نجد أن الباحثين في العصور المتأخرة أدركوا أهمية دراسة الحياة العلمية لمكة المكرمة، في حين أنهم لم يدركوا أهمية دراسة العلاقات العلمية التي ربطت مكة المكرمة بالأمصار الإسلامية المختلفة، وتأثير تلك العلاقات على الحياة العلمية لمكة، كما أن هذه العلاقة لم تؤثر على الحياة العلمية فحسب، بل أثرت أيضًا على الحياة الاجتماعية.

ولقد كان من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو توجيه أستاذي الدكتور سعد عبد الله البشري – حفظه الله – إلى دراسة العلاقات العلمية بين مكة والمشرق

الإسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين؛ لتكون تتمةً لدراسة الزميلة الباحثة منى سعود الحربي حيث أن دراستها عن العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع الهجري، ولكن الفترة التي ستتناولها الدراسة تعتبر من أزهى الفترات للمشرق الإسلامي، وذلك نظرًا لما يتميز به من تقدم حضاري ملحوظ، وخاصة في مجال العلوم والمعارف، وقد أثر ارتحال العلماء من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة على الحياة العلمية في مكة، ونتيجة لذلك كان من الأولى دراسة أثر المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

كما أن هذه الفترة – القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين– قد برزت فيها عدد من القوى السياسية في مكة المكرمة التي ما فتئت تتنافس فيما بينها على الحكم. وهذا ما ظهر بوضوح من خلال التنافس الطويل الذي دار بين العباسيين والفاطميين من جهة ، وبين أشراف مكة من جهة أخرى، ثم أخيرًا وصول الأيوبيين إلى مكة بعد قضائهم على الدولة الفاطمية في مصر، وهكذا كان الصراع السياسي على أشده في هذين القرنين ، ومن ثم فإن البحث في هذا المجال– العلاقة العلمية – سيوضح لنا طبيعة الحياة العلمية في مكة ووضعها ، عن طريق تقديم صورة واضحة عن العلم والتعليم ومراكزه المتعددة، ومخرجاته في مكة المكرمة، وهل تأثرت بمجريات هذه الأحداث السياسية أم لا ؟ وهل كان لمكة دور علمي مثل غيرها من المدن الإسلامية أم أن تلك الأحداث أثرت عليها ؟ وهل كان هناك علاقة علمية حقًا بين مكة والمشرق الإسلامي خلال هذين القرنين التي ضعفت بها الخلافة العباسية وظهرت الدويلات المستقلة. كل ذلك بحاجة إلى بحث وتحليل كي نصل من خلاله إلى نتيجة مهمة وهي : ما مدى تأثير المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة، وقدرة مكة على النهوض الحضاري والعلمي في ظل هذه التحولات والصراعات السياسية المستمرة .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك بعض الدراسات السابقة التي تناولت دراسة بلاد الحجاز أو مكة المكرمة، مثل:

١–عائشة عبدالله باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧– ٦٤٨هـ/ ١١٧١– ١٢٥٠م.

٢- سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري).

٣- جميل حرب محمود حسين: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي.

٤- نوال طلال الشريف: الحياة العلمية في بلاد الحجاز وعلاقتها بمصر في القرنين السادس والسابع الهجريين.

٥- خيرية محمد علي آل سنة: الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول يتضمن كل فصل عددًا من المباحث، والتي بدورها اندرج تحتها عدد من المطالب فضلاً عن الخاتمة والملاحق، حيث تناول التمهيد الحياة العلمية في مكة قبيل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وتطرق الفصل الأول للعوامل المؤثرة في الحياة العلمية في مكة، وينقسم إلى مبحثين، المبحث الأول الأحوال العامة في مكة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ويتحدث هذا المبحث عن الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

وتطرق المبحث الثاني إلى عوامل ازدهار الحركة العلمية في مكة، حيث تضافرت عدة عوامل، وهي: المسجد الحرام، والحج، والمجاورون، والرحلة العلمية، والأوقاف.

وتناول الفصل الثاني العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وأقاليم المشرق الإسلامي، واندرج تحته سبعة مباحث، حيث تحدث كل مبحث عن اقاليم معينة، فالأول تحدث عن العلاقات العلمية بين مكة المكرمة والعراق، والثاني العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم فارس، والثالث العلاقات العلمية بين مكة المكرمة والري والجبال وطبرستان، أما الرابع فعن العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وجرجان وخراسان، والخامس العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وبلاد ما وراء النهر وخوارزم، والسادس العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم سجستان، وأخيرًا العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم الهند.

في حين أن الفصل الثالث والذي وضع تحت عنوان أوجه التأثير العلمي للمشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة، فقد قسم لمبحثين، فتناول المبحث الأول تطور الحركة العلمية واتساعها، من حيث نهضة التعليم وتعدد مراكزه، كالكتاتيب، والمساجد، وحلقات العلم في الأربطة، والمدارس، ومجالس العلماء.

كما تناول هذا المبحث الإجازات العلمية، والمكتبات والوراقين، والأسر العلمية.

أما المبحث الثاني فقد خُصص لبحث نشاط العلوم والآداب، فشمل العلوم الشرعية، من قراءات، وتفسير، وحديث، وفقه. فضلاً عن العلوم اللغوية والآداب، مثل: النحو، والأدب. وفي العلوم الاجتماعية تم التطرق إلى علميّ التاريخ والجغرافيا والرحلات. وأخيراً العلوم التطبيقية والبحتة كالطب، والحساب، وعلم الفلك. وكل ذلك من خلال إسهامات علماء المشرق الإسلامي.

واختتمت البحث بخاتمة تناولت أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

وقد ألحقت في نهاية الدراسة بعض الملاحق من صور وغيرها ذات العلاقة بموضوع الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع، وأخيراً فهرس الموضوعات.

وقد تطلب إعداد هذه الدراسة الاعتماد على مصادر ومراجع متنوعة ما بين كتب تاريخية وجغرافية وتراجم وسير وكتب دينية ولغوية.

وقد كانت كتب التراجم والطبقات والسير في مقدمة المصادر التي أفادت الدراسة، لكونها تعنى بالجوانب الحضارية والثقافية أكثر من غيرها، حيث ركزت على تراجم العلماء والأدباء، من خلال رحلاتهم ومؤلفاتهم وجهودهم العلمية، ولذا لا يمكن الاستغناء عن هذا النوع من الكتب التي تفيد البحث، ومن أهمها:

١- «الأنساب» للسمعاني، عبدالكريم بن محمد ابن منصور التميمي المتوفى سنة٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، يعد كتابه من المصادر المهمة التي أفادت بمعرفة انتماءات العلماء والأدباء البلدانية، وهنا تكمن أهميته للفصل الثاني من البحث، والذي خُصص للحديث عن العلاقات العلمية بين مكة المكرمة والمشرق الإسلامي كل إقليم على حده، بالإضافة لأهميته للفصول الأخرى.

٢- مصنفات الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، وأبرزها: «سير أعلام النبلاء»، و«تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير

والأعلام»، و «تذكرة الحفاظ»، و «العبر في خبر من غبر»، و«معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار»، وتعد مؤلفاته من أهم كتب التراجم التي اعتمد عليها البحث، وتأتي أهميتها بما حوته من معلومات عن العديد من العلماء الذين رحلوا من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة، وقد ساعد ذلك على تغطية جوانب عديدة من البحث في كل فصوله.

٣- يعتبر كتاب«طبقات الشافعية الكبرى»للسبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي المتوفى سنة ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م من الكتب المهمة حيث ترجم السبكي للعلماء الشافعيين، وكان اغلب العلماء الذين قدموا لمكة من أتباع هذا المذهب.

٤- مصنفات العلامة السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن المتوفى سنة٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وقد أفادت الدراسة من مؤلفاته كـ «طبقات الحفاظ»، و «طبقات المفسرين»، و «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة».

٥- كتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، لابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م، وهو مرتب حسب السنين، وقد أفدت منه في مختلف فصول الدراسة.

وتأتي في المرتبة الثانية من الأهمية المؤلفات التاريخية التي خصصت لتاريخ مكة المكرمة، حيث ركزت على تسجيل الأحداث والوقائع السياسية الخاصة بمكة، كما أنها لا تخلو من إشارات عن الجوانب العلمية والحضارية، ومن أهمها:

١- يعد كتاب «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي، محمد بن علي المتوفى سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م من المصادر المهمة لدراسة تاريخ مكة، حيث ترجم الفاسي للخلفاء العباسيين والفاطميين وأمراء مكة وعلمائها والقادمين إليها من طلاب العلم والمجاورون، وقد أُستفيد منه في جميع فصول البحث.

وللفاسي كتاب آخر «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»، وقد أفاد في دراسة الأحوال الدينية، والسياسية، والاجتماعية.

٢- يعتبر كتاب«إتحاف الورى بأخبار أم القرى» لابن فهد، نجم الدين عمر المتوفى سنة٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م من المصادر التي أفادت الدراسة عند الحديث عن الأحوال العامة بمكة المكرمة.

٣- كتاب «غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» للعز بن فهد، عبد العزيز بن عمر المتوفى سنة٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، من المصادر التي أمدت البحث بمعلومات عن الأحوال العامة لمكة المكرمة، حيث أفاد في دراسة الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

٤- «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»لابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله ابن أمين القرشي المكي الحنفي المتوفى سنة٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، وهو مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ١/٢٠ د. تاريخ، رقم الفلم ٢٣٦٦، وقد أفادت في معرفة الأحوال السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

٥- كتاب «منائح الكرم في أخبار مكة والبيت و ولاة الحرم» للسنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين المتوفى سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م قد أفاد في دراسة بعض الأحوال الدينية، والسياسية.

وتليها في الأهمية كتب الجغرافيا والرحلات التي أمدت البحث بمعلومات في غاية الأهمية عن الجوانب الدينية، والاقتصادية، والاجتماعية لمكة المكرمة، وفي مقدمتها:

١- كتاب «المسالك والممالك» للاصطخري، إبراهيم بن محمد المتوفى سنة٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، من المصادر التي أفادت في دراسة الأحوال الاقتصادية.

٢- «صورة الأرض» لابن حوقل، أبو القاسم محمد بن عليالمتوفى سنة٣٦٧هـ/ ٩٧٨م، من المصادر التي أفادت أيضًا في دراسة الأحوال الاقتصادية.

٣- تعتبر رحلة «سفر نامة» لناصر خسرو المتوفى سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، من المصادر المهمة التي أفادت البحث، وتكمن أهميتها كون المؤلف شاهد عيان، حيث زار مكة المكرمة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عدة مرات، فأشار إلى بعض الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية.

٤- يعد كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي، محمد بن إدريس المتوفى سنة٥٦٠هـ/ ١١٦٥م، من المصادر التي أفادت في دراسة الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية.

٥- «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» المعروف برحلة ابن جبير، لابن جبير، أبو الحسين محمد المتوفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث، حيث أسهب المؤلف في الوصف حين تحدث عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لمكة المكرمة بدقة متناهية، كما أن رحلته لم تخلُ من الإشارات إلى الحالة الدينية والعلمية بمكة.

٦- يعد كتاب«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» لابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد المتوفى سنة٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، من كتب الرحلات التي اعتمد عليها البحث عند الحديث عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، بالرغم من أن رحلته كانت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلا أن ما وصفه في رحلته يتوافق مع وصف ابن جبير الذي كانت رحلته في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، وذلك لأن العادات الاجتماعية لا تتغير بسرعة مع مرور السنين، وكذلك الأمر بالنسبة للاقتصاد.

كما أفادت الدراسة من مصادر أخرى متنوعة كالكتب الدينية والأدبية واللغوية والتربوية، مثل: كتاب «آداب المعلمين» لابن سحنون، محمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، وكتاب «صحيح مسلم» للنيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة٢٦١هـ/ ٨٧٥م، ، وكتاب «الجامع الكبير» للترمذي، محمد بن عيسى المتوفى سنة٢٧٩هـ/ ٨٩٢م،و «الكفاية في علم الرواية»، و «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي المتوفى سنة٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، وكتاب «إحياء علوم الدين»للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد المتوفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م، وكتاب «أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد المتوفى سنة٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، وكتاب«لسان العرب» لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المتوفى سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ، و «المقدمة»، و «تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر» لابن خلدون، عبد

الرحمن بن محمد لمتوفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، وكتاب«صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي، أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ، وكتاب«تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

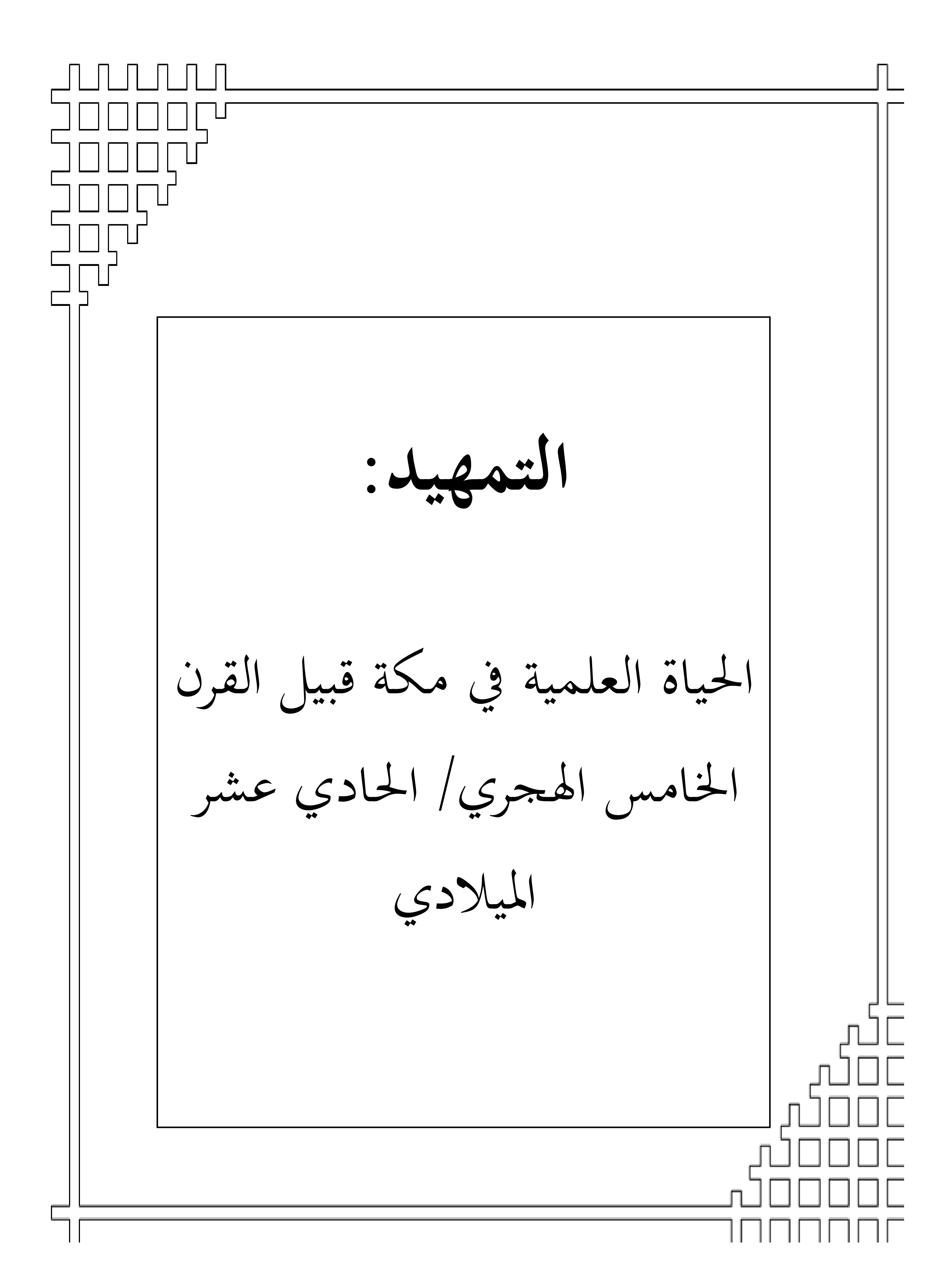
وعليه فإن هذه الدراسة قد أفادت من الكثير من المخطوطات والمصادر والمراجع الحديثة والرسائل العلمية والبحوث والدوريات المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

وبعد، فهذه مقدمة لدراسة متواضعة لا أدري مدى فوزي أو إخفاقي فيها فهي خطوة أولى بالنسبة لي على طريق الدراسة العلمية الجادة ، فإن أكن قد أصبت فمن الله التوفيق وإن يكن قد جانبني الصواب، فحسبي أني طالبة علم أخطئ وأصيب والكمال لله وحده.

وأخيرًا وقبل أن أختم كلمتي هذه أصبح حقًا عليَّ أن أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الدكتور سعد بن عبد الله البشري على اختياره لهذا الموضوع وتوجيهاته القيمة ونفسه الكريمة التي فتحت أمامي مجال البحث وأضاءت لي الطريق، كل ذلك بفضل ما منحني من علمه ورحابة صدره فجزاه الله عني كل خير.

أسال الله أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



التمهيد:

الحياة العلمية في مكة قبيل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

قبل الشروع في الحديث عن الحياة العلمية في مكة المكرمة قبيل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، نودّ الإشارة إلى الحياة السياسية في تلك الفترة، حيث أن الناحية العلمية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالناحية السياسية، فهي تسير معها صعودًا أو هبوطًا، قوة وضعفًا(١).

والحياة السياسية في مكة المكرمة خلال تلك الفترة كانت تتسم بالافتقار إلى الاستقرار والاطمئنان، باستثناء بعض السنوات القليلة، وذلك نتيجة إلى الأحداث الكثيرة التي شهدتها(٢)، فقد استغل بعض العلويين الطامحين إلى النفوذ من بني سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط(٣) انشغال الخلفاء العباسيين بالفتن والثورات التي أثارها الأتراك في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وعملوا على الاستقلال بإمارة مكة(٤)، وأسسوا بها دولة السليمانيين، وخلعوا طاعة العباسيين، وخطب أميرهم محمد بن سليمان(٥) لنفسه

---

١) إبراهيم بن حمود المشيقح: تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال " الدرّ الكمين " لابن فهد، (ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٤٥.

٢) عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف: الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣.

٣) لا نعلم من أمره شيئًا سوى أن والده كان رضيع جعفر الصادق، وأمه أم كلثوم بنت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. انظر، ابن عنبة، أحمد بن علي الحسيني: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني،(النجف: المطبعة الحيدرية، ط٢، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ص١٩٠.

٤) ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٤، ص١٢٨ ؛ محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م)، ص١٠-١١.

٥) ذكر ابن خلدون أنه يلقب بالزبيدي نسبة إلى نحلته من مذاهب الإمامية، في حين ذكر القلقشندي الربذيّ. انظر، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٢٨ ؛ القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج٤، ص٢٧٢.

بالإمامة سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م في خلافة المقتدر(١). على أنهم لم يكونوا من القوة بحيث يستطيعون حماية الحجاج وصد المغيرين عليهم، فقد هجم قرامطة البحرين على مكة المكرمة واستولوا عليها سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م لعدة أيام قيل: أحد عشر يومًا، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ستة، وخطبوا لعبيد الله المهدي صاحب افريقية(٢).

وعلى الرغم من أن القرامطة دعوا للخليفة الفاطمي بمكة إلا أن ما اقترفوه من آثام وقتل ونهب للحجيج ونزع الحجر الأسود من مكانه، قد دفع الخليفة الفاطمي إلى رفض أن تكون سيادته على مكة المكرمة بهذه الطريقة الوحشية(٣)، كما عرض عليهم الخليفة المنصور خمسين

---

١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٢٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤، ص٢٧٢ ؛ محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١١.

- المقتدر بالله: هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد، ولد سنة ٢٨٢هـ، وأمه تركية، وقيل: رومية. لم يلِ الخلافة قبله أصغر منه، حيث تولى وعمره ١٣سنة، وما لبث أن نازعه عبدالله بن المعتز الذي تولى الخلافة، ولكن لم يدم طويلاً؛ إذ سرعان ما انقلبت الأمور وعاد المقتدر لسدة الخلافة، وفي عهده تولت النساء زمام الأمور كالنظر في المظالم. توفي مقتولاً سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م. انظر، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، (مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص٢٧٤-٢٧٩.

٢) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج٣، ص٢٥٢، ٢٥٥؛ محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١١؛ عطيه طه عبد العزيز إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٤.

- عبيد الله المهدي: هو أبو محمد عبيد الله بن محمد بن جعفر. مؤسس الدولة العلوية في المغرب، بويع سنة ٢٩٧هـ، اختط مدينة المهدية، واتخذها قاعدة ملكه. توفي سنة ٣٢٢هـ. انظر، الزركلي، خير الدين: الأعلام(بيروت: دار العلم للملايين، ط١٧، ٢٠٠٧م)، ، ج٤، ص١٩٧.

٣) النجم بن فهد، عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ،ج٢، ص٣٧٨؛ سليمان عبد الغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)، (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٨-٢٩.

ألف دينار ذهب لإعادة الحجر الأسود إلى موضعه، ولكن هذا العرض قُبِل بالرفض(١).

ولم يكن هذا التدخل هو الوحيد الذي قام به الفاطميون لتعزيز مكانتهم في مكة المكرمة، فنرى أن الخليفة المعز الفاطمي(٢) قد تدخل عندما حدث نزاع بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، فأرسل رجالاً للإصلاح بين الفريقين، و تم عقد الصلح في المسجد الحرام، وتكفل الخليفة الفاطمي بدفع دية القتلى سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م(٣).

وقد دفع هذا الأمر كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمد بن الحسن من بني سليمان من آل الحسن بن علي بن أبي طالب إلى أن أعلن استقلاله بأمارة مكة، والدعوة للخليفة الفاطمي في خطبة الجمعة، وذلك على أثر دخول الفاطميين إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م؛ وذلك ردًا لجميل المعز لدين الله الفاطمي(٤).

والجدير بالذكر أنه منذ بداية النفوذ الفاطمي في الحجاز ظهر التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على إقامة الخطبة لأي منهما على منابر الحرمين الشريفين، وقام هذا التنافس على مبدأ أن السيادة الشرعية على العالم الإسلامي تكون لمن يدعى باسمه على هذين

---

١) للمزيد حول هذا الموضوع انظر، النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٣٩٥-٣٩٦؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، (مكة المكرمة: مطابع دار قريش، ط٣، ١٣٨٥هـ)، ج١، ص١٥٣-١٥٤.

٢) هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن القائم المهدي، أمه أم ولد، ولد بالمهدية سنة٣١٩هـ/ ٩٣١م، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة٣٤١هـ/ ٩٥٢م. وفي عهده سار جوهر الصقلي لمصر، فاستولى عليها، واختط مدينةالقاهرة. توفي سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م. انظر، ابن الأثير،علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٧، ص٩٤-٩٥؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا، تحقيق جمالالدين الشيال، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج١، ص٩٣؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٦٥.

٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠١؛ أحمد السباعي: المرجع السابق، ج١، ص١٧٤؛ محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١٥ ؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٢٩.

٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٠١؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٣٠.

المنبرين، و مما يؤكد هذا القول ما يرسل سنويًا من أموال وأعطيات وهدايا وخلع إلى الحكام والأهالي حتى إذا ما انقطع إرسال هذه الأموال فإن السيادة تصبح في خطر(١).

ولقد كانت لهذه الأعطيات والتهديدات من هاتين الخلافتين إلى هؤلاء الحكام أثر قوي في بلد قليل الموارد مثل مكة المكرمة الأمر الذي جعل من السلطات المحلية في مكة تقرر مساندة طرف دون آخر، وذلك حسب ما تمليه عليها مصلحتها الشخصية(٢).

ويمكننا القول أن هذا الوضع السياسي غير المستقر، وخاصة هجوم القرامطة سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، قد جعل الكثير من سكان مكة يهاجرون إلى الأمصار الإسلامية الأخرى، حتى يكونوا بمعزل عن تلك الأحداث والعيش بأمان مع أسرهم، ونخص منهم العلماء، الذين ترتب على هجرتهم ضعف النشاط العلمي في مكة(٣)، ومع هذا فقد استمرت الحياة العلمية فيها، وقد ساهم في ذلك أن مكة قبلة للمسلمين في جميع أنحاء المعمورة، حيث أن العلماء الوافدين عليها والمجاورين كان لهم دورهم الواضح في إبقاء مكة المكرمة مركزًا للإشعاع العلمي.

وتجدر الإشارة إلى بعض الآثار السلبية للوضع السياسي غير المستقر في مكة المكرمة على الحياة العلمية، وهي كالتالي:

١- نتيجة لقتل الكثير من العلماء أثناء هجوم القرامطة على البلد الحرام، فقدت مكة عناصر هامة وفعاله كان لها الدور الإيجابي في تنشيط وتطوير المجال العلمي.

٢- تدهور النشاط العلمي، حيث ظهرت قلة الحلقات والمجالس العلمية في مكة عقب ذلك الحدث.

٣- نتيجة للسلب والنهب الذي تعرض له الكثير من أهل مكة والحجاج والمجاورين أيضًا- من قبل القرامطة - أصبح الكثير منهم بدون متاع ومؤنة تعينهم على مواصلة البقاء في مكة،

---

١) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٣١.

٢) ك. سنوك هورخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلّق عليه محمد محمود السرياني، و معراج نواب مرزا، راجعه محمد إبراهيم علي، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص١٤٣.

٣) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص١٣.

وعقد الحلقات والمجالس العلمية التي كانوا يعقدونها أثناء ذلك، الأمر الذي جعل الكثير من الناجين من القتل يسارعون في العودة إلى بلدانهم.

٤- إنعدام النشاط العلمي أثناء الموسم في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، الذي كان يقام من قِبَل العلماء في مختلف الأماكن التي يرتادونها في مكة أثناء أدائهم لمناسك الحج والعمرة.

٥- نتيجة لهذا الوضع غير المستقر، وعدم وجود دولة قوية قادرة على حماية رعاياها من أي هجوم آخر للقرامطة أو غيرهم على مكة، مما دفع الكثير منهم خصوصًا علماءهم إلى تفضيل الهجرة من مكة إلى أمصار أخرى، يتوفر فيها الأمن والاستقرار ريثما تأتي الفرصة السانحة لهم للعودة إلى بلادهم، الأمر الذي أدى إلى أن فقدت مكة خيرة أبنائها ممن كان لهم إسهام فاعل في تطور النشاط العلمي فيها.

٦- وبما أن الناحية العلمية تتبع الناحية السياسية صعودًا أو هبوطًا، وبما أن هذه الثانية غير مستقرة، فقد تعطل الحج في بعض السنوات، الأمر الذي كان له تأثير سلبي على الحياة العلمية في مكة(١).

ومن المعلوم لدى المهتمين بدراسة الجوانب الحضارية في التاريخ الإسلامي، وعلى وجه الخصوص المهتمين منهم بالجانب العلمي أن الحياة العلمية كانت مستقلة عن الدولة، أو بالأحرى ليست موجهة، فالمجتمعات هي التي أنشأت تلك الحياة العلمية(٢). ولذا سنتحدث هنا . أي في التمهيد . عن ثلاث نقاط رئيسة في الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرن الرابع الهجري، وهذه النقاط هي:

١- المؤسسات العلمية.

٢- كبار العلماء.

٣- العلوم.

---

١) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص١٩-٢٠.

٢) المرجع السابق، ص٣١.

المؤسسات العلمية:

لقد رفع الإسلام منزلة العلم و العلماء، واهتم به وبحملته، فحث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على التعلم والتعليم(١)، قال الله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة الزمر:٩]، وقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾[سورة المجادلة:١١].

كما حث الرسول ﷺعلى طلب العلم، فكان يشجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة، واتضح ذلك من خلال اشتراطه عليه الصلاة والسلام على أسرى معركة بدر أن يعلم كل أسير عشرة من أبناء المسلمين الأنصار القراءة والكتابة ليفك اسرة(٢). وقوله عليه الصلاة والسلام: " من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"(٣).

وقد كان لذلك أثر قوي على حياة المسلمين، فنجدهم يرتحلون في طلبه وتحصيله، فنمت بذلك الحياة العلمية وازدهرت في مختلف الأقطار الإسلامية، ومنها مكة المكرمة(٤).

فكانت مكة المكرمة – ولا تزال – من أهم مراكز العلم والثقافة في الدولة الإسلامية. حيث نرى أن بعد فتح مكة عين الرسول ﷺ معاذ بن جبل – رضي الله عنه – ليعلم الناس

---

١) عبد العزيز بن راشد السنيدي: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، (ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٧.

٢) مشعل نايف عايض الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٤٨.

٣) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،ط٢، ١٩٩٨م)، م٤، أبواب العلم، حديث رقم (٢٦٤٦)، ص٣٨٥.

٤) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٧.

دينهم الجديد(١).

وكانت هناك أماكن مخصصة يتم فيها إلقاء الدروس العلمية من المعلمين للطلاب أو لغيرهم ممن يرغبون في السماع والاستفادة، كالكتاتيب(٢)، و المساجد(٣).

وقد لعب الكتاب دورًا هامًا في النهوض بالحركة الفكرية والعلمية في مكة المكرمة(٤).

حيث كان الطالب في مراحله الأولى يبدأ بالتعلم في الكتاتيب، فيتعلم القراءة والكتابة، والقرآن الكريم، والحساب، وشيئًا من الأشعار والأمثال، وأحيانًا قد يزيد عليها السنن والفرائض والنحو والعروض(٥).

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ازداد وجود الكتاتيب على مستوى دار الإسلام بصفة عامة و مكة المكرمة بصفة خاصة(٦) ، وذلك نتيجة لازدياد أعداد السكان ، الأمر

---

١) عبد الرحمن صالح عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، (دار الفكر، (د.ت))، ص٤٠؛ عائشة عبدالله عمر باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤١٣- ١٤١٤هـ، ص١٧٩.

- معاذ بن جبل: هو أبو عبدالرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصاري الخزرجي. أسلم حين كان عمره ١٨ سنة، وكان أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، شهد جميع غزوات النبي ﷺ. توفي في طاعون عمواس سنة١٨هـ. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج٤، ص٤١٨-٤٢١.

٢) وقد عرفه ابن منظور بقوله: " المكتب: المعلم، وقال اللحياني: هو المكتب الذي يعلم الكتابة. والمكتب: موضع الكُتَّاب. والمِكتبُ والكُتَّابُ: موضع تعليم الكُتَّابِ، والجمع الكتاتيب والمكاتب. المبرد: المَكْتَبُ موضع التعليم، والمُكْتِبُ المعلم، والكُتَّابُ الصبيان ". انظر، ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ج٧، ص٥٨٨.

٣) مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص٢٥٠.

٤) أحمد هاشم أحمد بدر شيني: مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين (دراسة مقارنة) ، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة،ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣٨٣.

٥) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، (القاهرة: دار المعارف،ط٨، (د.ت))، ص٩٨.

٦) مشعل الدهاس: المرجع السابق، ص٢٥٥.

الذي كان يتطلب ضرورة إنشاء الكتاتيب فيها، وللتأكيد على وجودها في هذه الفترة نستدل بالفقيه أحمد بن محمد بن عبدوس بن حاتم(١) المتوفى سنة٣٨٥هـ/ ٩٩٥م الذي كان يدرّس في مكة في القرن الرابع الهجري، وهذا ما هو إلا دليل واضح على أن التدريس كان يتم في مكة المكرمة لطلاب المراحل الأولى(٢).

وكان الكثير من هذه الكتاتيب في المسجد الحرام(٣).

ومن أراد من الطلاب أن يواصل تعليمه عليه الالتحاق بالحلقات العلمية في المساجد التي كانت أشبه بمعاهد عليا وجامعات، فلم تكن فقط دورًا للعبادة، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى، يتحلق حوله طلابه، يكتبون عنه ما يلقيه. وكان عادة ما يستند العالم إلى أسطوانة في المسجد(٤).

ولاشك بأن حلقات العلم في المسجد الحرام قد لعبت دورًا كبيرًا وهامًا في النهوض بالحركة العلمية والثقافية بمكة المكرمة، وذلك للمكانة التي تبؤاها هذا المسجد في نفوس المسلمين(٥)، حيث كان لحلقاته – ولا تزال – دور فعّال في رقي الأمة الإسلامية وتطورها في مختلف المجالات الدينية والفكرية والحضارية(٦).

ومن الثابت أن حلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد منذ عهد الرسول ﷺ، قد

---

١) هو أبو الحسن الحاتمي. كان من علماء الشافعيين، وسمع الحديث الكثير بخراسان، والعراق، والحجاز. قال الحاكم: وهو عالم من علماء المسلمين، أديب، فقيه، كاتب، حاسب، أصولي. وكان عمره حين وفاته ٤٩ سنة.انظر، السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق مصطفى عبدالقادر أحمد عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٢، ص٣٥.

٢) عبدالرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص٣٢-٣٣ ؛ مشعل الدهاس:الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص٢٥٥-٢٥٦.

٣) أحمد بدر شيني: مكة والمدينة، ص٣٨٣.

٤) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص١١٧- ١١٨.

٥) بندر محمد رشيد الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ٤٥٦- ٥٩٧هـ/ ١٠٦٣- ١٢٠٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٠٤.

٦) إبراهيم المشيقح: تاريخ أم القرى، ص٤٦ ؛ أحمد بدر شيني: المرجع السابق، ص٣٧٩- ٣٨٠.

استمرت وتعمقت عبرالسنين. ومن الضروري هنا الإشارة إلى أن ما كان يدرس في هذه الحلقات إنما هو في الأساس ما عُرف باسم " العلوم النافعة ". وبما أن الأصل في المساجد أن تفرد لعبادة الله سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[سورة الجن:١٨]، فإن دراسة الفقه قد عدّت من أفضل العبادات(١)، فقد روي عن النبيﷺ: " ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه "(٢). وإلى جانب علم الفقه كانت تدرس في المساجد مختلف العلوم الإسلامية الشرعية والمساعدة(٣).

وقد حفلت كتب التراجم بأسماء العلماء الذين قدموا إلى مكة المكرمة وجاوروا بها وحدثوا، مثل أبي سعيد المفضل بن محمد الجندي المتوفى سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م الذي كان له حلقة بالمسجد الحرام(٤)، وكذا أبي سعيد أحمد بن محمد الأعرابي البصري المتوفى سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، وقيل:٣٤١هـ/ ٩٥٢م، نزيل مكة وشيخها، وقد عد من جِلّة مشايخها وعلمائها(٥) .

ومن العلماء الذين كانت لهم حلقات علمية داخل المسجد الحرام أبو عمرو محمد بن

---

١) علي بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (٢١٢- ٤٨٤هـ/ ٨٢٦- ١٠٩١م)، (مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص٢٣١؛ رشاد بن عباس معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٥- ١٠٥٥م، (مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٢١٨.

٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: أدب الدنيا والدين، (بيروت: دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٢٧.

٣) علي الزهراني: المرجع السابق، ص٢٣٢؛ رشاد معتوق: المرجع السابق، ص٢١٨ .

٤) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة،ط١١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج١٤، ص٢٥٨؛ العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت))، ج١، ص٤٥٤.

٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي: العقد الثمين، تحقيق فؤاد سيد، (القاهرة، (د.ن)، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ج٣، ص١٣٧-١٣٨.

إبراهيم النيسابوري الزجاجي المتوفى ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م، كان نزيل الحرم وشيخه مدة(١). و أبو القاسم عبد السلام بن محمد المخرمي الصوفي المتوفى سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م رحل في طلب العلم، ولقي شيوخ الحديث والصوفية ، ثم جاور بمكة سنين، وأصبح شيخ الحرم في زمانه، وكان عارفًا بعلوم الشريعة، والفُتُوَّة (٢)، وأبو العباس أحمد بن محمد النَّشوِي المتوفى سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م، وقيل:٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م شيخ الحرم(٣)، وأبو سعد إسماعيل بن أحمد الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م(٤)، وأيضًا أبو الفضل أحمد الهروي الصَّرّام المتوفى سنة٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م شيخ الحرم، كان من أوعية الحديث، روى الكثير بمكة المكرمة (٥).

وهذا يوضح لنا أن لفظ شيخ الحرم لا يطلق على أحد إلا من عُرف واشتهر بمعرفته بالكثير من فنون العلوم المختلفة وعرف صغيرها، وكبيرها، جلّها، ودقيقها، وقام بتدريسها في المسجد الحرام(٦).

كذلك وُجد من العلماء من كان يقوم بالوعظ والتذكير في المسجد الحرام، مثل أبي القاسم

---

١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج٧، ص٨٦٨.

٢) ونسبه في "العقد الثمين" المخزومي. . وسمع من أبي بكر ابن أبي داود، وأبي عروبة الحراني، وزيد بن عبد العزيز الموصلي، وأبي الحسن ابن جوصا الدمشقي، وغيرهم. وروى عنه أبو نعيم الحافظ، وابن جهضم، وعلي بن سعد البغوي. توفي سنة ٣٦٤هـ. انظر، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت))، ج١١، ص٥٦-٥٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٢٣٠ ؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٣٠- ٤٣١.

٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٩ ؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٣٦- ١٣٧.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٨٧-٨٨ ؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر و محمود الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير،ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ج٤، ص٥٠٦- ٥٠٧ .

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١١١- ١١٢؛ العبر، ج٣، ص٦٩ ؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٣، ص١٥٣.

٦) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص٤٠.

إبراهيم بن محمد النصراباذي النيسابوري المتوفى سنة٣٦٧هـ/ ٩٧٨م الذي حج سنة٣٦٥هـ/ ٩٧٦م، فجاور بمكة سنتين، وكان عالمًا بالفقه، والحديث، والتاريخ، وسلوك الصوفية، وعلوم المعاملات والإشارة(١).

وينبغي ألا نهمل ذكر منازل العلماء، التي كانت أشبه بمراكز لتلقي العلم والمعرفة، حيث يعقد العلماء الدروس لطلاب العلم في منازلهم.

كبار العلماء:

وقد زاد النشاط العلمي وتوهج في صدر الإسلام خصوصًا إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين في مكة المكرمة، حيث شارك في تحريك النشاط العلمي بها علماء اختلفت اختصاصاتهم واهتماماتهم العلمية، فكان منهم المفسرون والقراء والمحدثون والفقهاء والمؤرخون واللغويون والأدباء وغيرهم ممن آثروا الحياة العلمية بمختلف ميادينها، وساهموا في تطور دراسة كثير من العلوم التي جدوا في طلبها واشتغلوا بتدوينها والتصنيف فيها(٢).

واستمر الوضع كذلك حتى وافى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث أشار أحمد السباعي إلى أن الناحية العلمية في مكة المكرمة قد أصابها الضعف والوهن طيلة هذا القرن؛ وذلك على أثر تفرق أعلام مكة في الأمصار الإسلامية(٣).

وربما كان السباعي يقصد بذلك أن الحياة العلمية في مكة المكرمة قد تأثرت برحيل علمائها عنها، ولكن من يتتبع ذلك يجد أنه قد جانبه الصواب، حيث أسهمت المكانة الروحية التي تمتعت بها مكة المكرمة في استقطاب عدد كبير من المسلمين الذين قدموا إليها لأداء فريضة الحج ، فتعددت أجناس العلماء في مكة ، وذلك لأن الكثيرين من علماء الأمصار رغبوا في

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٦٣- ٢٦٥ ؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٣٧- ٢٣٨ ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣٥٦- ٣٥٨.

٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٧-٨.

٣) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٩٨.

النزول الدائم في مكة، أو المجاورة فيها بعض الوقت، فبذلوا أثناء ذلك جهودًا علمية طيبة خدمت النشاط العلمي في مكة(١)، وبذلك أصبحت مكة المكرمة عبارة عن بوتقة يجتمع بها العلماء الوافدون إليها من كافة الأقطار الإسلامية حيث يلتقي رجال العلم والفقه والأدب والتاريخ الذين يأتون إليها، ويتناقلون الأفكار، ويأخذون عن بعضهم البعض، ويعقدون الدروس العلمية(٢).

فضلاً عن ذلك فقد ظهر في هذا القرن عدد من العلماء ممن حفظ لهم التاريخ ذكرًا في مكة، فمن علماء مكة المكرمة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة٣٠٣هـ/ ٩١٥م(٣)، و أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م الفقيه المفسر المؤرخ القارئ الذي كان مدرسًا في مكة المكرمة(٤).

وهناك من العلماء من ساهم في تطور الحركة العلمية في مكة المكرمة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مثل أبو محمد دعلج بن أحمد السجستاني المتوفى سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، وقيل:٣٥٣هـ/ ٩٦٤م الذي جاور بمكة زمانًا، وله صدقات جارية على أهل الحديث بمكة وبغداد وسجستان(٥).

وهناك علماء في مكة المكرمة اشتهروا بالعلم والمعرفة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فمن هؤلاء العلماء أبو بكر أحمد البغدادي المعروف ببكير الحداد المتوفى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م الذي جاور بمكة ، وحدّث بها(٦) ، وأبو محمد أحمدالمغفَّليّ الهروي الذي لا

---

١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٨.

٢) بندر الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص٣٠٤.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧،ص٥٩-٦١ ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١٥-١٧.

٤) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص٣٠٠-٣٠١ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام،ج٧، ص١٦٠-١٦٣، ٢٧٦؛ علي أبا حسين: " الحالة الثقافية في مكة أيام العباسيين ". (الوثيقة، س٢٥، ع٤٩، ذو الحجة١٤٢٦هـ/ يناير٢٠٠٦م)، ص٣١.

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٠- ٣٥.

٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٦٤ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٦٠؛ الفاسي : العقد الثمين،ج٣، ص١١٨-١١٩.

نعلم تاريخ وفاته حج بالناس، وخطب بمكة، وقد جاور بها سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وسمع بالحرمين، وقد اشتهر بمعرفته بالحديث(١)، وأبو حامد أحمد بن يوسف الأشقر الذي جاور بمكة حتى وفاته سنة٣٥٩ه/ ٩٧٠م(٢).

وهذا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م رحل إلى مكة المكرمة، وجاور بها ثلاثين سنة حتى وفاته، واستفاد منه خلق كثير من حجاج المشارقة والمغاربة(٣)، و أيضًا من العلماء المشهورين الذين حدثوا في مكة المكرمة إبراهيم بن محمد الأبيوردي، وكان قد حدث بها سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م (٤)، وكذا أبو جعفر محمد بن أحمد السليطي المتوفى سنة٣٨١ه/ ٩٩١م الذي حدث بمكة والعراق(٥).

وكذلك من العلماء الذين جاوروا بمكة المكرمة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أبو زرعة محمد بن يوسف الكَشِّيُّ الحافظ الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م، وكان قد جاور بها حتى وفاته(٦).

وهذا أبو علي أحمد بن عمر الأصبهاني المتوفى سنة٣٩٤هـ/ ١٠٠٤م أحد الأثبات، حدَّث بمكة المكرمة، وبغداد، ومصر، فسكن مصر، وكان يحضر موسم الحج كل سنة(٧).

العلوم:

ولقد تزايد دور العلماء بنشاطهم العلمي المتدفق في كافة المجالات العلمية، ونشر العلم

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص١٨١- ١٨٣.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٣٤.

٣) المصدر السابق، ج٨، ص١٥٣-١٥٤ ؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣١٦-٣١٧.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٤٦٥.

٥) المصدر السابق، ج٨، ص٥٢٦- ٥٢٧.

٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٤٠٨ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٦٦٩ ؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٤، ص٤٨٣.

٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٩٢- ٢٩٣ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٦٢.

والمعرفة بين المسلمين، بعد أن احتوى المسجد الحرام العديد من المناشط العلمية، والتي تزامنت مع هذه الفترة التاريخية ولا عجب في ذلك فقد أصبح المسجد الحرام بمثابة جامعة متعددة التخصصات، ولذا نجد طلاب العلم يشدون رحالهم إلى مكة في سبيل طلب العلم(١).

ويعد موسم الحج تظاهرة علمية تتيح للكثير من العلماء إقامة حلقاتهم العلمية في مكة، حيث أن التجمع السنوي للحجاج يتيح الفرصة لطلاب العلم في مكة المكرمة للقاء العلماء البارزين، بل أيضًا عن طريق هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى مكة لأداء فريضة الحج انتقلت الكثير من الأفكار والآراء العلمية القائمة في الأمصار الإسلامية إلى مكة المكرمة، والعكس صحيح(٢).

العلوم الشرعية:

وعند الحديث عن العلوم التي كانت رائجة في مكة المكرمة خلال القرن الرابع الهجري نجد أن أبرزها العلوم الشرعية، المتضمنة علم القراءات، وعلم التفسير، و علم الحديث، وعلم الفقه.

علم القراءات:

والفرع الأول من العلوم الشرعية هو علم القراءات، وممن اشتهر من العلماء بإلمامه وإتقانه لهذا العلم في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أبو محمد إسحاق بن أحمد الخزاعي المكي المتوفى سنة٣٠٨هـ/ ٩٢٠م مقرئ أهل مكة (٣)، وأبو يحيى محمد بن عبد الرحمن المكي المتوفى سنة٣٤٤هـ/ ٩٥٥م أحد مشايخ مكة، وكان يُحدِّث بها عن علي بن عبد العزيز(٤) بكتاب

---

١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٤٣٤.

٢) مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص٢٧٧.

٣) الذهبي: العبر، ج١، ص٤٥٣-٤٥٤؛ تاريخ الإسلام، ج٧، ص١٣٠-١٣١.

٤) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الْمَرْزُبَانِ بن سابور البغوي الجوهري، نزيل مكة، وقد روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام «غريب الحديث»، وكتاب «الطهور»، وغير ذلك، كما وقد كان يقرأ على الحجاج بالأجر كتب أبي عبيد. وتوفى بمكة سنة ٢٨٧هـ. انظر،الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم الأدباء، (دار الفكر،ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج١٤، ص١١-١٣.

«القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي(١).

وكذلك من الذين نبغوا في علم القراءات أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش القيسي القيرواني القرطبي المتوفى سنة٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م الذي كان إمامًا عالمًا بوجوه القراءات، وقد غلبت عليه علوم القرآن، ورحل إلى مكة سنة ٣٨٧هـ/١٠٤٥م، فأقام بها إلى سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م، وسمع بمكة من أكابر علمائها(٢) كما وقد شرح أثناء مجاورته مؤلفاته المتنوعة، فعلا ذكره و رحل إليه طلاب العلم(٣).

وأيضًا من العلماء الذين ساهموا في هذا العلم في مكة المكرمة خلال تلك الفترة أبوبكر يحيى بن مجاهد الفزاري المتوفى سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٧م الذي حج، وعني بعلم القراءات(٤).

علم التفسير:

أما العلم الثاني المندرج تحت العلوم الشرعية فهو علم التفسير، وقد أشتهر الكثير من العلماء بتمكنهم من الإلمام التام بعلم التفسير، وإسهامهم في تطوره بمكة المكرمة عن طريق إقامتهم الحلقات والمجالس العلمية في المسجد الحرام والتي كان يتم فيها إلقاء دروس في علم التفسير، بالإضافة إلى قيامهم بتصنيف العديد من الكتب المختصة بهذا العلم وشرحها على طلبة العلم المهتمين والراغبين في معرفة وإتقان علم التفسير(٥).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ١٠٢.

- أبو عبيد القاسم بن سلام: كان أبوه مملوكًا روميًا، وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم، وله من التصانيف: « غريب القرآن »، « غريب الحديث »، « معاني القرآن »، وغير ذلك. توفى بمكة سنة ٢٢٣هـ، وقيل: ٢٢٤هـ، وله من العمر ٦٧ سنة. انظر،ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، (بغداد: مكتبة الأندلس،ط٢، ١٩٧٠م)، ص١٠٩، ١١٤ ؛السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٤.

٢) الحموي: معجم الأدباء، ج١٩، ص١٦٧-١٧٠؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص٢٩٨.

٣) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص١٩٥ .

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٤-٢٤٦؛ السيوطي: طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، (مصر: مكتبة وهبة،ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ص١٢٣.

٥) عبد الرحمن المصنف: المرجع السابق، ص١٩٦-١٩٧.

وسنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الشامي الطبراني، الذي سمع بالشام والحرمين ومصر والعراق والجزيرة، و توفي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وقد ألف العديد من المصنفات منها «التفسير الكبير للقرآن الكريم»، و«المعجم الكبير»، و «المعجم الأوسط »، و «المعجم الصغير » و « كتاب الدعاء»، و «المناسك»، و « كتاب الطوالات »، و « دلائل النبوة »، وغيرها(١). وأبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م صاحب كتاب « التفسير » الذي لم يصنف مثله(٢). والإمام أبو الحسن علي بن حمشاذ بن سختوية بن نصر المتوفى سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م الذي صنّف كتابًا في تفسير القرآن في مائتين وثلاثين جزءًا(٣).

وأيضًا من العلماء الذين عنوا بعلم التفسير أبو بكر يحيى بن مجاهد الفزاري الأندلسي المتوفى سنة٣٦٦هـ/ ٩٧٧م الذي حرص أثناء حجه على الاستفادة من تلك الدروس العديدة التي كانت تلقى في الحلقات والمجالس العلمية في المسجد الحرام في علم التفسير. وأبو الحسين أحمد بن فارس الرازي اللغوي المتوفى سنة٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م صاحب كتاب « جامع التأويل في تفسير القرآن » والذي تتلمذ على أشهر علماء التفسير في مكة(٤).

علم الحديث:

وأما العلم الشرعي الثالث فهو علم الحديث، فمن أبرز العلماء المحدثين في مكة المكرمة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، هم: أبو محمد عبد الله النيسابوري المتوفى سنة٣٠٧هـ/ ٩١٩م نزيل مكة(٥) ، وأبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي المتوفى سنة ٣٠٨هـ/

---

١) الداودي، شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد: طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، (مصر: مكتبة وهبة،ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٢٧م)، ج١، ص١٩٨- ١٩٩.

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٠-٤٩٢؛ السبكي: طبقات الشافعية ، ج٢ ص٧٧ ؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٣٢٨ ؛ الداودي: المصدر السابق، ج٢ ، ص٥٠-٥١.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص٣٩٨ — ٣٩٩؛ تاريخ الإسلام، ج٧، ص٧١٩-٧٢٠.

٤) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص١٩٨.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص١١٩.

٩٢٠م، الذي كان محدث مكة(١). ومحمد بن خالد بن يزيد البردعي ، نزيل مكة، كان شيخًا محدثًا كثير الرواية في المسجد الحرام، وقد قتل أثناء هجوم القرامطة على مكة سنة٣١٧هـ/ ٩٢٩م(٢). وأبو الفضل محمد بن أبي الحسين الهروي الذي كان عارفًا بعلل الحديث، وقد قتل أيضًا سنة٣١٧هـ/ ٩٢٩م على يد القرامطة(٣) . وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة٣١٨هـ / ٩٣٠م كان إمامًا حافظًا للحديث(٤). وأبو جعفر محمد بن المؤمل القرشي العدوي المتوفى سنة٣١٩هـ/ ٩٣١م الذي جاور بمكة، وكان كثير الرواية ثقة(٥).

و أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي المتوفى سنة٣٢٢هـ/ ٩٣٤م محدِّث مكة، كما وقد كان مُسنِدَ الحرم في عصره(٦). والفقيه أبو زيد محمد بن أحمد المروزي المتوفى سنة٣٧١هـ/ ٩٨١م الذي جاور بمكة سبع سنين، وحدَّث هناك بصحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفربري(٧)، وقد عُد أبو زيد أجَلُّ من روى هذا الكتاب(٨)، واستفاد منه خلق كثير

---

١) الذهبي: العبر، ج١، ص٤٥٤.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٤.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٣٢٩.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٠؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٧٧؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٣٢٨؛ الداودي: طبقات المفسرين، ج٢، ص٥٠.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٣٦٠ ؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٧٧ ؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٢٥٣.

٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٩ – ١٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١١٦.

٧) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري، نسبةً إلى قرية فِرَبْر من قرى بخارى. ولد سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م. وكان ثقةً، ورعًا. سمع " الصحيح " من أبي عبدالله البخاري في ثلاث سنين. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٣٧٥-٣٧٦.

٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٣٦٣ – ٣٦٤؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر: طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، (بيروت: دار المدار الإسلامي،ط ١، ٢٠٠٤م)، ج١، ص٣١٤ – ٣١٥ ؛ السبكي: المصدر السابق، ج٢، ص٥٣ – ٥٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٢٩٧ – ٢٩٨؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٥ – ٣٨٦.

منهم ابن القابسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م الذي رحل إلى الشرق سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م، وحج سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م ، فسمع منه، وأخذ عنه «صحيح البخاري»(١)، وكذلك الأصيلي المتوفى سنة٣٩٢هـ/١٠٠٢م الذي كتب عنه «صحيح البخاري»(٢).

ومن العلماء الذين اشتهروا بعلم الحديث بمكة في تلك الفترة أيضًا العالم محمد بن يوسف بن محمد بن جنيد الجرجاني، الذي انتقل إلى مكة فحدث بها سنين إلى أن توفى بها سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م(٣).

علم الفقه:

والعلم الشرعي الرابع والأخير هو علم الفقه، وقد لمع العديد من العلماء في مكة المكرمة، ممن غلب عليهم علم الفقه من خلال حلقاتهم ومجالسهم العلمية في المسجد الحرام، والتي كان يتم فيه عقد دروسهم الفقهية(٤)، مثل: الفقيه المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م الذي أقام مجاورًا بمكة ثلاثين سنة، وخلال ذلك قام بالتصنيف والتدريس لكتبه على حملة العلم المكيين والوافدين من الحجاج، وله من المصنّفات كتاب «مختصر الفقه» ، وكتاب « أحكام النساء » ، وكتاب « النصيحة » ، وكتاب « الشريعة »،

---

١) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، (د . ت))، ج٣، ص٣٢٠ – ٣٢١.

– ابن القابسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي. ولد سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م. وقد كان إمامًا في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به. وصنف في علم الحديث كتاب " الملخص ". توفى بالقيروان سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م. انظر، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٠.

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٦٠.

– الأصيلي: هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم، شيخ المالكية، عالم الأندلس. له كتاب " الدلائل " في اختلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي. وقال القاضي عياض: قال الدارقطني: حدَّثني أبو محمد الأصيلي، ولم أرَ مثله. وقال أيضًا: كان من حفّاظ مذهب مالك، ومن العالمين بالحديث وعِلَلِه ورجاله. ولي قضاء سرقسطة. توفى سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م. انظر، المصدر السابق، ج١٦، ص٥٦١.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨، ص٦٦٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٤٨٣.

٤) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص٢٠٨.

وكتاب «التفرد والعزلة»، وكتاب «الثمانون»، وغير ذلك(١). والفقيه محمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري الذي صنف كتبًا في الفقه لم يصنف أحد مثلها ، ومن أهمها: كتاب «المبسوط » في الفقه، وكتاب « الإشراف في معرفة اختلاف العلماء »، وكتاب «الإجماع»، وكتاب «الإقناع »، وكتاب « السنن والإجماع و الاختلاف » (٢)، وغيرها من الكتب، فقد كان مجتهدًا لا يقلد أحدًا، وهو ممن قام بعقد الحلقات العلمية في المسجد الحرام، بدليل أنه قد عُرف بشيخ الحرم(٣).

ومن علماء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أيضًا يحيى بن مجاهد الأندلسي الذي كان له نصيب من الفقه(٤). وأبو سعد إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الفقيه المتوفى سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م، الذي قدم مكة للحج، فعقد له العديد من المجالس العلمية هناك. والواقع أن هذا العالم كان إمام زمانه في عدد من العلوم منها الفقه والأصول(٥)، فاستفاد منه أثناء وجوده بمكة الكثير من طلبة العلم المكيين والوافدين(٦).

علوم اللغة العربية وآدابها:

ومن العلوم التي نبغ بها العلماء في مكة المكرمة علوم اللغة العربية والآداب، فقد حظيت هذه العلوم بالاهتمام البالغ من قبل علماء الأمة الإسلامية كونها تخدم علومًا متنوعة أهمها العلوم الشرعية، " فبها يستطيع الإنسان إقامة لسانه من الاعوجاج وتجنب اللحن المؤدي إلى فساد المعنى" (٧).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣-٤؛ عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص٢٠٩.

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٤٩٠؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٧٧؛ الداودي: طبقات المفسرين، ج٢، ص٥١.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج١،ص ٤٠٧؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٣٢٨؛ الداودي: المصدر السابق، ج٢، ص٥١.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٤٥؛ السيوطي: طبقات المفسرين، ص١٢٣.

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٨٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٥٠٦ — ٥٠٧.

٦) مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص٢٩٣.

٧) عبد الرحمن المصنف: المرجع السابق، ص٢٠٩.

وهناك علماء في مكة المكرمة اشتهروا بمعرفة هذه العلوم خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومنهم: أبو جعفر محمد بن المؤمل القرشي العدوي المتوفى سنة٣١٩هـ/ ٩٣١م الذي كان عالمًا بالنحو(١). وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م الذي كان بارعًا في النحو، وألف فيه كتب حسنة، جاور بمكة مدة، وصنّف أثناء ذلك كتاب «الجمل »، فكان إذا فرغ من باب منه طاف أسبوعًا ودعا الله بالمغفرة وأن ينفع الله بكتابه وقراءاته، فانتفع بكتابه هذا خلق لا يحصون من المشارقة والمغاربة، وهذا يوضح أنه قد قام بشرحه بمكة(٢). وأبو سعد إسماعيل بن أحمد الجرجاني المتوفى سنة٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م الذي عُد إمام زمانه في اللغة العربية والكتابة(٣).

وكذلك أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى سنة٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م الذي رحل إلى الحجاز، وتجول في بلاد ربيعة ومضر، ولما قضى غايته عاد إلى خراسان، و أصبح بعد ذلك إمامًا في علم اللغة والأدب، وصنّف «عروض الورقة»، و«الصحاح في اللغة »، و«المقدمة في النحو »(٤).

وكما حفلت مكة في هذا القرن بالشعراء، فهذا علي بن بابويه الصوفي المحدّث المجاور في الحرم المكي لم يترك قول الشعر حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، حيث قتل في فتنة القرامطة سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، وكان يطوف بالبيت والسيوف تنهشه وهو ينشد:

ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا(٥)

وكذلك أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي المتوفى سنة٣٦٧هـ/ ٩٧٨م الذي حج و جاور بمكة زمانًا حتى توفى بها ، وقد كان أبو طاهر شاعرًا مفوهًا كبيرًا فصيحًا(٦)، وبما

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٧٧؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٢٥٣.

٢) ابن الأنباري: نزهة الألباء ، ص٢٢٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٧٣٨؛ مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص٢٧٥.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٨٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص ٥٠٧.

٤) ابن الأنباري: المصدر السابق، ص٢٥٢ ؛ الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص١٥١-١٥٥.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٤٣.

٦) ابن العماد: المصدر السابق، ج٤، ص٣٥٩؛ عائشة باقاسي: مكة والمدينة، ص١٩٤.

أنه قد جاور سنين عديدة فلابد أنه قد لعب دورًا كبيرًا في الحياة الأدبية هناك.

علم التاريخ:

كما كان لعلم التاريخ نصيب من الاهتمام خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بمكة المكرمة، فقد برز عدد من المؤرخين الذين أسهموا في تقدم هذا العلم، ومنهم: أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي المتوفى سنة٣٠٨هـ/ ٩٢٠م الذي صنف كتابًا عن « فضائل مكة». وأبو سعيد بن الأعرابي صاحب كتاب « فضائل مكة»(١). وأبو محمد عبد الله بن محمد بن العباس المكي الفاكهي المتوفى سنة٣٥٣هـ/ ٩٦٤م صاحب كتاب « أخبار مكة»(٢). وأبو الحسن محمد بن نافع بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي المكي الذي كان حيًّا سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، وقد حدَّث بكتاب « تاريخ مكة للأزرقي » عن عمه إسحاق بن أحمد الخزاعي، وله كتاب« فضائل الكعبة»، وقد تتلمذ على يديه أبو عثمان سعيد بن محمد الأموي البلدي، الذي رحل إلى المشرق، وقرأ على أبي الحسن كتابه « فضائل الكعبة»(٣).

العلوم التطبيقية:

كما راجت في مكة المكرمة تلك الفترة العلوم التطبيقية، كعلم الطب، وعلم الكيمياء.

الطب:

فمن العلماء الذين أسهموا في علم الطب في هذا القرن أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري المتوفى سنة٣٨٨هـ/ ٩٩٨م، وقيل:٤٠٧هـ/ ١٠١٦م الذي جاور بمكة زمانًا، وقد مارس الطب أثناء ذلك، وأقبل عليه طلبة العلم(٤).

---

١) مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص ٢٩٦.

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٥ ؛ تاريخ الإسلام، ج٨، ص٥٦ ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٨٠.

٣) الحموي: معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)، ج١، ص٤٨٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٧٨-٣٧٩.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٥٦-٢٥٧.

الكيمياء:

أما علم الكيمياء فمن أبرز الذين برعوا فيه أبو بشر محمد بن أحمد الأنصاري المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م الذي عُد من أهل الصنعة(١)، و أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني - أي الكيميائي - المتوفى سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م كان يحضر العقاقير للأطباء(٢).

كما أقيمت حلقات علمية مختصة بهذا العلم في مكة المكرمة، كحلقة أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة٣٣٤هـ/ ٩٤٦م الذي كان بارعًا بعلم الكيمياء، وكتابه «الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة»خير دليل على ذلك، وقد عقد أثناء مجاورته بمكة دروس علمية، وكان ممن حضر تلك الحلقات أبو الغصن الصقلبي الصيدلاني(٣).

ونستنتج من كل الذي استعرضناه أن الحياة العلمية في مكة المكرمة قبيل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لم تكن ضعيفة على الرغم من توزع العلماء المكيين في الأقطار الإسلامية فإن ذلك لم يؤثر كثيرًا على الحركة العلمية؛ نظرًا لأن بعض العلماء المسلمين قد قدموا لمكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وفي أثناء حجهم كانوا يعقدون الحلقات العلمية، ويلقون الدروس والبعض الآخر من العلماء استقروا وجاوروا بمكة، وكان لهؤلاء العلماء المجاورين دورًا كبيرًا في استمرار وتقدم عجلة الحركة العلمية في مكة المكرمة.

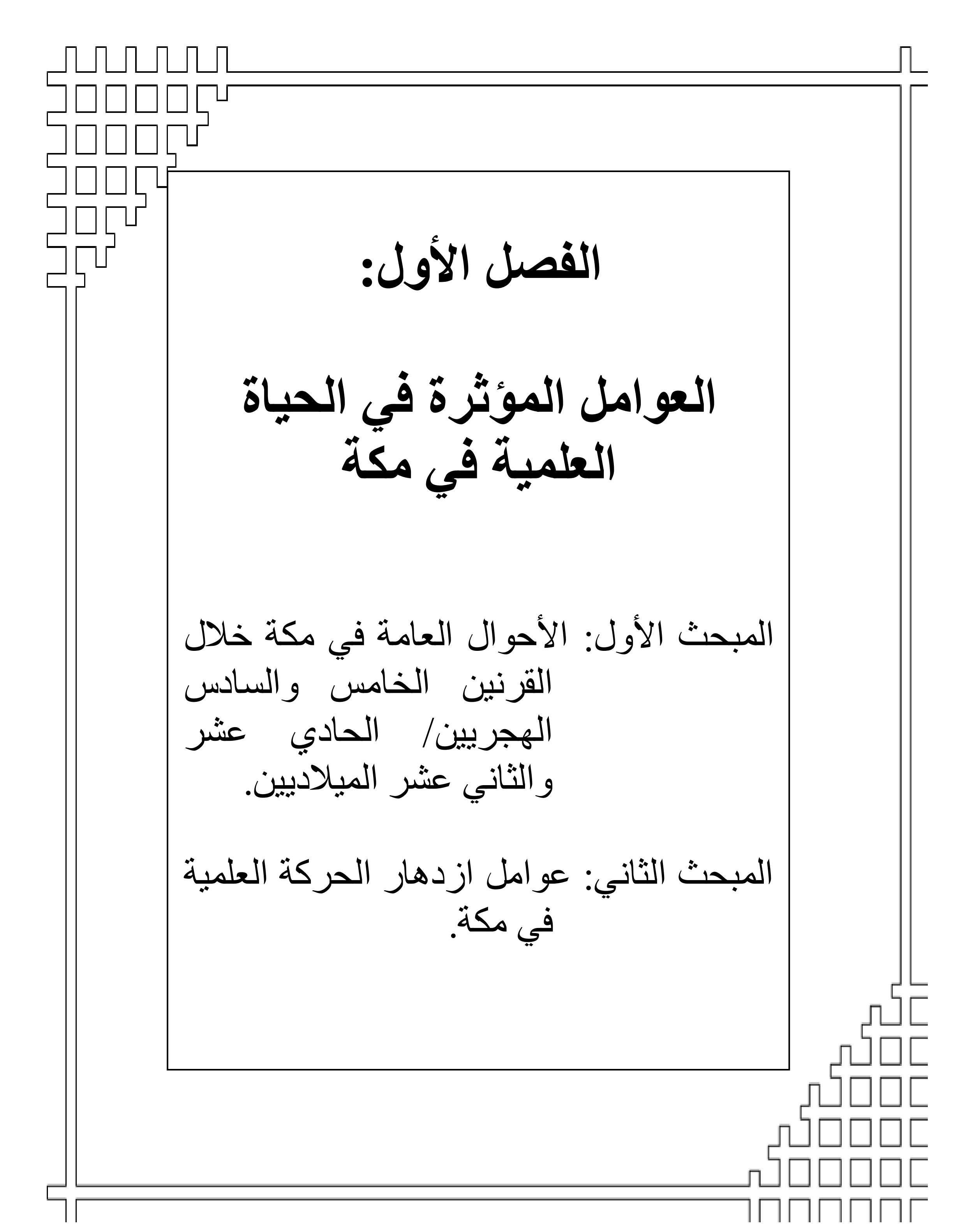
---

١) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٣١٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٥٢.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٨٢.

٣) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد: الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء [الذهب والفضة]، تحقيق ودراسة أحمد فؤاد باشا، (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص١٧، ٤٠-٤٢؛ القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف: انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج١، ص ٣١٤-٣١٩.

- أبو الغصن الصقلبي: هو بدر مولى ريدان الصقلبي الصيدلاني، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق رحلة استغرقت عدة أعوام، وجاور بمكة، وكان له حظ من الأدب. توفي سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م. انظر، ابن الفرضي، ابن الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج١، ص١٧٦.

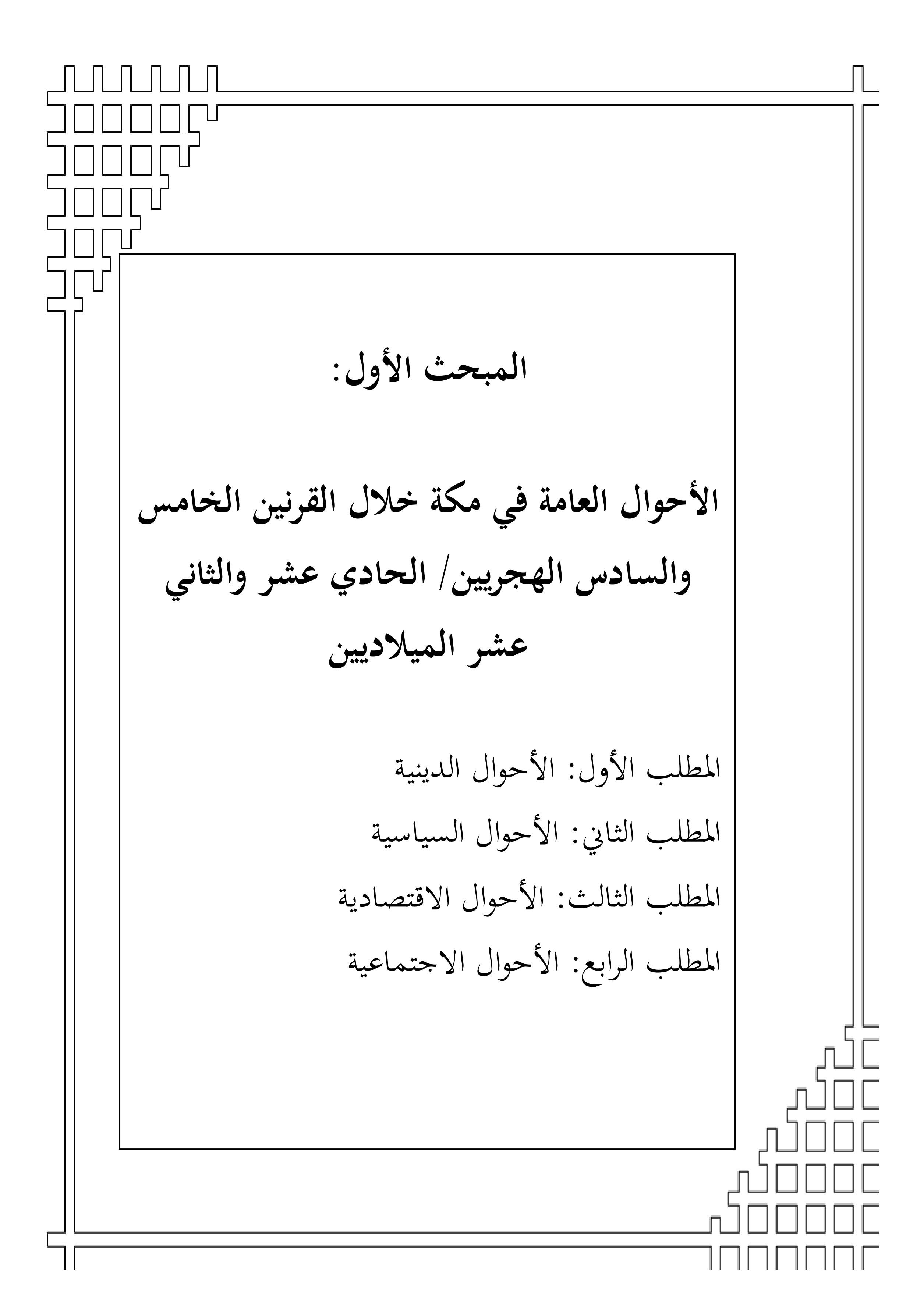


الفصل الأول:

العوامل المؤثرة في الحياة العلمية في مكة

المبحث الأول: الأحوال العامة في مكة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.

المبحث الثاني: عوامل ازدهار الحركة العلمية في مكة.



المبحث الأول:

الأحوال العامة في مكة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين

المطلب الأول: الأحوال الدينية

المطلب الثاني: الأحوال السياسية

المطلب الثالث: الأحوال الاقتصادية

المطلب الرابع: الأحوال الاجتماعية

المطلب الأول: الأحوال الدينية:

حين نتتبع الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين نجد أن غالبية السكان يعتنقون المذهب الشافعي، بينما حكامها الأشراف الحسنيون يعتنقون المذهب الشيعي الزيدي(١)، ودليلنا على ذلك أن الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسني كان إمام الزيدية بمكة(٢)، ولا ننكر وجود المذاهب السنية الأخرى.

وبلا شك أن السبب الذي جعل من المذهب الزيدي ينتشر في مكة هو خضوعها للفاطميين الشيعة(٣)، وقد أضافوا إلى الأذان(حي على خير العمل) على أثر قول المؤذن (حي على الفلاح) وهــو أمر كان يفعله الفاطميون(٤)، وقـد استمر ذلك حتى تمكن الأيوبيون من

---

١) جميل حرب محمود حسين: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، (جدة: الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٦٣.

- الزيدية: هي أقرب فرق الشيعة من أهل السنة والجماعة، حيث تتصف بالاعتدال والابتعاد عن التطرف والغلو، وأتباعه يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد قد خرج في خلافة هشام بن عبدالملك، والزيدية تنقسم إلى ثلاث فرق هي: الجارودية والسليمانية والبترية أو الصالحية. انظر، البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد: الفرقُ بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص٢٢؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٢٥٧، ٢٥٩؛ محمود سالم عبيدات: تاريخ الفرق وعقائدها، ((د.ت))، ص٥٠، ٥٤ ، ٥٥.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٢٠.

- هو علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس، من ولد سليمان بن حسن بن علي ابن أبي طالب، من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، كان ذا فضلٍ غزير. وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر. واستفاد منه طلبة العلم. توفى سنة نيف وخمسين وخمسمائة هجرية. انظر، الحموي: معجم الأدباء، ج١٤، ص٨٥-٨٦.

٣) أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١،ص١٩٧.

٤) ابن جبير، أبو الحسين محمد الكناني: رحلة ابن جبير، (بيروت: دار صادر، (د.ت))،ص ٧٨؛ أحمد السباعي: المرجع السابق،ج١،ص١٩٧.

القضاء على الدولة الفاطمية، والغى السلطان صلاح الدين الأيوبي(١) شعار المذهب الزيدي(حي على خير العمل) من الأذان في المسجد الحرام(٢).

وقد شجع الأيوبيون منذ إقامة دولتهم في مصر نشر المذهب الشافعي — وذلك لأنهم كانوا شافعيين — في كافة أقاليم دولتهم(٣). ونتج عن ذلك أن أصبح للمذاهب السنية أهمية كبيرة في مكة وخاصة المذهب الشافعي، حتى أنه قد أصبح للحرم المكي خمسة أئمة. منهم أربعة سنيين وخامس زيدي(٤).

وكان الناس في السابق يصلون في المسجد الحرام خلف إمام واحد، واستمر الوضع كذلك إلى حوالي منتصف القرن الخامس الهجري، حيث أنشئت حول الكعبة أربعة مقامات(٥)؛ وذلك تبعًا لتعدد المذاهب، فكان لكل مذهب من المذاهب السنية — وأحيانًا يضاف لها مقام خامس للزيدية — إمام مقدم للصلاة لجماعته(٦).

أما كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات في المسجد الحرام، فكانت الأولوية للإمام الشافعي، فهو أول المصلين، وكان مقامه خلف مقام إبراهيم ﵇ ، ثم يصلي بعده الإمام المالكي في

---

١) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الدويني الأصل. ولد بتكريت سنة٥٣٢هـ/١١٣٨م. سمع بمصر والإسكندرية ودمشق، وروى الحديث. كان قائد المسلمين في معركة حطين سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م، استطاع أن يسترد بلاد الشام من الصليبيين. توفي سنة٥٨٩هـ/١١٩٣م. انظر، المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١، ص١٨٣-١٨٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٨٩٠-٩٠٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص١٣٩، ١٨٠.

٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص٢٢٤.

٣) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص١٦٣؛ نواف عبدالعزيز الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، (أبوظبي: دار السويدي، ط١، ٢٠٠٨م)، ص٤٣٢.

٤) جميل حسين: المرجع السابق، ص ١٦٣.

٥) انظر ملحق رقم (١)، ص٢٥٥.

٦) فوزي محمد عبده ساعاتي: أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام من خلال كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م، بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، المحور الثاني، ص٨٢.

محراب أمام الركن اليماني، ويصلي معه في الوقت نفسه الإمام الحنبلي، ومقامه يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني، وأخيرًا يصلي الإمام الحنفي، وصلاته أمام الميزاب تحت حطيم مصنوع له(١)، فكانت جميع الصلوات على هذا النحو ما عدا صلاة المغرب فإنهم يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، فيبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ومن ثم بقية الأئمة(٢). ومن المؤكد أنه قد يحدث سهو وغفلة للمصلين وذلك لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سجد الحنفي بسجود الحنبلي، أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه، ولذا كان على المصلين أن يصغوا باهتمام شديد لصوت إمامهم أو مؤذنهم لتلافي السهو الذي قد يحدث نتيجة لصلاة الأئمة في ذات الوقت(٣).

أما الإمام الزيدي فكان لا يصلي صلاة الجمعة مع الناس، وإنما يصلي أربع ركعات ظهرًا، كما كانوا يصلون المغرب بعد انتهاء الأئمة السنية من صلاتها(٤).

وتعتبر هذه الظاهرة — أي تعدد الأئمة بالمسجد الحرام – من المستحدثات التي لا يعرف

---

١) ابن جبير: الرحلة، ٧٨-٧٩؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه وقدم له علي المنتصر الكتاني، (مؤسسة الرسالة، (د.ت))،ج١، ص١٧٩.

٢) ابن جبير: المصدر السابق،ص٧٨-٧٩؛ ابن ظهيرة، محمد جار الله ابن أمين القرشي: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، ١/٢٠ د.تاريخ)، ورقة١٠٣؛ الطبري، علي بن عبد القادر: الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، إشراف سعيد عبدالفتاح، تحقيق أشرف أحمد الجمال، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز،ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)،ص١٧٤؛ عبدالله بن محمد الغازي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي،ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ج٢،ص٥١٧؛ جميل حسين: الحجاز واليمن،ص١٦٤.

٣) ابن جبير: المصدر السابق،ص٧٨-٧٩؛ ابن بطوطة: المصدر السابق،ج١،ص١٧٩؛ عبد الله الغازي: المرجع السابق، ج٢،ص٥١٧، نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي،ص٤٣٣.

٤) ابن جبير: المصدر السابق، ص٧٨؛ عبدالله الغازي: المرجع السابق، ج٢،ص٥١٧؛ جميل حسين: المرجع السابق،ص١٦٤.

متى بدأت، ولعله بدأ منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي(١)، ومما يؤيد ذلك أنابن عبد ربه(٢) قدم إلى مكة المكرمة في سنة٣٢٨هـ، فوصف المسجد الحرام، وذكر أروقته وأبوابه ووصف الكعبة المشرفة ومقام إبراهيم عليه السلام، ولم يشر إلى المقامات بأي إشارة مما يعني أن هذه الظاهرة لم تكن قد ظهرت بعد بالحرم المكي(٣).

ونجد أن أول خبر ورد عن بداية وجودهم في عهد الخليفة العباسي المأمون(٤) الذي قيل أن المقامات عمرت في عهده، و أُورِد خبرٌ آخر يفيد أن أول من أحدث المقامات حول البيت الحرام هو الخليفة العباسي المتوكل(٥)، والحقيقة أن كلا الخبرين مشكوك في صحته، لأن

---

١) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي،ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)،ج١، ص٣٩٥؛ عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة تحليلية مقارنة –، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص٢٥١؛ نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص٤٣٤.

٢) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير الأموي، ولد سنة٢٤٦هـ/٨٦٠م. كان مولى للأمير هشام بن عبدالرحمن بن معاوية. سمع من بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، والخشني. وكان أديب الأندلس وشاعرها وفصيحها، ومن مؤلفاته: « العقد الفريد ». توفي سنة٣٢٨هـ/٩٤٠م، وقيل: ٣٨٢هـ/٩٩٢م. انظر، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٨٧–٨٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٥٤٤.

٣) ابن عبدربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير الأندلسي: العقد الفريد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ)، ج٧،ص٢٨٢–٢٨٧؛ عواطف نواب: المرجع السابق، ص٢٥١.

٤) هو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد. ولد سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م. برع في الفقه، والعربية، وعنى بالفلسفة، وعلوم الأوائل. تولى الخلافة سنة ١٩٨هـ/٨١٤م، وقد تميز عصره باتساع الحركة العلمية، بل وشجع على نشر العلم، وذلك باهتمامه بالترجمة. و في عهده كان القول بخلق القرآن.انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٨٣–١٩٢؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٥–٢٣٠؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٤٢.

٥) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن هارون الرشيد. ولد سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وقيل: ٢٠٧هـ/٨٢٢م. بويع بالخلافة سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م، ويُعد عهده بداية عصر ضعف الدولة العباسية. توفي مقتولاً سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص١٦٥–١٧٢؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٥٢–٢٥٥؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج٢، ص١٢٧.

صاحب غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ابتدأهما بعبارة "ولعله " وختمهما بـ " والله أعلم"(١). وهناك قولٌ ثالث يفيد أن بداية وجودهم بالمسجد الحرام كان مع بداية دولة الموسويين الأشراف، وبهذا يكون الإمام الزيدي أول الأئمة ظهورًا بعد الإمام السني الشافعي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م(٢).

وقد تتابع بعد ذلك ظهور الأئمة الحنفي والمالكي اللذين وُجدا سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م، وثم ظهور الإمام الحنبلي في سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م، وبذلك يكون آخر الأئمة ظهورًا بالحرم المكي(٣).

وعلى الرغم من هذا التعدد المذهبي في الحرم المكي فقد ساد التعايش المذهبي السلمي، وسار أئمة وعلماء المذاهب جنبًا إلى جنب لنشر العلم، وذلك بعقدهم للمجالس والحلقات العلمية مما يؤكد على أن تعدد المذاهب كان له أثر إيجابي على انتشار العلوم الدينية(٤).

غير أن هناك حادثة قد جرت بين السنة والرافضة سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م، فشكا الروافض إلى أمير مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم، فأخذ هذا الأمير فقيه الحرم هياج الحطيني(٥) و أبي محمد الأنماطي وأبي الفضل بن قوام،فعذبهم عذابًا شديدًا، مات على أثره أبو محمد، وأبو

---

١) ابن علي، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زياده، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج١،ص١٥٦؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص٢٥١؛ نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص٤٣٤-٤٣٥.

٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٤،ص٩٩؛ عواطف نواب: المرجع السابق،ص٢٥١؛ نواف الجحمة: المرجع السابق،ص٤٣٥.

٣) ابن علي: المصدر السابق،ج١،ص١٥٦؛ عواطف نواب: المرجع السابق،ص٢٥٢؛ نواف الجحمة: المرجع السابق،ص٤٣٥.

٤) عواطف نواب: المرجع السابق،ص٢٥٣؛ نواف الجحمة: المرجع السابق،ص٤٣٦.

٥) هو أبو محمد هياج بن عبيد الحطيني. ولد بعد سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م، وسمع من أبي الحسن علي بن السمسار، وعبدالعزيز بن علي الأزجي، والسكن بن جُميح، وغيرهم. كان عارفًا بالحديث، والمذهب. حدث عنه محمد بن طاهر، وأبو نصر هبة الله السجزي، وغيرهما. كان مفتي أهل مكة. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٩٣-٣٩٤؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٩١؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٣١٢.

الفضل، بينما حُمل هياج إلى زاويته، وجلس أيامًا فمات(١).

أما عن موقف العلماء من تعدد المقامات في الحرم المكي فقد استنكروا ذلك، فمن علماء المالكية الذين أنكروها الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب(٢) الذي أفتى في سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م بمنع الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مرتبة بالمسجد الحرام، وعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة(٣). أما من أنكر ذلك من علماء الشافعية أبو النجيب مدرس النظامية(٤)، ويوسف الدمشقي(٥) اللذين ذكرا أن صلاة المغرب بالمسجد الحرام هي أبشع وأشنع؛ والسبب الذي دفعهما لقول ذلك هو اجتماع الأئمة باختلاف مذاهبهم بصلاتها في نفس الوقت، وما يترتب على ذلك من لغط وسهو. أما من علماء الحنفية الذين أنكروا ذلك الشريف الغزنوي(٦) الذي حضر موسم حج سنة٥٥١هـ/١١٥٦م(٧).

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٨٠؛ السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، دراسة وتحقيق جميل عبدالله محمد المصري، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٢،ص٢٣٦.

٢) لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٣) النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢،ص٥١٦؛ يوسف بن محمد بن داخل الصبحي: وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم (تراجم أئمة وخطباء المسجد الحرام عبر العصور)، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٥٩.

٤) هو أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي. ولد تقريبًا سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م. نزل بغداد وسكنها، وتفقه بالنظامية على أسعد الميهني، ثم انقطع عن الناس، وبنى لنفسه رباطًا على شط دجلة، وصار له كثير من المريدين. وسمع الحديث من أبي علي محمد بن نبهان، وغيره، توفى سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م. انظر، السمعاني، عبدالكريم بن محمد ابن منصور التميمي: الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، (بيروت: دار الجنان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٣، ص٣٤٠-٣٤١؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، (بيروت: دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م) ، ج٢، ص٦١٨-٦١٩.

٥) هو شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن بن المفرج النابلسي الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م. كان عالمًا بالحديث، وأديب. تولى مشيخة دار الحديث النورية بدمشق. من مؤلفاته: «الموافيات في الحديث». توفي سنة ٦٧١هـ/١٢٧٣م. انظر، الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٢٢٤؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٤، ص١٥٤.

٦) لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٧) حسين عبدالله باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، (جدة: تهامة، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)،ص٢٣٠-٢٣١.

وقد استفتى بعض الناس عدد من علماء الإسكندرية في هذا الأمر، فأفتوا بجوازها، والذي أفتى بذلك شداد بن المقدم(١)، وعبد السلام ابن عتيق(٢)، وأبو الطاهر بن عوف بن الزهري(٣).

ومن المؤكد شرعيًا أن تعدد الجماعات في المقامات الأربعة في الحرم المكي كان بدعة بإجماع المسلمين، وسببًا من أسباب تفرقة الجماعات، وقد حدثت بسبب هذه المذاهب التي فرقت فرق الإسلام مفسدة أصيب بها الدين وأهله، وأن من أعظمها خطرًا وأشدها على الإسلام هو ما حدث في المسجد الحرام من تفريق الجماعات، و وقوف كل طائفة مذهبية في مقام من هذه المقامات كأنهم أهل أديان مختلفة، وشرائع غير مؤتلفة(٤).

وكان ذو الحجة من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال، وفيه يقصد المسلمون مكة المكرمة لأداء ركن من أركان الإسلام، فيؤدون المناسك التي تنص عليها الشريعة في وقت معين. ومناسك الحج تؤدى مرة في السنة من اليوم الثامن إلى اليوم الثاني عشر من الشهر. وتجدر الإشارة أنه في فترة الدراسة قد حدثت بعض الفتن والإضطرابات في بعض مواسم الحج كان لها انعكاس على سير مناسك الحج، وأيضًا على استباحة الشهر الحرام، ولا يتضح لنا ذلك إلا بإلقاء الضوء على تلك الأحداث(٥).

ومن أشدها ما فعله الأمير الشريف أبو الفتوح، وابنه شكر من بعده حيث تم منع الحج العراقي سنوات، وذلك لسوء صلتهم بالعباسيين، كما منعوه من جهات أخرى لعصيان البادية(٦).

---

١) لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٢) لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٣) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٢٣٠.

- هو أبو الطاهر إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف القرشي الزهري الإسكندري الفقيه المالكي. ولد سنة٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وتفقه على أبي بكر الطرطوشي. وقد برع في المذهب، وأقرأ الناس، وتخرَّج به جماعة. حدث عنه الحافظ عبدالغني المقدسي، وعبدالقادر الرهاوي، وعلي بن المفضل، وآخرون. توفي سنة٥٨١هـ/١١٨٥م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٧٢٤.

٤) حسين باسلامة: المرجع السابق، ص٢٣٢-٢٣٣.

٥) نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي،ص٥٤٠.

٦) أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١،ص١٨١-١٨٢.

وقد حدث بعد انقضاء موسم حج سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، ومغادرة حجاج الشام مكة، أن سَيَّرَ إليهم أمير مكة محمد بن أبي هاشم عسكرًا لينهبوهم، فأدركوهم بالقرب من مكة، فنهبوا كثيرًا من أموالهم وجمالهم، فعاد هؤلاء الحجاج إلى مكة مستغيثين بأميرها، فأخبروه بما حدث وسألوه أن يعيد إليهم ما أُخِذ منهم، وشكوا إليه بُعْد ديارهم، فأعاد إليهم بعض ما أخذه منهم، فلما أصابهم اليأس منه غادروا مكة على أقبح صورة(١).

وفي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م حدث خلاف بين أمير مكة هاشم بن فليتة وأمير الحج العراقي(٢)، وقد ترتب على هذا الخلاف أن نهب أهل مكة الحجاج، وهم في المسجد الحرام يطوفون ويصلون، ولم يرقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمة(٣).

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م حدثت حرب بين عبيد مكة وأمير الحج العراقي، واستحكمت الحرب بينهم، فلم يستطع أحد من حجاج العراق أن يدخل مكة، ولذا لم يقضوا من الحج غير الوقوف بعرفة(٤).

وفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م حدثت فتنة بين أهل مكة والحجاج العراقيين، وسببها أن

---

١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٦٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣٦٤؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٨٦-٣٨٧؛ العز بن فهد، عبدالعزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص٥١٤؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصاري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر حمد الجاسر، (الرياض: منشورات دار اليمامة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص٥٥٤.

٢) فقد ذكر الجزيري والفاسي أن أمير الحج هو نظر الخادم، بينما ذكر عمر بن فهد أن أمير الحج هو قطز الخادم.انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج١،ص١٨٨؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٨؛ الجزيري: المصدر السابق، ج١، ص٥٦٠.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١٨٧-١٨٨؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٨؛ الجزيري: المصدر السابق، ج١،ص٥٦٠؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٤٦.

٤) السنجاري: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٨.

جماعة من عبيد مكة – عسكر الأمير عيسى بن فليتة – قد عاثوا في الحاج العراقي بمنى، فتصدى لهم رجال أمير الحج العراقي برغش، وقتلوا جماعة من أهل مكة، فرجع من سلم من العسكر إلى مكة، فجمعوا الرجال، وأغاروا على جمال الحاج، فوقع القتال بين الطرفين، وقتل ونهب خلق كثير من الحجاج العراقيين، فجمع أمير الحاج الحجيج، ولم يدخل بهم مكة، خوفًا عليهم، فلم يقدروا من الحج إلا على الوقوف بعرفة، وفر كثير من الناس مشاة لسلبهم جمالهم، ورجع البعض منهم قبل إتمام حجه، وهؤلاء هم الذين لم يدخلوا مكة يوم النحر للطواف والسعي(١).

كما بات الحجاج العراقيين بعرفة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م، ولم يبيتوا بمزدلفة، ولم يصلوا إليها إلا في يوم عرفة، وحين دخل طاشتكين(٢) أمير الحج العراقي مكة لطواف الوداع، هَمّ ضعاف الإيمان من أهل مكة بالهجوم عليه بغتة، وذلك لمنازعة جرت بين الفريقين، وسالمهم إلى أن خرج إلى الزاهر، فوقع قتال يسير بينهم(٣).

---

١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج١٨، ص١٥٥؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣٦٥-٣٦٦؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٢٥؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٣١؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٦٥؛ الطبري: الأرج المسكي، ص١١٥؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٥١.

٢) هو الأمير مجير الدين طاشتكين بن عبدالله المقتفوي. كان شيخًا خيرًا حسن السيرة. تولى امارة الحج لستة وعشرين سنة. وكان زعيم بلاد خوزستان. توفي سنة٦٠٢هـ/١٢٠٥م بتستر. انظر، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق مصطفى بن العدوي، (المنصورة: دار ابن رجب،ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ج٨، ص٥٩٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٦٩؛ أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي: تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين (المعروف بالذيل على الروضتين)، (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤م)، ص٥٣-٥٤.

٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ٣٦٧؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٥-٥٣٦؛ الجزيري: المصدر السابق، ج١، ٥٧٠.

وفي سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م سار أمير الحاج العراقي طاشتكين، وأمره الخليفة العباسي المستضيء(١) بعزل أمير مكة مكثر بن عيسى(٢)؛ وذلك لقيامه ببناء حصن على جبل أبي قبيس(٣)، فلما علم مكثر بذلك جمع رجاله، ولم يحج من أهل مكة إلا القليل، ولم يتمكن أكثر الحجاج من إقامة مناسك الحج، فقد باتوا بعرفة بدلاً من المبيت بمزدلفة، كما لم ينزلوا منى للمبيت بها إلا ليلة، ولم يرموا الجمرات، وإنما رمى بعضهم جمرة العقبة وهو سائر، ونزلوا بالأبطح يوم النحر، فأغار عليهم بعض أهل مكة، فوقع القتال بين الفريقين في ذلك اليوم، وفي اليومين التاليين(٤).

وفي يوم عرفة سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م وقعت فتنة بين الحجاج العراقيين و الشاميين، والسبب في هذه الفتنة أن أمير الحاج العراقي طاشتكين طلب من أمير الحاج الشامي ابن المقدم(٥) أن لا يرفع علم السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومنعه من الإفاضة قبله من عرفات(٦) ، " وقال

---

١) هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله يوسف. ولد سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م. بويع بالخلافة سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م، فرفع المكوس، ورد المظالم. وفي عهده انقضت الدولة الفاطمية، وخطب له بمصر، وضربت السكة باسمه. توفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٥، ص١٦٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣١٥-٣١٧؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٢٧.

٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه أيوب: تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع هوامشه محمود ديّوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٢،ص١٣٨؛ جميل حسين: الحجاز واليمن، ص١٧٨.

٣) يشرف هذا الجبل على المسجد الحرام من جهة الشرق، وهو أحد الأخشبين، ويقع بين شعب علي و أجياد. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٨١؛ عاتق بن غيث البلادي: معالم مكة التاريخية والآثرية، (مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١١.

٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٨، ص٢٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٢٩٨؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢،ص٥٣٦-٥٣٧؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١،ص٥٧١؛ جميل حسين: المرجع السابق،ص١٧٩.

٥) هو الأمير شمس الدين محمد بن عبدالله — وقيل: عبدالملك - بن المقدم. من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين، ثم السلطان صلاح الدين بن أيوب. شارك مع صلاح الدين في جميع حروبه، وكان نائبًا عنه بدمشق، وأوقف بها مدرسة. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٢٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٩٥-٩٦.

٦) أبو الفداء: المصدر السابق،ج٢،ص١٥٧-١٥٨؛ الفاسي: العقد الثمين،ج٢،ص١٢٨؛ النجم بن فهد: المصدر السابق،ج٢،ص٥٥٥؛ الجزيري: المصدر السابق،ج١،ص٥٧٤-٥٧٥؛ السنجاري: منائح الكرم،ج٢،ص٢٦٤؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٢،ص٤٧٠.

له: هذا موضعلا يرفع فيه إلا علم الخليفة. فقال ابن المقدم: السلطان مملوك أمير المؤمنين، ونحن مماليك السلطان، وليس لك معي تعلق، أنت أمير الحاج العراقي، وأنا أمير الحاج الشامي"(١) ولم ينصاع ابن المقدم لطاشتكين، فوقع القتال بين الطرفين، كان من نتيجته أن قتل جماعة من الفريقين، وأصيب ابن المقدم بسهم مات على أثره يوم النحر(٢).

وهكذا بلغ الاستخفاف بالقيم الدينية و بمناسك الحج لدرجة أن الحجاج يبيتون بعرفة بدلاً من المبيت بمزدلفة، ولا يرمون الجمرات، ولا يبيتون بمنى، وإنما يسيرون لقتال إخوانهم من أجل مآرب شخصية، وانتهك الشهر الحرام(٣).

وقد كان لذلك أثرًا سلبيًا على الحياة العلمية في مكة المكرمة، لتخوف المسلمين في أرجاء المعمورة من الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج، وتبع ذلك ظهور نقص في أعداد الحجاج وكذا المجاورين. وبلا شك أنه قد قلت الحلقات والمجالس العلمية التي كان يعقدها العلماء في موسم الحج، وذلك لانشغال المسلمين بتلك الفتن(٤).

وقد احتفل أهل مكة بعدد من الأعياد غير ما كان يُحتفل به من الأعياد الدينية والمناسبات، وهذه الأعياد هي: عيد المولد النبوي، وعيد مولد السيدة فاطمة، و مولد السيدة خديجة والسيدة آمنة، و مولد علي، وأمثال ذلك كيوم عاشوراء وآخر أربعاء من شهر صفر، ولم تكن مكة تعرفها قبل الفاطميين(٥).

وعن طريقة الاحتفال بالمولد، فكانت تبدأ من المسجد الحرام بعد صلاة المغرب ليلة الثاني عشر من ربيع الأول حيث يجتمع بعض القضاة وعدد من العلماء ممن يرون جوازه، وعدد من

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٥٦؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٧٥.

٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج٢،ص١٥٧-١٥٨؛ الفاسي: العقد الثمين،ج٢،ص١٢٨؛ النجم بن فهد: المصدر السابق،ج٢،ص٥٥٦؛ الجزيري: المصدر السابق ،ج١،ص٥٧٤-٥٧٥؛ السنجاري: منائح الكرم،ج٢،ص٢٦٤؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٢،ص٤٧٠-٤٧١.

٣) جميل حسين: الحجاز واليمن،ص١٧٩.

٤) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز،ص١٩-٢٠.

٥) أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١،ص١٩٧.

عامة الناس وحاكم مكة، ويخرجون في موكب عظيم تحت ضوء الشموع إلى المكان الذي يقال أن النبي ﷺ وُلد فيه – كان دارًا فعملته السيدة الخيزران زوجة الخليفة المهدي مسجدًا – وتلقى خطبة المولد، وتوزع قطع الحلوى على الحضور، وفي صبيحة اليوم الثاني عشر يعقد القاضي الشافعي اجتماعًا بمنزله يسمى مولدًا يحضره أعيان البلد ويؤكل الطعام(١). وفي ذلك اليوم أيضًا يفتح باب الكعبة المشرفة للناس(٢).

وكذلك في يوم الجمعة يضرب عبيد البلد بمقارع – عن طريق نفضها في الهواء تسمى الفرقعة وهي عود في طرفة جلد رقيق مفتول – فتحدث صوتًا عاليًا يسمع داخل الحرم وخارجه، وهم يمشون بين يدي الخطيب، وذلك إيذانًا بوصوله، حتى يصل إلى المنبر، وكذلك تضرب بعد انتهاء الصلاة، وكانت تضرب على غفلة مسببة الإزعاج، وقد أنكر أبو الفرج بن الجوزي هذا الأمر، معللاً أن المسجد الحرام مكانًا يجب احترامه عن رفع الأصوات، وأن الأذان يكفي(٣).

ومن معتقداتهم أن يوم عرفة إن لم يوافق يوم جمعة، فوقفتهم ليست مقبولة، ولا الرحمة فيها من الله مرجوة مأمولة على حد قول ابن جبير، والدليل على ذلك ما ذكره " فبينما هم كذلك إذ كبر أحدهم فكبر الجم الغفير لتكبيره ومثلوا قيامًا ينتظرون مالا يبصرون ويشيرون إلى ما يتخيلون حرصًا منهم على أن تكون الوقفة بعرفات يوم الجمعة، كأن الحج لا يرتبط إلا بهذا اليوم بعينه، فاختلقوا شهادات زورية، ومشت منهم طائفة من المغاربة، أصلح الله أحوالهم، ومن أهل مصر وأربابها، فشهدوا عند القاضي برؤيته، فردهم أقبح رد وجرح شهاداتهم أسوأ تجريح وفضحهم في تزييف أقوالهم أخزى فضيحة، وقال: يا للعجب! لو أن أحدهم يشهد برؤيته

---

١) عبدالحفيظ بن حمدي بن حامد السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢٤-١٤٢٥هـ، ص٢٨٦.

٢) ابن بطوطة: تحفة النظار،ج١،ص١٥٥.

٣) ابن جبير: الرحلة، ص٧٢-٧٣؛ ابن بطوطة: المصدر السابق،ج١، ص١٧٩-١٨٠؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٥٢٠.

الشمس تحت ذلك الغيم الكثيف النسج لما قبلته، فكيف برؤية هلال هو ابن تسع وعشرين ليلة! "(١).

وكان بعض أهل مكة يتبركون بماء غسل البيت بماء زمزم، وذلك أنه في يوم غسل الكعبة المشرفة يقوم الشيبيون بغسلها بماء زمزم، والسبب في ذلك أن كثيرًا من النساء يدخلن أطفالهن معهن، ولذا يتم غسلها تكريمًا وتنزيهًا وإزالة لما يحيك في النفوس من هواجس الظنون فيما قد ارتكبه بعض هؤلاء الأطفال من نجاسة داخل الكعبة المشرفة. ولكن عند انسياب الماء عنه كان كثير من الرجال والنساء يبادرون إليه تبركًا وذلك بغسل أوجههم وأيديهم فيه، وربما جمعوا منه في أوانٍ قد أعدوها لذلك، وتناسوا السبب الذي من أجله غسلت الكعبة، وربما أصابهم الأذى من هذه المياه(٢).

ويمكننا القول أنه من غير المتوقع أن تصل الحياة العملية في مكة المكرمة في ظل تلك الظروف إلى أوجها، نظرًا لاضطراب أمن الحجاج، وقلة وصولهم إلى مكة(٣)، خاصة إذا علمنا أن من بينهم العلماء، الذين ينتهزون فرصة قدومهم إلى الحج لإلقاء دروسهم والاستماع لمجالس العلم، ولكن لا يمكن أخذ هذا القول على مطلقه، وذلك ما سيتضح لنا من خلال هذه الدراسة.

المطلب الثاني: الأحوال السياسية:

تعاقبت في حكم مكة المكرمة أربعة أسر من الأشراف الحسنيين(٤)، وأولها الموسويون(٥).

---

١) ابن جبير: الرحلة، ص١٤٦.

٢) المصدر السابق، ص ١١٦؛ نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص٥٥٣-٥٥٤.

٣) ضيف الله بن يحيى الزهراني، وعادل محمد نورغباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، (مكة المكرمة: الغرفة التجارية الصناعية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٢٣.

٤) انظر ملحق رقم (٢)، ص٢٥٦.

٥) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص٧٤.

وممن حكم منهم في فترة الدراسة أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني، وقد تولى إمرة مكة سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م، واستمر في الخطبة للفاطميين(١)، رغم محاولات الخليفة العباسي القادر(٢) الذي كتب إليه سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م يحثه على الدخول في طاعة العباسيين، والبقاء في إمارة مكة له ولذريته، فبعث أبو الفتوح بهذا الكتاب إلى الخليفة الفاطمي العزيز(٣)، الذي بدوره أرسل إليه الأموال والخلع(٤)، كما كتب إليه سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٦م في الإذن لحاج العراق، فما كان من أبي الفتوح إلا أن أجابه بأن الخطبة للحاكم بأمر الله الفاطمي(٥).

وقد استطاع أبو الفتوح أن يمد نفوذه إلى المدينة المنورة بعد أن أزال إمارة بني مهنا الحسينيين سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م ، نظرًا لأمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله(٦)، وذلك حين بلغه أن

---

١) عائشة بنت عبدالله باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧-٦٤٨هـ،/١١٧١-١٢٥٠م، (مكة المكرمة: دار مكة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٢٣.

٢) هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر. ولد سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م. ولي الخلافة سنة ٣٨١هـ/٩٩١م. تفقه على أبي بشر الهروي، وصنّف كتابًا في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث. وهو آخر خليفة عباسي تولى الأحكام بنفسه. توفى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٧-٣٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٩٤-٢٩٧؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج١، ص٩٥-٩٦.

٣) هو أبو منصور نزار بن معدّ المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور بالله، ثاني خلفاء مصر من الفاطميين، والخامس ممن ولِي من آبائه الخلافة بالمغرب. ولد بالمهدية سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م، وقيل: ٣٤٤هـ/٩٥٥م. ولِي الخلافة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م. توفى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م. انظر، المقريزي: اتعاظ الحُنفا، ج١، ص٢٣٦؛ ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١١٦؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج٨، ص١٦.

٤) العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٤٩١؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص ٢٢١.

٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص ١٣٠.

- الحاكم بأمر الله: هو أبو علي منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل العبيدي الفاطمي. ولد بالقاهرة سنة٣٧٥هـ/٩٨٥م، وبويع بالخلافة سنة٣٨٦هـ/٩٩٦م. وفي سيرته متناقضات عجيبة: يأمر بالشيء ثم يعاقب عليه، ويعلي مرتبة الوزير ثم يقتله، ويبني المدارس وينصب فيها الفقهاء، ثم يهدمها ويقتل فقهاءها. توفي سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م. انظر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٧٦-١٩٢؛ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج٧، ص٣٠٥.

٦) محمد بن أحمد بن سالم بن محمد الصباغ المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، (طبع على نفقة المحقق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج٢، ص٧٣٠.

حكام المدينة قد طعنوا في نسب الفاطميين، و قطعوا الخطبة لهم، ولكن ما أن عاد أبو الفتوح إلى مكة المكرمة حتى رجع آل مهنا إلى الحكم في المدينة المنورة، وأقاموا الخطبة للفاطميين(١).

وحسبنا أن نشير إلى أن هذه العلاقة بين أمير مكة والخليفة الفاطمي لم تدم طويلاً، حيث أصابها التصدع، وذلك لأن الحاكم بأمر الله قد أرسل سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م سجلاً إلى أبي الفتوح الحسني ينتقص فيه بعض الصحابة – رضي الله عنهم –، وبعض أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – ، وأمره أن يأمر الخطيب بقراءته على المنبر، فشق ذلك على أبي الفتوح، وحين علم الناس بهذا السجل اتجهوا إلى المسجد غضبًا لله ولرسوله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. وانتهى ذلك اليوم بعصيان أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي، فلم يعلن هذا السجل بمكة(٢).

وقد واجه الخليفة الفاطمي عصيان أبي الفتوح بقطع الميرة من مصر عن الحرمين، فقد بدا للحاكم بأمر الله أن خروج أبي الفتوح مشكلة داخلية يمكن حلها بقطع الميرة والإعانة المصرية وتجويع مكة، فيضطر أبو الفتوح تحت الظروف الناتجة عن ذلك، وتحت إصرار بني عمه الأشراف الذين لا يخلو أن يكون للحاكم بينهم صنايع إلى أن يرضخ للطاعة(٣).

ولكن الأمر لم يسر كما خطط له الخليفة الفاطمي إذ ما لبث أن أعلن أبو الفتوح سنة٤٠١هـ/١٠١١م(٤)، وقيل: سنة ٤٠٢هـ/١٠١٢م (٥) خروجه عن طاعة الحاكم بأمر الله، واتخذ لنفسه لقب الخلافة وتلقب " بالراشد بالله "، وأخذ ما في خزانة الكعبة من مال و

---

١) محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١٧؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٢٣.

٢) العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٤٩٣؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٠٨-٢٠٩.

٣)أحمد عمر الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١-٤٨٧هـ، (بيروت: الدار العربية للموسوعات،ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ص٥١.

٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٥؛ الفاسي: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص١٨٢؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص ٥٣٦؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٣٣٣.

٥) الطبري: المصدر السابق، ص٣٣٣؛ السنجاري: المصدر السابق، ج٢، ص٢١٧ ؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص٧٦-٧٧؛ أحمد الزيلعي: المرجع السابق، ص٥١.

نفائس، وأموالاً للتجار من جدة(١)، وبايعه بالخلافة بني حسن وقبائل بني سليم(٢) وبني هلال(٣) وبني عوف بن عامر(٤)، وقد تم هذا بإغراء من الوزير أبي القاسم حسين بن علي المغربي(٥) الذي خرج عن طاعة الفاطميين(٦).

وخرج أبو الفتوح من مكة ومعه قوة عسكرية قاصدًا بلاد الشام، فنزل الرملة(٧) واستقبله حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجـوه العرب، وبايعوه بالخلافة، وأقيمت له الخطبة في

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٢٧؛ ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة٤٢؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٣٦-٥٣٧؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص ٢١٨؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٧٣١؛ عبدالله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص٧٧.

٢) قبيلة عظيمة من قيس عيلان، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس، وهم من أكثر قبائل قيس، ومنازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، وحرة سليم وحرة النار ووادي القرى وتيماء. انظر، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت))، ص٢٧١.

٣) بطن من عامر بن صعصعة، من هوازن، من قيس بن عيلان، من العدنانية. كانوا يقطنون الحجاز ونجد حول مكة، وفي بسائط الطائف مابينه وبين جبل غزوان، وأقاموا بالشام، ثم رحلوا إلى مصر والمغرب. انظر، عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون،ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ج٣، ص٣٤٧.

٤) بني عوف بن عامر: بني عوف بطن من المنتفق من عامر بن صعصعة من العدنانية. انظر، القلقشندي: نهاية الأرب، ص٣٤٣.

٥) كان والده وزيرًا للحاكم بأمر الله الفاطمي، ثم لما قتل الحاكم أباه وعمه وإخوته هرب إلى الرملة مستجيرًا، ثم قصد العراق. ووزر لصاحب ميافارقين أحمد بن مروان. ومن مؤلفاته: «مختصر إصلاح المنطق»، و«الإيناس»، «أدب الخواص»، وغير ذلك. توفي سنة٤١٨هـ/١٠٢٧م. انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢، ص١٧٢-١٧٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٩٤-٣٩٦؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٩١.

٦) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١،ص١٧٩؛ محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١٧؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٣٢-٣٣ ؛ سليمان مالكي: مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص١٠٨.

٧) مدينة بفلسطين، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يومًا. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٦٩.

كثير من بلاد الشام(١).

لما وصلت هذه الأخبار إلى الحاكم انزعج وقلق، وخاصة وأنه يعلم " أن أبا الفتوح أهْلٌ لما أُهِلٍّ له بالخلافة "، لكفاءته الشخصية ونسبه الشريف الذي لا مغمز فيه، فاتخذ الخليفة الفاطمي عدة خطوات لحل هذه المشكلة، الخطوة الأولى فرض الحصار الاقتصادي على مكة المكرمة حيث قرئ سجل بمنع الناس من السفر إلى مكة في البر والبحر، وكذلك من حمل الأمتعة والأقوات إليها، حتى أنه قد رُدّ قوم خرجوا إلى الحج من الطريق(٢).

أما الخطوة الثانية التي اتبعها الحاكم بأمر الله لحرب أبي الفتوح فهي القضاء على نفوذه في مكة، فكتب إلى أبي الطيب ابن عم أبي الفتوح فولاه الحرمين، وأنفذ له ولشيوخ بني حسن مالاً، ونجح أبو الطيب في صرف العرب عن طاعة أبي الفتوح، والدخول في طاعة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله(٣).

وأما الخطوة الثالثة والأخيرة فهي تفريق الصف من حول أبي الفتوح باستمالة حسان بن مفرج بالمال، ووعده بأن يدفع له خمسين ألف دينار عينًا، ولكل واحد من إخوته كذلك، عدا عن الهدايا والثياب، وبالفعل تفرقوا من حوله، و دخلوا في طاعة الخليفة الفاطمي(٤).

ولما أدرك أبو الفتوح ذلك سارع إلى الوزير ابن المغربي، وقال له: " أغويتني وأخرجتني إلى هؤلاء القوم الغدارين، وأخرجتني من بلدي ونعمتي وإمارتي، وجعلتني في أيدي هؤلاء ينفقون سوقهم بي عند الحاكم، ويبيعونني بيعًا بالدراهم، فيجب عليك أن تخلصني كما أوقعتني، وتسهل سبيلي بالعودة إلى الحجاز، فإني راضٍ من الغنيمة بالإياب، ومتى لم تفعل اضطررت إلى

---

١) محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١٧-١٨.

٢) العز بن فهد: غاية المرام، ج١،ص٤٨٥؛ المقريزي: اتعاظ الحُنفا، ج٢،ص٩٠؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١،ص٥٣٧؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٥٤.

٣) الجزيري: المصدر السابق، ج١،ص٥٣٧؛ محمد سرور: المرجع السابق،ص١٨؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز،ص٢٤؛ أحمد الزيلعي: المرجع السابق، ص٥٦.

٤) الجزيري: المصدر السابق، ج١، ص٥٣٧؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٧٣١-٧٣٢؛ محمد سرور: المرجع السابق، ص١٨؛ عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص ٢٣.

أن أركب فرسي، وأركب التغرير في طلب النجاة. فشجعه وثبته، وأخذ يفكر في خلاصه، وطال الأمر على أبي الفتوح؛ فركب دابته إلى المفرج والد حسان سرًا، وقال له: إني فارقت نعمتي، وكاشفت الحاكم؛ وذلك لركوني إلى ذمامكم، وسكوني إلى مقامكم، ولي في عنقك مواثيق، وأنت أحق من وَفَّى؛ لمكانك من قومك ورياستهم، وإن خير ما وَرَّثَه الإنسان ولده ما يكون له به الحمد والشكر وحسن الذكر. وأرى حسانًا ولدك قد أصلح نفسه مع الحاكم، واتبعه أكثر أصحابه، وأنا خائف من غدرِهِ بي، وما أريد إلا العود إلى الوطن. فوعده المفرج بالسلامة"(١). فأخذ المفرج على عاتقه تسوية الأمور، وتوسط بين أبي الفتوح والخليفة الفاطمي بالصلح على أن يتنازل عن دعوته بالخلافة مقابل إخلاء مكة من خصومه، وأن يعود إلى مكة ليحكمها كما كان يحكمها من قبل.

فعاد أبو الفتوح إلى مكة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م، وأقام الخطبة للحاكم بأمر الله الفاطمي، كما نقش اسمه على السكة(٢)، واستمرت الخطبة لهذا الخليفة حتى وفاته سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، فأقامهالابنه وخليفته الظاهر لدين الله(٣).

وفي تلك الأثناء استمر أبو الفتوح في توسيع رقعة أمارته حتى وصلت حدود اليمن(٤)، حيث حشد قبائل العرب، وحارب رجلاً من بني حرام خالف صاحب اليمن، واستولى على مدينة حَلْي(٥)، إلا أن أبا الفتوح تمكن من أخذها منه سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م(٦). كما

---

١) العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٤٨٦.

٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٨٠.

٣) هو أبو الحسن علي بن منصور بن العزيز بن المعز الفاطمي. ولد سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م. أمه أم ولد تدعى رقية، وقيل: آمنة بنت الأمير عبدالله بن المعز. ولي بعد وفاة أبيه سنة٤١١هـ/١٠٢٠م بعهد منه، وله من العمر١٦عام، وهو رابع الخلفاء الفاطميين بمصر. توفي سنة٤٢٧هـ/١٠٣٦م. انظر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٤٧، ٢٥٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٢٤-١٢٥؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٥.

٤) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص٥٧.

٥) هي مدينة باليمن على ساحل البحر، تبعد عن السرين يوم واحد، وعن مكة ثمانية أيام. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧.

٦) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٤٦؛ العز بن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٤٩٤.

خطب من بعده للمستنصر الفاطمي(١) سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م، وهكذا ظل أبو الفتوح مواليًا للفاطميين حتى وفاته سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م(٢).

وخلفه على إمارة مكة من بعده ابنه شكر الذي استطاع أن يضم المدينة المنورة إلى إمارته(٣)، وبذلك جمع بين الحرمين ثلاثًا وعشرين سنة(٤)، واستمر في الخطبة للفاطميين حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م(٥).

وبشكر انقرضت سلالته وحُكمها في مكة إذ لم يترك أولادًا ذكورًا(٦)، فتسبب ذلك في حدوث أزمة، وانتهى أمر مكة إلى عبدٍ له لم يذكر المؤرخون اسمه، ومن الغريب أن يتولى أمر مكة أحد العبيد وفيها من سادة العلويين والأشراف وأعيان الأهالي والمجاورين من لايحصيهم العدد . ولكن يبدو أن الأشراف كانوا منقسمين على أنفسهم، فتنازع بنو سليمان فيما بينهم مما أدى إلى سيطرة هذا العبد على مقاليد الحكم، ولعل هذا العبد كان له من شكيمة أسياده

---

١) هو أبو تميم معد بن علي بن الحاكم بأمر الله. ولد سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، وأمه أم ولد تدعى رصد. بويع بعد أبيه وهو طفل — ٧ سنوات – ، وقام بأمره وزير أبيه علي بن أحمد الجرجرائي، ثم تغلبت أمه على الدولة، فأصبحت تصطنع الوزراء وتوليهم. توفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وكانت مدة حكمه ٦٠ سنة. انظر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣-١٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٨٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٣٢؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٦٦.

٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٧٤.

٣) انظر ملحق رقم (٣)، ص٢٥٧.

٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٧٤؛ مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (بيروت: عالم الكتب،ط١، ١٩٦٤م)، ج١، ص٣٤٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص١٤؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٤٩٧؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص٨٢.

٥) محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١٩.

٦) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، (القاهرة: دار المعارف،ط٤، ١٩٩٦م)، ص١٣.

– لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلا شكر، ولم يُولَد له قط على حد قول ابن حزم. انظر، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار المعارف، ط٤، (د.ت))، ص٤٧؛ العز بن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٤٩٩؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣١٠.

ونفوذه لديهم ما ساعده على اغتنام الفرصة والوصول إلى هذا المنصب(١).

وكيفما كان الأمر فلم يدم حكمه مدة طويلة في مكة، لأن الأشراف لم يلبثوا أن قبضوا على زمام الأمر، بعد أن أبعدوه عن الحكم، وولي أمر مكة بنو الطيب الحسنيون(٢)، وهم السليمانيون الأسرة الثانية من الأشراف التي حكمت مكة، وتولى منهم محمد بن أبي الفاتك عبد الرحمن بن جعفر(٣). وكانت بين السليمانيين والهواشم فتن متصلة، و كان رئيس الهواشم في ذلك الوقت أبي هاشم محمد بن جعفر، فوقع القتال بين الطرفين سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، وانتصر الهواشم على بني سليمان، وأخرجوهم من الحجاز، وساروا إلى شمالي اليمن، وأسسوا لهم إمارة هناك في المخلاف السليماني المنسوب إليهم(٤).

واستقل بإمارة مكة محمد بن جعفر وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ثم ما لبث أن مال للعباسيين، وأقام الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله(٥).

---

١)أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٨٢؛ فؤاد عبد الحميد عنقاوي: مكة.. الحج والطوافة، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص٩٢.

٢) الفاسي: الزهور المقتطفة،ص١٨٣؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٤٦٧ ؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٤٨؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص١٠٩.

٣) عبد الفتاح بن حسين رواه المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام مكة المكرمة من عصر النبي ﷺ حتى عصرنا الحاضر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م مُعززة بالخرائط والصور، (مكة المكرمة،ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص١١٧.

٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٣٢؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص١٣؛ محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص١٩.

– المخلاف السليماني: يمتد من حلي بن يعقوب إلى الشَّرْجَة قديماً – الْمُوَسَّم حاليًا –، ويعرف الآن بمنطقة جازان. انظر، محمد بن أحمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج١، ص٣٦.

٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤،ص١٣٢؛ محمد سرور: المرجع السابق،ص٢٠.

– القائم بأمر الله: هو أبو جعفر عبدالله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر العباسي. ولد سنة٣٩١هـ/١٠٠١م، وأمه أم ولد تدعى قطر الندى أرمنية. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة٤٢٢هـ/١٠٣١م بعهد منه، وفي عهده كانت فتنة البساسيري. توفي سنة٤٦٧هـ/١٠٧٥م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٩، ص٣٩٩-٤٠٣؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٦٦.

ولما علم الخليفة المستنصر بهذا كتب إلى علي بن محمد الصليحي(١) داعيه في اليمن يأمره بإرسال حملة عسكرية لمكة لإعادة النفوذ الفاطمي، والقضاء على الدعوة العباسية فيها(٢). فدخل الصليحي مكة سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م وملكها، ولم يستطع الصليحي إزالة الهواشم من مكة، إلا أنه أخضعهم على ما يبدو، وأقام الخطبة للمستنصر الفاطمي(٣)، "واستعمل الجميل مع أهل مكة، وأظهر العدل والإحسان، وجلب الأقوات، فرخصت الأسعار، وطابت قلوب الناس، وأَمِنَ الحاج أمنًا لم يعهد مثله حتى كانوا يعتمرون ليلاً ونهارًا، وأموالهم محفوظة، ورحالهم محروسة(٤)".

وفي محرم، وقيل: ربيع الأولى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م بعث الأشراف الحسنيون إلى الصليحي يطلبون منه الخروج من مكة ، واختيار أحدهم لولايتها نائبًا عنه ، و وافق الصليحي على

---

١)هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي. كان والده قاضيًا سني المذهب، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي – وقيل الزواحي – يزوره كثيرًا، فرأى يومًا ولده علي، وقد بدت عليه مخائيل النجابة، فأصبح كلما يذهب للقاضي يجتمع بولده علي، ويطلعه ما عنده حتى استماله وغرس في قلبه من علومه ومحبة مذهبه، وأطلعه على ذلك سرًا من أبيه. فلما مات عامر أوصى بكتبه لعلي، فعكف على الدرس والمطالعة حتى أصبح فقيهًا في مذهب الإمامية. ثم ثار بجبل مسار، واستحفل أمره، وأظهر الدعوة للمنتصر الفاطمي، ثم ملك الصليحي اليمن كله. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٥٣-٣٥٤؛ با مخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي الشافعي: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به بو جمعه مكري، وخالد زواري، (جدة: دار المنهاج، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ج٣، ص٤٢٤-٤٢٦.

٢)محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص٢٠؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص١١٠.

٣) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٨٣؛ المقريزي: اتعاظ الحُنفا ، ج٢، ص٢٦٩؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٦٨؛ الجزيري: الدرر الفوائد، ج١، ص٥٤٨؛ عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط٤، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص١٩٢.

٤)ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة١٣٦؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣١٠؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٨؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٠١؛ الجزيري: المصدر السابق، ج١، ص٥٤٨؛ حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحرازي، وحسن سليمان محمود الجهيني: الصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة٢٦٧هـ إلى سنة٦٢٦هـ)، (صنعاء: منشورات المدينة، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص٩١-٩٢.

ذلك(١)، فوقع اختياره على أبي هاشم محمد بن جعفر الحسني، وأمَّرَه على الجماعة، وترك له قوة عسكرية، وأعطاه مالاً، وخمسين فرسًا وسلاحًا، وخرج إلى اليمن(٢).

ولكن محمد بن جعفر أراد أن يستغل التنافس بين العباسيين والفاطميين لصالحه والاستقلال عن أي نفوذ، ويستفيد من الأموال التي يتلقاها من هنا وهناك(٣)، وقد وصفه أبو المحاسن " بأنه كان متلونًا تارة مع الخلفاء العباسيين وتارة مع المصريين الفاطميون"(٤)، فخطب سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م للخليفة العباسي القائم بأمر الله، فرد الفاطميين على ذلك بقطع الميرة المصرية عن مكة(٥).

وحاول الأشراف السليمانيون أن يستردوا امارتهم على مكة فثاروا على محمد بن جعفر بزعامة حمزة بن وهاس(٦)، ولكن محمد لم يكن له طاقة على حربهم، فخرج من مكة إلى ينبع، فتولى ابن وهاس أمر مكة، وما لبث أن جمع محمد جموعًا، وقصد ابن وهاس، وكانت بينهم حروبًا، انتهت باستعادة محمد بن جعفر بن أبي هاشم إمارة مكة(٧).

---

١) هناك سببان دفعا الصليحي لقبول هذا العرض، وهما: قيام الأشراف الحسنيين عليه، والسبب الآخر هو وقوع الوباء في صفوف جنوده، ووفاة سبعمائة رجل منهم ولم يبقَ معه إلا نفر يسير. انظر، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة١٣٦؛ الطبري: الأرج المسكي،ص٣٣٣؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢،ص٢٢٩؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣،ص٨٨.

٢)الفاسي: شفاء الغرام، ج٢،ص٣١٠-٣١١؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢،ص٤٦٩، ٤٨٩؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١،ص٥٠٩-٥١٠؛ الطبري: المصدر السابق،ص٣٣٣؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢،ص٧٣٥-٧٣٦؛ السنجاري: المصدر السابق، ج٢،ص٢٢٨-٢٢٩.

٣) عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية،ص١٩٢؛ فؤاد عنقاوي: مكة،ص٩٢.

٤)ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٣٧.

٥)السنجاري: المصدر السابق، ج٢،ص٢٣٠-٢٣١؛ عبد الله الغازي: المرجع السابق، ج٣،ص٨٩.

٦) هو حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبي الفاتك عبد الله بن أبي داود ابن سليمان. انظر، عبدالله الغازي: المرجع السابق، ج٣،ص٨٩.

٧) العز بن فهد: المصدر السابق،ج١، ص٥١٠؛ الجزيري: الدرر الفرائد،ج١، ص٥٤٨؛السنجاري: المصدر السابق،ج٢، ص٢٣١؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١، ص١٨٤.

كما قام محمد بن جعفر باسترداد حلي بن يعقوب التابعة لعلي الصليحي(١). وأيضًا جمع بين الحرمين بعد أن أخرج الحسينيين من المدينة المنورة وملكها(٢).

والملاحظ أنه طيلة مدة إمارته لم يعمل على استقرار الأوضاع في مكة وما حولها، ولم يعمل على تنظيم أمورها و إقرار الأمن بها، بل آثر مصلحته على مصلحة البلاد، فنرى أن ولاءه يتأرجح بين الخلافتين، ففي سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م خطب للعباسيين، وانقطعت ميرة مصر عن مكة، فعاتبه أهله على ذلك، فأعاد الخطبة للفاطميين سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م(٣).

وفي سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م قطعت الخطبة للفاطميين، لعدم إرسالهم الإعانات التي كانوا يرسلونها لمكة، وذلك بسبب القحط والشدائد العظمى التي حلت بالبلاد المصرية، فأخذ محمد بن جعفر قناديل الكعبة وستورها وصفائح بابها والميزاب، وصادر بعض أموال التجار من أهل مكة. وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وللسلطان السلجوقي ألب أرسلان(٤)، وبعث وفدًا برئاسة ابنه إلى السلطان ألب أرسلان يخبره بذلك، فأعطاه ثلاثين ألف دينار، وخلعًا نفيسة، ورتّب له كل سنة عشرة آلاف دينار(٥).

وفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م توفى الخليفة العباسي، وكذلك السلطان السلجوقي كان قد مات قبله، ولم يصل من جهة الخليفة العباسي الجديد المقتدي بأمر الله(٦) ما كان يصل لأمير

---

١)حسين الهمذاني و حسن الجهيني: الصلحيون والحركة الفاطمية، ص٩٣؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص٦٧.

٢)القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٧٥.

٣) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٣٢؛ القلقشندي: مآثر الأنافة، ج١، ص٣٤٦- ٣٤٧؛ فؤاد عنقاوي: مكة، ص٩٢.

٤) هو محمد بن جغربيك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق. ملك بعد عمه طغرلبك، كان عادلاً حسن السيرة، وهو أول ملوك الترك ممن عبر نهر الفرات. توفي مقتولاً سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م. انظر، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص١٤٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، م٨، ص٣١٧-٣١٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٣-٢٧٥.

٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٥٨١؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٤٩؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٨٣-١٨٤.

٦) هو أبو القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بن المقتدر. أمه أم ولد تدعى أرجوان. عهد إليه بالخلافة جده القائم بأمر الله، ولقبه بالمقتدي بأمر الله، فوليها بعد وفاة جده. توفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. انظر، ابن العماد: المصدر السابق، ج٥، ص٣٧٣؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٢٢.

مكة، وصادف ذلك أن قوي أمر المستنصر بالله الفاطمي، وأرسل لأمير مكة رسالة وهدايا جليلة وتحفًا، وطلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة، وقال له: أن أيمانك وعهودك كانت للقائم والسلطان ألب أرسلان وقد ماتا(١)، فاجتمع محمد بن جعفر بأصحابه واستشارهم، فأشاروا عليه بقبول العرض الذي قدمه الفاطميون(٢)، وقالوا له: " إنما سلمنا الأمر لبني العباس لعدم المعونة من مصر، ولما رجعت إلينا المعونة لا نبتغى بابن عمنا بدلاً "، فقطعت الخطبة العباسية، وأقيمت الخطبة للفاطميين(٣).

ولكن يبدو أن نجاح الفاطميين لم يستمر طويلاً؛ إذ ما لبث أن قدم سلار الحج العراقي سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م يحمل إلى محمد بن جعفر عروضًا جديدة منها أن يتزوج من أخت السلطان جلال الدولة(٤)، ومنحه عشرين ألف دينار كتعويض عما فات في السنين الماضية، فقبل هذا العرض، وخطب للعباسيين.

وهكذا ظل العباسيون والفاطميون يتناوبون على استرضاءه بالهدايا والأموال عدة سنوات إلى أن كان عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م حيث رأى العباسيون أن الفاطميين استطاعوا أن يستميلوه إليهم(٥)، فقرر السلطان جلال الدولة إرسال قوة من التركمان لقتاله، والاستيلاء على الحجاز واليمن، وإقامة الدعوة له هناك. ولما لم يستطع محمد بن جعفر صد هذه القوات هرب إلى العراق ، ولعله أراد بذلك أن يسترضى العباسيين(٦). ولكنه ما لبث أن عاد إلى مكة ،

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٧٧؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٥١.

٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٨٥.

٣) الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٥١.

٤) هو السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن أبي شجاع ألب أرسلان. خطب له من أقصى بلاد الترك إلى بلاد اليمن. كان حسن السيرة. عمَّر القناطر، وأسقط المكوس والضرائب، وحفر الأنهار الخراب. كانت مدة ملكه ١٩ سنة. توفي سنة٤٨٥هـ/١٠٩٢م. انظر، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٦، ص٣٠٨-٣١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٣٥٠-٣٥٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٦٦-٣٦٧.

٥) أحمد السباعي: المرجع السابق، ج١، ص١٨٥.

٦) العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥١٤؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٣٧؛ أحمد السباعي: المرجع السابق، ج١، ص١٨٥.

وهرب التركماني منها(١)، وهذا الأمر يثير التساؤل إن كان قد ذهب للعراق لإرضاء العباسيين، فكيف تهرب الفرقة التركمانية من مكة عند عودته إليها، في حين أنها مبعوثة من العراق، ولعل محمد بن جعفر قد أراد أن يسترضي العباسيين، ولكنه قد غيّر رأيه، فلم يدخل العراق، بل جمع أنصارًا له، فعاد لمكة لقتال التركمان.

ثم مات محمد هذا سنة ٤٨٧هـ، وخلفه على إمارة مكة ابنه قاسم(٢)، وفي عهده استولى أصبهذ بن سارتكين(٣) على مكة عنوة، فهرب الأمير قاسم منها، ثم جمع قاسم رجاله وهجم على أصبهذ بعسفان(٤)، وجرى بينهم قتالاً انهزم فيه أصبهذ، ومضى إلى الشام، فدخل قاسم بن أبي هاشم مكة. واستمرت ولايته حتى وفاته سنة٥١٧هـ، وقيل: سنة ٥١٨هـ(٥).

وولي بعده ابنه فليته(٦)، وبدأ ولايته بالخطبة للخليفة العباسي المسترشد(٧)، وعمل على

---

١) السنجاري: منائح الكرم، ج٢،ص٢٣٧.

٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤،ص٢٧٦؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢،ص٤٨٧.

٣) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٤) تقع شمال مكة على بعد ٨٠ كم على طريق المدينة والجحفة، وهي اليوم احدى المراكز التابعة لمحافظة الجموم. انظر، عاتق البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية، ص١٨٨-١٨٩.

٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٣٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٧٦؛الفاسي: العقد الثمين، ج٣،ص٣١٩؛ الزهور المقتطفة، ص ١٨٣؛ شفاء الغرام، ج٢، ص٣١٢-٣١٣؛ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة ١٣٧؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢،ص٤٨٧؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١،ص٥٥٤، ٥٥٨؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص ٥١٨.

٦) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٨٣؛ العز بن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٥٢٠؛ السنجاري: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٤.

-هو فليتة بن قاسم بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و يقال أن اسمه أبو فليته. كان حسن السياسة، وأسقط المكس عن أهل مكة. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٢٠.

٧) هو أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن المقتدي عبدالله العباسي. ولد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. سمع الحديث من أبي القاسم بن بيان، وعبدالوهاب بن هبة الله السبتي. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة٥١٢هـ/١١١٨م. وقد صنّف له أبو بكر الشاشي كتابه «العمدة» في الفقه. توفي مقتولاً سنة٥٢٩/١١٣٥م. انظر، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص١٤٣؛ خيرالدين الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٤٧.

نشر العدل بين رعيته مما كان له أحسن الأثر في نفوسهم، فأثنوا عليه، وقد اتسمت فترة ولايته بالطمأنينة والاستقرار.

ولما توفى فليته سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م اختلف أبناؤه على الحكم فنشب بينهم القتال، واستطاع أحدهم وهو هاشم أن يتغلب بسيفه، ويستأثر بالحكم. ولم يعمل على استمرار ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة، بل أقام الخطبة للخليفة الحافظ الفاطمي(١)، إلا أنه قد دعا للعباسيين في أواخر سني إمارته(٢). وقد خلفه على إمارة مكة بعد وفاته سنة٥٥١هـ/١١٥٦م ابنه القاسم. الذي في عهده دخلت هذيل مكة و نهبوها سنة٥٥٣هـ/١١٥٨م(٣)، ولكن القاسم تمكن من تجميع قواته، وقوات الأعراب وطردهم منها(٤).

وكان هذا الأمير يعامل الأهالي والمجاورين معاملة قاسية، ويصادر كثيرًا من أموالهم(٥)، ولما علم سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م بقرب الحاج من مكة صادر أموال المجاورين وأعيان مكة، وهرب خوفًا من أمير الحاج برغش، الذي لما دخل مكة قام بتعيين عيسى بن فليته مكان ابن أخيه في إمارة مكة(٦)، وظل عيسى يحكمها إلى شهر رمضان حيث أن قاسم قد جمع عددًا كبيرًا من العرب— كان قد أطعمهم في مال له بمكة فاتبعوه — فسار بهم إلى مكة، وحين علم عمه عيسى بذلك خرج فدخلها قاسم وأقام بها أميرًا أيامًا، ولم يستطع الوفاء بوعده للعرب لعدم امتلاكه للمال، كما أنه قد قتل قائدًا من قواده حسن السيرة ، مما أثار حفيظة أتباعه ، فكاتبوا

---

١) الخليفة الحافظ الفاطمي: هو أبو ميمون عبدالمجيد بن أبي القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله. ولي الخلافة بعد مقتل ابن عمه الآمر. كان كثير الفتك بوزرائه وخاصته. توفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م. انظر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٣٧-٢٤١؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص٢٢٦؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٥٠.

٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١، ص١٨٨؛ محمد سرور: النفوذ الفاطمي، ص٢٣-٢٤.

٣) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٢١؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٢٥؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩.

٤) جميل حسين: الحجاز واليمن،ص٢٧.

٥) أحمد السباعي: المرجع السابق،ج١،ص١٨٩.

٦) النجم بن فهد: المصدر السابق،ج٢، ص٥٢٣؛ الجزيري: الدرر الفرائد،ج١، ص٥٦٤-٥٦٥.

عمه عيسى، فقدم عليهم، فهرب قاسم وصعد جبل أبي قبيس وسقط عن فرسه، فأخذه أصحاب عيسى وقتلوه سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م.

ودامت ولاية عيسى إلى أن توفى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م، إلا أن أخاه مالك بن فليته نازعه في الإمرة، واستولى على مكة نحو نصف يوم، حيث أنه دخل مكة يوم عاشوراء سنة٥٦٦هـ/١١٧١م، وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة إلى وقت الزوال، ثم أُخرج مالك، واصطلحوا بعد ذلك(١)، وسافر مالك إلى الشام، ثم ما لبث أن عاد مالك في آخر ذي القعدة، وأقام ببطن مر أيامًا، ثم اتجه بجيشه إلى مكة وحاصرها أيامًا، فخرج عليهم عسكر الأمير عيسى فقاتلوهم، فقتل منعسكر مالك جماعة، فانسحبوا إلى خيف بني شديد، ثم إلى وادي نخلة، وثم إلى الطائف حتى رجع إلى الشام(٢).

ووصل إلى مكة في فترة إمارته توران شاه بن أيوب(٣) الذي كان في طريقه للاستيلاء على اليمن سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م فخطب بمكة للسلطان محمود زنكي صاحب دمشق(٤).

وبعد وفاة نور الدين محمود زنكي، وسقوط الخلافة الفاطمية أعلن صلاح الدين الأيوبي استقلاله بالحكم، وبذلك تأسست الدولة الأيوبية على أنقاض الحكم الفاطمي، فامتد نفوذه إلى مكة ، وكان صلاح الدين يعترف بالخلافة العباسية اسميًا، ولذا حاول تثبيت نفوذه في مكة

---

١) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٦٦-١٦٧؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٢٤-٥٢٥؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٢٦- ٥٢٨؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٥١-٢٥٣؛ الطبري: الأرج المسكي، ص٣٥٦؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٧٣٩.

٢) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص ١٠٠.

٣) هو شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي. كان أسن من أخيه صلاح الدين، وقد سيره صلاح الدين إلى بلاد النوبة واليمن، وبعد عودته من اليمن أصبح نائبًا عن السلطان في دمشق، ثم انتقل إلى الإسكندرية. توفي سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م. انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٣٠٦-٣٠٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٥٨٠-٥٨١.

٤) النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٤؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٦٩.

- محمود زنكي: هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آقسنقر التركي الملقب بالملك العادل نور الدين. ولد سنة ٥١١هـ/١١١٧م. استطاع أن يفتح عدة حصون في بلاد الروم. وبنى مدارس في مختلف مدن الشام، وبيمارستان بدمشق. انظر، ابن خلكان: المصدر السابق، ج٥، ص١٨٤-١٨٨.

تحت إشراف الخليفة العباسي، وقد وافقه أميرها عيسى بن فليته، فدعا باسم العباسيين، وأضاف إلى ذلك اسم صلاح الدين الأيوبي(١).

وبعد وفاة عيسى بن فليته سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م ولي أمر مكة ابنه داود بعهد من أبيه، فأحسن السيرة، وعدل في الرعية، ولكن بالرغم من ذلك لم تدم ولايته طويلاً إذ ما لبث أن خرج عليه خوارج، وذلك بإيعاز من العباسيين(٢)، ولعلهم أرادوا بذلك أن تكون مكة تابعة لهم فعليًا وليس اسميًا فقط، عن طريق التدخل بشكل مباشر في أمر تولية وعزل أمير مكة من قِبلها، ولذا نراهم استخدموا مبدأ فرق تسد، فتوجه داود إلى وادي نخلة، وتولى إمرة مكة عوضه أخيه مكثر سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م(٣)، فعمل مكثر على تجنيد بعض الرجال، وشراء الأسلحة، كما بنى حصنًا على جبل أبي قبيس، وكان الأمر الذي دفعه لفعل كل تلك التجهيزات هو خوفه من أن يفعل العباسيين به ما سبق أن فعلوه بأخيه داود(٤).

وفي ليلة النصف من شعبان سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م قدم توران شاه بن أيوب من اليمن إلى مكة قاصدًا بلاد الشام، فاجتمع به الأمير داود والأمير مكثر بالزاهر، وأصلح بينهما(٥).

ولكن قيام مكثر بتكوين الجيش، وإقامة الحصن على جبل أبي قبيس أغضب الخليفة العباسي المستضيء، وقد أشرنا سابقًا عند الحديث عن الحالة الدينية ما حدث في موسم حج سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م بين الأمير مكثر وأمير الحاج طاشتكين، فهرب مكثر إلى حصنه الذي بناه على جبل أبي قبيس، فحاصرته القوات العباسية، مما اضطره إلى الفرار من مكة(٦).

فسلم طاشتكين إمرة مكة للأمير قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة المنورة، فأقام بها ثلاثة

---

١) أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١،ص٢٠٢.

٢) العز بن فهد: غاية المرام،ج١، ص٥٣٤-٥٣٥؛ الجزيري: الدرر الفرائد ،ج١، ص٥٧٠؛ أحمد السباعي: المرجع السابق،ج١، ص٢٠٢.

٣) الجزيري: المصدر السابق،ج١، ص٥٧٠.

٤) أحمد السباعي: المرجع السابق،ج١، ص٢٠٣.

٥) النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٥٣٦؛ الجزيري: المصدر السابق،ج١، ص٥٧٠-٥٧١.

٦) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص٣٠.

أيام، وظهر عجزه عن إمارتها، " وقال لأمير الحاج وللحجاج: إني لا أتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج"(١). فولي داود بن عيسى إمارة مكة بأمر من طاشتكين، فاستمر هو وأخوه مكثر يتداولان إمارة مكة المكرمة(٢).

وفي سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م قدم سيف الإسلام طغتكين بن أيوب(٣) إلى مكة، وخطب لأخيه صلاح الدين، وقتل جماعة من العبيد كانوا يؤذون الناس، وشرط على العبيد ألا يؤذوا الحجاج، ومنع من الأذان (حي على خير العمل)(٤).

وانفرد مكثر بإمارة مكة نحو عشر سنين آخرها سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م، وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم(٥). لأن الشريف قتادة بن إدريس(٦) استطاع أن ينتزع إمارة مكة من الهواشم(٧). والسبب الذي دفعه لذلك هو " ما بلغه من انهماك أمرائها الهواشم بني فليته على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ممن يريدها بسوء، اغترارًا بما هم فيه من العز والعسف لمن عارضهم في مرادهم ، وإن كان ظلمًا أو غيره ، فتوحَّش عليهم لذلك

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٣٧؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٣٥.

٢) السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٥٧؛ عبد الفتاح راوه المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص١٢٣.

٣) هو أبو الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان الدويني الملقب بالملك العزيز. سيره السلطان صلاح الدين إلى اليمن سنة٥٧٧هـ/١١٨٢م. كان رجلاً شجاعًا، حسن السيرة والسياسة. توفي بالمنصورة – وهي مدينة اختطها باليمن – سنة٥٩٣هـ/١١٩٧م. انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٢٣-٥٢٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٩٩٧.

٤) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة ١٣٨؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣١٥؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٥٣-٥٥٤؛ العز بن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٥٤٨.

٥) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص٣١٤؛ السنجاري: المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٧.

٦) هو أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، المعروف بالنابغة، ملك ينبع والصفراء. وتولى إمارة مكة حتى وفاته سنة ٦١٧هـ/١٢٢١م. انظر، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٣٥؛ العز بن فهد: المصدر السابق، ج١، ص٥٥٠-٥٥١؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٧٤١؛ عبد الفتاح راوه المكي: المرجع السابق، ص١٢٧.

٧) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص١٠٦.

خواطر جماعة من قوادهم. ولما عرف ذلك منهم قتادة استمالهم، وسألهم المساعدة على ما يرونه من الاستيلاء على مكة، وجرَّأة على المسير إليها – مع ما في نفسه – أن بعض الناس فزع إليه مستغيثًا به في ظلامه ظلمها بمكة، فوعده بالنصر"(١).

وتجهز إلى مكة في جماعة من قومه، فلم يشعر أهل مكة إلا وهو معهم. وولاتهم على ما هم فيه من الانهماك في اللهو، فلم يستطيعوا مقاومته، فملكها قتادة. وقيل إن الذي قاد هذه الحملة هو ابنه حنظلة، وخرج أمير مكة مكثر إلى وادي نخلة، فأقام بها إلى أن مات(٢).

وكان قتادة قد دخل مكة بغتة في السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا اليوم يصادف خروج الأمير والكثير من أهل مكة إلى التنعيم لأداء العمرة، فانتهز قتادة هذه الفرصة للاستيلاء على مكة دون مقاومة(٣).

ونتيجة لكل ذلك كان من المتوقع أن تتأثر الحياة العلمية في مكة بما كان يدور من تنافس الأمراء على الحكم، وأيضًا التنافس السياسي بين الخلافتين العباسية والفاطمية، ومحاولتهما لفرض سيطرتهما الاسمية على منبر الحرمين، ولكن الحياة السياسية لم تؤثر سلبًا على الحياة العلمية، فقد ظلت مكة عامل جذب العلماء بصرف النظر عن تردي الأحوال السياسية في المنطقة؛ وذلك نظرًا لمكانة مكة المكرمة الدينية في نفوس المسلمين، فهي قبلتهم، و مقصد حجِّهم، ومركز التقاء المسلمين من مختلف الأمصار الإسلامية، وهذا ما سيتضح لنا من خلال هذه الدراسة، حيث لم تخلُ مكة من وجود العلماء على اختلاف اجناسهم، واختصاصاتهم العلمية.

---

١) العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٥١–٥٥٢.

٢) المصدر السابق، ج١، ص٥٥١–٥٥٢؛ الجزيري: الدرر الفرائد،ج١، ص٥٧٨.

٣) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص١٠٨؛ جميل حسين: الحجاز واليمن، ص٣٧.

المطلب الثالث: الأحوال الاقتصادية:

الزراعة والرعي:

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[سورة إبراهيم: ٣٧].

قد أكدت هذه الآية الكريمة أن مكة المكرمة تقع في واد غير صالح للزراعة، وتحيط بها الجبال من جميع النواحي، وأرضها جرداء فقيرة المياه ومناخها جاف وحار(١)، وهذا ما أكده لنا عدد من الجغرافيين الذين زاروا مكة، فقد أشاروا أنه " ليس بمكة مار جارٍ "، وذلك باستثناء العيون التي أجريت إليها.

ولذا من الطبيعي في ظل هذه الظروف أن لا يكون بمكة شجر مثمر إلا شجر البادية(٢)، وهذا ما أكده كذلك الإدريسي بقوله:" لا زرع بها ولا حنطة إلا ما جلب إليها من سائر البلاد"(٣). ولكن بالرغم من ذلك لا يمكننا التسليم بهذا الأمر، فمكة المقصودة هنا هي بدون أدنى شك المنطقة التي يقع فيها الحرم فقط(٤)، واتضح هذا من قول ياقوت الحموي:

---

١) الحموي: معجم البلدان، م٥، ص١٨٧؛ بندر الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص٢٦٧.

٢) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،١٩٧٩م)، ص٣٧؛ الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ومحمد شفيق غربال، (الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٣٨١ هـ/١٩٦١م) ، ص٢٢-٢٣؛ الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص١٤٠؛ الحموي: معجم البلدان،ج٥، ص١٨٧.

٣) الإدريسي: المصدر السابق، ج١، ص١٤١.

٤) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص٨٩.

- حرم مكة: ما أحاط بها، وأطاف بها من جوانبها، وجعل الله حكمه حكمها في الحرمة تشريفًا لها، وللحرم علامات بينة، وهي أنصاب مبنية، وأول من نصبها إبراهيم عليه السلام، وثم قصي بن كلاب، ثم نصبتها قريش بعد أن نزعتها قبل هجرة النبي ﷺ، وأمر عليه الصلاة والسلام بنصبها عام الفتح، ثم نصبت في عهد الخلفاء عمر، وعثمان، ومعاوية رضي الله عنهم، وحد الحرم من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميال، ومن طريق العراق تسعة أميال،=

" وأما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة"(١)، ولكن الحديث عن إمارة مكة بحدودها الجغرافية، ومخاليفها المحدقة بها يكسبها أهمية كبيرة في مجال الزراعة، حيث ذكر الإدريسي : " وإذا خرج أحد عن مكة في كل جهة تلقاه أودية هناك جارية، وعيون مطردة، وآبار غدقة، وحوائط كثيرة، ومزارع متصلة"(٢).

وهكذا فإن مدينة مكة تقع في وسط إقليم تكثر فيه العيون الممتدة من وادٍ إلى وادٍ، وتقع على هذه الأودية قرى كثيرة تحيط بها الحدائق والبساتين كما في الطائف وبطن مر وبطن نخل و عسفان.

وتشتمل أعمال مكة على عدد من المواضع منها، الطائف، وجدة، وحلي، ووادي نخلة، و عسفان، ومر الظهران. وكانت الطائف من أهم أعمال مكة الزراعية(٣)، فهي كثيرة الشجر والثمر، وأكثر فاكهة مكة وبقولها منها، فبها الرمان والزبيب والعنب والحنطة، البطيخ والقثاء والباذنجان والكراث ويأكلونه بالتمر والفجل، وكما كانت مصيف لأهل مكة إذا تأذوا بالحر(٤).

ومن مخاليف مكة كذلك بطن نَخْل، ويعرف أيضًا بوادي نخلة، وتقطنه قبيلة هذيل(٥)، وهي قرى مجتمعة ذات عيون وحدائق واراضي زراعية ، ومعظم فاكهة مكة وبقولها منها.

= ومن طريق اليمن سبعة أميال، ومن طريق الطائف أحد عشر ميلاً، ومن طريق الجادّة عشرة أميال. انظر، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٧٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٣٧؛ الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص١٤٧٨-١٤٧٩.

١) الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٨٧.

٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١؛ عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص ٨٩.

٣) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية،ص١٥٦.

٤) المقدسي: المصدر السابق،ص٨٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض،ص٣٩؛ الاصطخري: المسالك والممالك،ص٢٤؛ ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد: تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٩٩٦م)،ص١٨، ٣٦.

٥) تنقسم هذه القبيلة باعتبار منازلها إلى قسمين الشمال والجنوب ، فالشمال هم الذين تقع بلادهم شمال مكة وشرقها، وأما الجنوب فهم من بطن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وتقع بلادهم في وادي نعمان .=

وأيضًا بطن مَرّ وهو من أودية الحجاز في الشمال عن مكة على بعد ٥٠كم على طريق حجاج مصر والشام(١)، وهو وادٍ خصيب كثير النخل به عين تسقى منها أرض تلك الناحية(٢)، والنخل والزرع متصل من وادي نخلة إليها، وتجلب فاكهته و بقوله إلى مكة، وهو بيد أمراء مكة(٣).

ونستنتج من ذلك استجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام، فأصبح يجلب لمكة الثمار من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعمًا وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر(٤). حتى وصف عدد من الرحالة ذلك، فناصر خسرو يقول: " رأيت بها الخيار والأترنج والباذنجان، وكانت كلها طازجة. وقد أثمر بها العنب ..... فأحضر من السواد إلى مكة وبيع في السوق، وكان البطيخ كثيرًا .... وكانت الفاكهة متوفرة طول الشتاء فلم تنقطع قط "(٥)، وأما ابن جبير فيقول: " وكانت مكة تغص بالنعم والفواكه: كالتين، والعنب، والرمان، والسفرجل، والخوخ، والأترج، والجوز، والمِقْل، والبطيخ، والقثاء، والخيار، إلى جميع البقول كلها: كالباذنجان، واليقطين، والسّلْجَم، والجزر، والكرنب.....، وأكثر هذه البقول كالباذنجان والقثاء والبطيخ لا يكاد ينقطع مع طول العام .... وأنواع اللبن بها في نهاية من الطيب، وكل ما يصنع منها من السمن، فإنه لا تكاد تميزه من العسل طيبًا، ويجلب إليها قوم من اليمن يعرفون بالسرو نوعًا من الزبيب الأسود والأحمر في نهاية الطيب، ويجلبون معه من اللوز كثيرًا .... وبها قصب السكر أيضًا كثير، يجلب من حيث تجلب البقول التي ذكرناها .... وكذلك بها الرطب، وهو عندهم

=انظر، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٦٣١؛ حمد الجاسر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج٢، ص٧٨٠.

١) القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤، ص٢٦٤– ٢٦٥.

٢) ابن جبير: الرحلة، ص١٦١.

٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٦٥.

٤) ابن جبير: المصدر السابق، ص٩٧.

٥) ناصر خسرو: سفر نامه رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، نقلها إلى العربية يحيى الخشاب،(دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٧٠م)، ص١٢٤.

بمنزلة التين الأخضر في شجره يُجنى ويؤكل "(١)،وقد أشار ابن المجاور إلى أن مكة تمتلئ بالحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز و الزبيب عند دخول السرو إليها(٢)، وأما ابن بطوطة فيصف خيرات مكة بقوله: " ولكن سبقت لها الدعوة المباركة، فكل طرفة تجلب إليها، وثمرات كل شيء تجبى لها. ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب مالا نظير له في الدنيا، وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواه طيبًا وحلاوة "(٣).

ولم تتوفر لدينا إلا معلومات يسيرة عن بعض المحاصيل الزراعية التي تنبت في مكة، ففي جهة المسفلة هناك مسجد ينسب لأبي بكر الصديق ﷺ يحيط به بستان فيه نخيل ورمان وشجر العنب وشجر الحناء(٤). وكذلك ينبت بمكة السناء(٥). وكما اشتهر بها وجود نبات القرظ، وقد حرصت القوافل التجارية عند مغادرتها للأراضي المكية بحمل هذه النباتات معها، لأهميته في عملية دباغة الجلود(٦).

أما الرعي فهو الحرفة التقليدية الغالبة لكثير من أهل المنطقة، ولا عجب في هذا، فنظرًا لطبيعة المنطقة الصحراوية القليلة الأمطار اللهم في بعض الأماكن المتفرقة في الشمال والجنوب. فالرعي ينتشر فوق أكثر من نصف مساحة البلاد، لذلك كان للثروة الحيوانية أهمية خاصة بمكة حيث أنها كانت مصدرًا هامًا للألبان واللحوم وهما قوام المعيشة لمعظم السكان(٧).

والحيوانات التي ترعى هناك هي الإبل ، والضأن ، والماعز ، والبقر، وقد وجد عندهم المعز

---

١) ابن جبير: الرحلة، ص٩٧-٩٩.

٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٣٨.

٣) ابن بطوطة: تحفة النظار،ج١، ص١٥٣-١٥٤.

٤) ابن جبير: المصدر السابق، ص٩٣.

٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٣.

- السناء: هو نبات يكتحل به. انظر، ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٧٢٤.

٦) بندر الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص٢٦٩.

٧) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص٩٩؛ نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص٣٢٩.

بكثرة(١)، وأما البقر فكان قليل لعدم توفر الأعشاب اللازمة لها(٢). وكانت الإبل أكثر الحيوانات نفعًا لهم، فلا تقطع البادية بغيره، لقوته واحتماله المشاق، وصبره على العطش أيامًا(٣)، وكما استفيد منه بالتنقل بين مكة والمدينة، لذا كان أهل مكة يؤجرون النجائب منها لمن أراد الذهاب للمدينة.

وكانت تجارة الإبل والبقر والغنم تزدهر أيام موسم الحج(٤).

ومن الحيوانات الموجودة بمكة أيضًا الخيل، وقال عنها القلقشندي: "وبه من الخيل ما يفوق الوصف حسْنُه، ويعجز البرق إدراكه "(٥).

الحرف والصناعات:

وجدت في مكة المكرمة في فترة الدراسة بعض الصناعات والحرف، وقد تميزت بالتنوع والإتقان(٦) بالرغم من بساطتها(٧)، ومنها:

أ- النسيج والخياطة والصباغة:

إن حرفة النسيج والخياطة والصباغة متكاملة في عملها، فلا يمكن ممارسة الخياطة أو الصباغة دون أن تتوافر المنسوجات التي تمكن الخياطين والصباغين من ممارسة أعمالهم، وكل هذه الحرف وجدت عند العرب في شبه الجزيرة منذ العصور القديمة واستمرت تمارس في مكة

---

١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٥٤.

٢) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص١٢٤.

٣) غوستاف لوبون: حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر،(مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت))،ص٤٤.

٤) عبدالله محمد السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي،((د.ط)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٧٩، ١٠٢.

٥) القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤، ص٢٥٤.

٦) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص١٠٧.

٧) نجلة قاسم الصباغ: بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب،١٩٦٩م، ص٨١.

المكرمة خلال العصور الإسلامية المختلفة(١).

وبالرغم من أهمية صناعة النسيج إلا أنها كانت تمارس على نطاق ضيق في مكة لافتقارها إلى المواد الخام اللازمة لها، وقد اقتصرت على الغزل من الصوف، واستيراد المنسوجات القطنية والحريرية من مصر واليمن والهند(٢). ومن الآلات التي استخدمت في هذه الصناعة المنوال الذي يدعى الحَفُّ(٣).

وقد كان بمكة سوق يمارس به عملية البيع والشراء للأقمشة بأنواعها حتى أصبح لمزاوليها أماكن معروفة باسم مهنتهم(٤)، وأكد ذلك ابن جبير في رحلته بقوله: " وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا البزازين "(٥).

وارتبطت بالنسيج حرفة الخياطة، وكان الخياطون يشتغلون في حوانيتهم في السوق، فيدفع إليهم القماش لتفصيله مقابل أجرة معينة، كما كانوا أحيانًا يستأجرون للعمل وتفصيل الثياب في منازل الأثرياء(٦). وقد أشار ابن جبير إلى بعض ما كان يخيطه أهل مكة، وهي: الخِرَق والعباءات، والشِّمَل، وما شابه ذلك من ملابس الأعراب، وكذلك الأقِنعَة والملاحف المتان(٧).

---

١) غيثان بن علي بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري السابع الميلادي إلى السادس عشر الميلادي، (ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص٢٠١.

٢) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١١٨.

٣) الحَفُّ هو الذي تلْمَظُ به اللحمة أي تلقم ويصْفَقُ ليلتقمها السدى، والجمع الحِفَفَة. وقال الجوهري نقلاً عن الأصمعي: الحفة المنوال، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب. انظر، السيد محمود شكري الألوسي البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري،(بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت))، ج٣، ص٤٠٤.

٤) غيثان بن جريس: المرجع السابق، ص٢٠٣.

٥) ابن جبير: الرحلة، ص٨٥.

- البزازين: البَزُّ الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها وبائعه البزاز وحرفته البزازة. انظر، الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (بيروت: دار احياء التراث العربي،ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ج٢، ص٢٣٦.

٦) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٦٧.

٧) ابن جبير: المصدر السابق، ص١١١.

كذلك وجد بمكة بعض الصباغين الذين كانت صناعتهم صبغ المنسوجات القطنية والحريرية بمختلف الأصبغة ذات الألوان المتعددة التي غالبًا ما تكون ثابتة عليها. وقد اعتمدوا على الألوان المستخرجة من الأعشاب والنباتات كالحناء والاذخر والنيلة والشب(١).

ب- الصناعات المعدنية:

وتعد من أهم الصناعات في مكة المكرمة، وقد ارتبطت بالثروة المعدنية المتوفرة فيها، وقد وجد بمكة ومخاليفها خامات بعض المعادن التي استغلت استغلالاً اقتصاديًا، ومن هذه المعادن الذهب(٢)، وقد وجد في ضنكان، وقد وصفه الهمداني بقوله:"وهو معدن غزير ولا بأس بتبره"(٣)، وكذلك وجدت معادن في العير والعيرة(٤)، وأيضًا وجد في عشم معدن الذهب(٥)، كما وجدت رواسب الحديد في وادي فاطمة.

وقد ترتب على وجود هذه المعادن قيام عدد من الصناعات، كصناعة الحلي، والقدور، والأباريق(٦)، والأسلحة حيث صنع المكيون بعض أنواع الأسلحة اللازمة للقتال، مثل صناعة السيوف، والسهام التي كانت تصنع برقم غطفان بالقرب من مكة، والتي تنسب إليه السهام الرقميات(٧).

---

١) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص١١٨.

٢) المرجع السابق، ص ١٠٧.

٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٢٥٩.

- ضنكان: وادٍ في أسفل السراة يصب إلى البحر. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٦٤.

٤) هما جبلان بمعلاة مكة. انظر، الهمداني: الجوهرتين العتيقتين، ص٩٦.

٥) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب: كتاب البلدان،(دار إحياء التراث العربي، (د.ت))، ص٧٩؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٥٩.

- عشم: موضع بين مكة والمدينة. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٢٦.

٦) علي أبا حسين: " مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية ونبذة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ".(التاريخ العربي، العدد الرابع والثلاثون، ربيع١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص١١٨.

٧) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص١٢٦.

ونستدل على وجود بعض الصاغة مما ذكره الجزيري من أن الوزير الجواد(١) أرسل رجلاً ومعه خمسة آلاف درهم لعمل صفائح الذهب والفضة في داخل الكعبة وفي أركانها، ففعل ذلك(٢)، وهذا أكبر دليل على وجود الصاغة في مكة، فهو لم يرسل معه هذه الصفائح ولكن أرسل مالاً لصنعها في مكة.

ج- دباغة الجلود:

إن دباغة الجلود وصناعتها تعتبر من أهم الصناعات التي راجت في مكة، وكان يوجد بها حرفيين مهرة متخصصون في هذا المجال، وقد ذاع صيتهم في الأقطار الإسلامية(٣)، وقد أشار ابن المجاور إلى ذلك بقوله: " وكان مسافرو خراسان(٤) يشترون جلود البغال الفحولة من رستاق الموصل(٥) وسواد إربل(٦) وتدبغ في مكة"(٧).

وتحتاج دباغة الجلود إلى عدة أمور، وهي:الجو الملائم للدباغة، كأن يكون جافًا وذا هواء

---

١) هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور، الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني. كان وزيرًا لأتابك زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل. ولهذا الوزير أفعال جميلة حيث كان يحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة أموال وكسوات للفقراء والمنقطعين ما يكفيهم مدة سنة كاملة. توفي سنة٥٥٩هـ/١١٦٤م. انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٤٣-١٤٥.

٢) الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٥٦٢.

٣) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٨٩؛ بندر الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص٢٧١.

٤) معنى هذا الاسم بالفارسية مطلع الشمس. وخراسان اقليم واسع جليل، يحدّه من الشرق سجستان والهند، ومن الغرب مفازة الغزية وجرجان، ومن الشمال بلاد ماوراء النهر وبلاد الترك، ومن الجنوب مفازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري. ويتميز هذا الاقليم بأنه عامر وكثير الخيرات. وقد انقسم هذا الاقليم ليشمل عدة دول الآن، وهي: افغانستان، وإيران، وتركمانستان. انظر، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٥٨؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار صادر، (د.ت))، ص٣٦١؛ الحميري، محمد بن عبدالمنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م)، ص٢١٤-٢١٥.

٥) هي مدينة على طرف دجلة، تعتبر باب العراق، ومفتاح خراسان. سميت بالموصل؛ لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٣.

٦) هي مدينة كبيرة تعد من أعمال الموصل. انظر، المصدر السابق، ج١، ص١٣٨.

٧) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٣.

معتدل، ووجود المادة الأولية للدباغة وهي جلود الحيوانات كالإبل والماعز والغنم والبقر والغزلان، وتوفر المواد والمحتويات التي تضاف إلى الجلود أثناء دباغتها كنبات القرظ، ولحسن الحظ كانت هذه الأمور متوفرة في إمارة مكة المكرمة(١). ومن أشهرها الطائف التي كان يدبغ فيها الأدم الثقيل(٢)، والذي وصفه ابن المجاور بأنه:" الأديم الجيد وهو الثقيل النقي الطاهر عنابي الوجه مشتبك بعضه ببعض مبرأ من العيوب"(٣). وكان بمكة حوانيت منفصلة لأصحاب الأدم الذين كان بعضهم من أهل الطائف(٤).

ولقد كان يصنع من هذه الجلود المدبوغة بمكة القِرَب التي كانت تستعمل لحفظ الماء والعسل والزيت واللبن وغيرها من السوائل، وكما كان يوضع التمر في جرابات من الأديم، وكذلك دخلت الجلود في بناء البيوت وصناعة الملابس، وأيضًا صناعة الخِفاف والنّعال(٥).

د- حرف أخرى:

إن حرفة البناء تعد ذات أهمية كبيرة عرفتها المجتمعات، وكانت هذه الصناعة منحصرة لأهل الحضر من العرب لأنهم الذين تمس إليها حوائجهم، وهي معرفة العمل في اتخاذ المنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن(٦)، وذلك " لأن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله، لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف

---

١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٣؛ غيثان بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز، ص ١٩٣، ١٩٥؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٨٩، ١٩٠.

٢) نجلة الصباغ: بلاد الحجاز، ص٨٢.

٣) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٣.

٤) نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص٨٢.

٥) أحمد الزيلعي: المرجع السابق، ص١٨٩؛ بندر الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص٢٧١؛ سعيد بن عبدالله بن بنية القحطاني: تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد،(الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ)، ص٣٧٠.

٦) محمود الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٨٩.

والحيطان من سائر جهاتها "(١). وقد اعتمد البناءون في مكة المكرمة لبناء الدور على الحجر الذي جلبوه من جبال مكة، فبنيت المنازل من الحجر والجص والآجر(٢)، وقد بلغت مهارتهم إلى حد بناء مربعة الأمير، وهي مدينة في ظاهر مكة مابين درب الثنية والمِسْفَل، وقد أمر بتشييدها الأمير هاشم ليسكن بها هو وجنده وخدمه وحشمه(٣).

ولم تقتصر الحرف على الكبار بل حتى الصغار كان لهم نصيب منها، فقد كان الأيتام الصغار يجلسون في السوق، ومع كل واحد منهم قفتان كبرى وصغرى، فيأتي الرجل من أهل مكة إلى السوق، فيشتري ما يحتاج إليه من الحبوب واللحم والخضار، فيدفعه إلى الصبي، فيجعل الحبوب في إحدى قفتيه، واللحم والخضار في الأخرى، ويوصل ذلك إلى دار الرجل، ولهم على ذلك أجرة معلومة من المال(٤).

ومن الحرف أيضًا التي عرفت بمكة السقاية، فكان السقاءون يحملون الماء من الآبار إلى مكة لبيعه(٥). وكذلك عرفوا العطارة، وقد اختص العطارون ببيع مختلف أنواع الطيب والعقاقير والأعشاب الطبية(٦)، وكان لهم سوق خاص بهم، وهو سوق جميل البنايات وكله عطارون. وكذلك يجد النازل من جبل المروة سوقًا به عشرين دكانًا متقابلة، يشغلها حجامون لحلق شعر الرأس(٧).

---

١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيلة،(د.ت))، ص٤٨٧.

٢) المقدسي: أحسن التقاسيم،ص٧٥؛ ابن المجاور: تاريخ المستبصر،ص١٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق،ج١، ص١٣٩.

٣) ابن المجاور: المصدر السابق، ص١٩.

-وقد خربت هذه المدينة في عهد الأمير عيسى ابن فليته، وبقيت خرابًا إلى عهد الأمير قتادة بن إدريس، وجدّد فيها آثارًا ومواضع شتى، وأراد أن يسكن فيها الغرباء وقريش، وبينما يسكن هو وجميع أهل الشرف مكة، فمات قتادة وبطل جميع العمل. انظر، المصدر السابق، ص١٩.

٤) ابن بطوطة: تحفة النظار،ج١،ص١٦٨.

٥) ناصر خسرو: سفر نامه، ص١٢٤.

٦) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص١٢٢.

٧) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص١٢٣.

النشاط التجاري:

تميزت مكة المكرمة بموقعها الاستراتيجي، فمكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب، وهي محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب(١)، وكانت بحكم موقعها هذا في طريق تجارة الطيوب والغلال وأنواع الأقمشة بين دول الجنوب وممالك الشمال ذات مركز استراتيجي ممتاز، وكانت أسواقها تزدحم بالتجار الصاعدين إلى الشام أو النازلين إلى اليمن، وكانوا ينقلون من إفريقيا عن طريق اليمن الرقيق والصمغ والعاج والتبر، كما كانوا ينقلون من اليمن الجلود والبخور، كما ينقلون من العراق توابل الهند، ومن مصر والشام الزيوت والأسلحة والحرير(٢).

وبلا شك أن هناك علاقة بين موقع مكة ونموها التجاري، ويمكن توضيح ذلك مما يلي:

١- وجود الكعبة المشرفة وغيرها من الأماكن المقدسة كمنى وعرفات حيث يجتمع فيها عشرات الآلاف من المسلمين من جميع أنحاء المعمورة، يفدون إليها لتأدية مناسك الحج والعمرة، فيغص سوقها ببضائع الشرق والغرب، وهذا بدوره يؤدي لنمو وازدهار سوقها(٣).

٢- وقوعها على طريق القوافل التجارية التي تتوقف في مكة للراحة والبيع والشراء، وللتزود بالماء والمؤن لتستأنف رحلاتها(٤).

٣- إحاطة مكة بمنطقة خصبة وفر لها كثيرًا من المحاصيل الزراعية، هذا فضلاً عن ثروتها الحيوانية، مما هيأ لها كفاية ذاتية في أسواقها المحلية، وفائضًا للتصدير.

٤- قربها من البحر الأحمر، وامتلاكها بعض الموانئ التجارية مثل: جدة والسرين(٥). وجدة هي فرضة مكة، وكانت كثيرة التجارات والأموال(٦).

---

١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول،(دار الفكر العربي، (د.ت))، ص١٨٤.

٢) ضيف الله الزهراني، وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٧.

٣) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٥٦.

٤) ضيف الله الزهراني، وعادل غباشي: المرجع السابق، ص٨.

٥) أحمد الزيلعي: المرجع السابق، ص١٥٦.

- السرين: مدينة عظيمة في طريق مكة من اليمن بمقربة من يلملم. انظر، الحميري: الروض المعطار، ص٣١٢.

٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩؛ الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٣.

٥- أن موقع مكة قريب من منطقة أسواق قديمة، كسوق عكاظ ومجنة وذو المجاز، وهذه الأسواق في وسط الحجاز وقريبة من نجد واليمن، و الأسواق عادة تنشأ مراعاة لاحتياج المنطقة التي تحيط بها، لأنها ملتقى قوافل التجارة من جميع أنحاء الجزيرة العربية(١).

أما عن أسواق مكة، فكان لكل صنعة أو سلعة أو تجارة سوق مفردة خاصة بها(٢)، مثل: سوق العطارين، وسوق البزازين، وسوق الوراقين، وسوق الحناطين إلى غير ذلك من الأسواق(٣).

وهناك أسواق تحيط بالمسجد الحرام، وقد أكد المقدسي ذلك بقوله: " وإليه الأسواق من الشرق والجنوب "(٤)، وهذا ما أثبته ناصر خسرو عندما قال: " وعند الجانب الشرقي للمسجد سوق تمتد من الجنوب إلى الشمال(٥) "، وقد أكد ابن جبير وجود هذا السوق العظيم الذي يحيط بالمسجد الحرام " يباع فيه من الدقيق إلى العقيق، ومن البُرّ إلى الدر، إلى غير ذلك من السلع... ومعظم السوق في البلاط الآخذ من الغرب إلى الشمال، وفي البلاط الآخذ من الشمال إلى الشرق "(٦)، ونستطيع أن نتبين ذلك من الأسماء التي أطلقت على أبواب المسجد الحرام، كباب الزياتين، وباب البزازين، وباب الدقاقين، وباب زقاق الشطوي، وباب التمارين(٧).

وأيضًا بين الصفا والمروة هناك سوق كبير، يباع فيه جميع الفواكه والحبوب واللحم والتمر، والسمن ، وإلى غير ذلك من الأطعمة ، حتى كاد الساعون بين الصفا والمروة لا ينتهون من

---

١) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٥٥.
٢) نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص٢٩٦.
٣) ضيف الله الزهراني، وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٢١-٢٢.
٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٧٦.
٥) ناصر خسرو: سفر نامه، ص١٢١.
٦) ابن جبير: الرحلة، ص١٦٠.
٧) المقدسي: المصدر السابق، ص٧٦.

السعي لكثرة ازدحام الناس في السوق، وكانت حوانيت الباعة يمينًا وشمالاً(١).

ومن أسواق مكة العامرة وقت الحج، سوق منى وهو من أعظم الأسواق(٢)، فحوانيته حسنة البناء بالحجر وخشب الساج(٣)، ويباع في هذا السوق من الجوهر النفيس إلى أدنى الخرز، إلى غير ذلك من الأمتعة وسائر سلع الدنيا(٤)، حيث كان الحجاج يفدون إلى مكة لأداء مناسك الحج من الشام والعراق واليمن والبحرين، ومن كافة البلدان الإسلامية، فيلتقون في هذه الأسواق ويتبادلون السلع من بيع وشراء ومبادلة، ويقيمون أودهم، و يتزودون بما هم في حاجة إليه من العروض(٥).

وإذا أردنا أن نعرف أنواع السلع التي كانت تباع في هذه الأسواق، فإن مما يفيدنا في ذلك ما ذكره ابن جبير حيث قال: " ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب، فيباع فيها في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه، من الذخائر النفيسة كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب: كالمسك، والكافور، والعنبر والعود، والعقاقير الهندية، إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة، إلى الأمتعة العراقية واليمانية، إلى غير ذلك من السلع الخراسانية، والبضائع المغربية، إلى مالا ينحصر ولا ينضبط، ما لو فُرّق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولَعَمّ جميعها بالمنفعة التجارية، كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم، حاشا ما يطرأ بها مع طول الأيام من اليمن وسواها. فما على الأرض سلعة من سلع ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة فيها مدة الموسم " (٦).

---

١) ابن جبير: الرحلة، ص٨٥؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٦٢.

٢) ابن جبير: المصدر السابق، ص١٥٧.

٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٧٨-٧٩.

٤) ابن جبير: المصدر السابق، ص١٥٧.

٥) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص١٩١، ٢٠٣.

٦) ابن جبير: المصدر السابق، ص٩٧.

أما مكاييل وموازين أهل مكة، فوحدة الكيل هي الصاع(١) والمد(٢) والمكوك(٣)، وبها تباع الحنطة وسائر الحبوب(٤). وأوزانهم المنّ المعروف في جميع الأقطار الإسلامية، غير أنهم يسمونه رطلاً، وهو يساوي مائتين وستين درهمًا، و أواقيه عشرة، كل أوقية عشرة دراهم(٥).

وكانت جميع الحوائج والعطور تباع بالرطل، وكانت هناك حوائج أخرى يستدعي بيعها أرطالاً أخرى ذات وزن يختلف عن الرطل الرسمي، فكان رطل اللحم بأربعمائة درهم، وبه يباع اللحم والشحم والهريسة والمجبنة والألية، ورطل السمن ثمانمائة درهم، وبه يباع السمن والزيت والخل والشيرج(٦).

أما قياس الأقمشة فكان بالذراع المصري(٧)، والذراع اليد في أيام الموسم وأيام الصدقة، وبعد انتهاء الموسم بمدة شهر كامل زيد في الذراع(٨).

---

١) قُدِّرَ وزن الصاع بخمسة أرطال وثلث، والصاع عبارة عن أربعة أمداد، والمد ملء كفي الرجل المعتدل، وهو يساوي ٥٤٤× ٤= ٢١٧٦غرام. انظر، عبد الله بن سليمان المنيع: "بحث في تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة ". (مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥٩، ذو القعدة – صفر ١٤٢٠هـ/١٤٢١هـ)، ص١٧٨؛ محمد صبحي بن حسن حلاق: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٨٤-٨٧.

٢) المد هو ربع الصاع ، وقُدِّرَ وزنه برطل وثلث، وهو يساوي ٥٤٤غرام. انظر، عبد الله المنيع: المرجع السابق، ص١٧٩؛ محمد حلاق: المرجع السابق، ص١١٣-١١٦.

٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٣.

-المكوك: قُدِّرَ وزنه بثلاث كيلجات، ومقدار الكيلجة ١٥٣٠ غرام، وعليه فإن ١٥٣٠×٣= ٤٥٩٠غرام. انظر، عبدالله المنيع: المرجع السابق، ص١٨٥، ١٨٧.

٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٣.

٥) المقدسي: المصدر السابق، ص٩٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤، ص٢٨١.

٦) ابن المجاور: المصدر السابق، ص٢٢؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٦٢-١٦٣.

٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨١.

– الذراع المصري: تتألف من ست قبضات كل قبضة اربع اصابع كل اصبع ٢،٠٧٨سم، كما كانت كل ٨اذرع كهذه تعادل ٦اذرع هاشمية. وبذلك تكون النتيجة التي نصل إليها بشأن طول هذه الذراع ٤٩،٨٧٥سم. انظر، فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، (عمّان: عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، ط٢، ٢٠٠١م)، ص٩٢.

٨) ابن المجاور: المصدر السابق، ص٢٢.

وكانت النقود المتداولة في مكة هي المطوّقة والعثّريّة وهما ثلثا المثقال، وأيضًا من الدراهم التي تداولها المكيون المحمدية(١)، والمزبّقة وصرفها أربع وعشرين درهم، ويبطل تداول المزبقة من يوم السادس من ذي الحجة إلى آخر الموسم(٢)؛ ولعل السبب في ذلك يعود لكونها نقود مزيفة– أي مغشوشة – حيث تقل في قيمتها عن العملة الرسمية(٣).

وقد تبعت معاملات مكة النقدية الدينار المصري، حيث أشار ابن المجاور إلى أن الذهب المصري كان يضرب بمكة على عيار المصري يسوى الدينار أربعة وعشرين علويًا، ويحسب كل علوي أربعة دراهم كل درهم ستة فلوس(٤).

كما شهدت مكة في فترات متفرقة من تاريخها ضرب عملات باسم أمرائها من الأشراف، منهم أبو الفتوح الذي ضرب دراهم الفتحية، وقد سكها من أطواق الذهب والفضة التي استولى عليها من الكعبة، فضربها دراهم ودنانير، وذلك عند خروجه عن طاعة الفاطميين(٥). ولكنه ما لبث أن ضرب عملة أخرى عندما عاد إلى طاعة الفاطميين، فرجع إلى مكة وضرب عملة على غرار الدينار المصري، وكتب عليها اسم الحاكم بأمر الله الفاطمي(٦).

وكذلك فعل محمد بن جعفر أبي هاشم الذي أخذ الذهب من أستار الكعبة و الميزاب

---

١) الظاهر أنها نسبة إلى محمد بن سليمان الذي ثار بمكة سنة٣٠١هـ، فلعلها أن تكون قد سكت في عهده أو أن تكون قد ضربت في عهد الأمراء الموسويين الذين جاءوا بعده وسميت المحمدية تيمنًا به. انظر، أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٦١.

٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٤؛ ضيف الله الزهراني: زيف النقود الإسلامية، (مكة المكرمة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٣١.

٣) طلال بن شرف بن عبدالله البركاتي: المسكوكات العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري مع دراسة لمجموعة من القطع النقدية المعدنية المحفوظة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، (مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ)، ص١٢٣، ١٢٥؛ ضيف الله الزهراني: زيف النقود، ص٣١.

٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٢.

٥) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٣٧؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٤٨٥؛ ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة٤٢.

٦) أحمد الزيلعي: المرجع السابق ، ص١٦٢.

والقناديل وباب الكعبة، فضربه دراهم ودنانير سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م(١)، وكان الذي دفعه لذلك هو انقطاع ما كان يصله من مصر أثناء فترة انشغال الفاطميين بما وقع في بلادهم من الشدة والوباء والقحط(٢).

كما ضرب سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الدراهم والدنانير باسم أخيه صلاح الدين، وذلك حين استيلائه على مكة سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م(٣).

ولم تقتصر المعاملات المالية في أسواق مكة المكرمة على البيع والشراء بالدرهم والدينار، وإنما كانت المقايضة موجودة أيضًا في تلك الفترة(٤)، وهي ما أطلق عليها ابن المجاور "كج بكج "(٥)، واتضح ذلك من تعامل السرويين مع أهل مكة، فكان السرو لا يبيعون بضائعهم في مكة بدينار ولا بدرهم، وإنما كانوا يبيعونها بالخرق والعباءات والشمل، التي يعدها أهل مكة " ويبايعونهم به ويشارونهم "(٦).

الضرائب والمكوس:

لقد كانت الضرائب والمكوس تؤخذ بجدة، ولكل صنف قيمة ضريبية معينة، فمن كل حمل حنطة نصف دينار، وعلى سفط ثياب الشطوي ثلاث دنانير، ومن سفط الدَّبِيقيّ ديناران، وحمل الصوف ديناران، وعلى سلة الزعفران دينار، وكذلك على رؤوس الرقيق هذا ممَّن خرج(٧).

---

١)ابن الجوزي: المنتظم،ج١٦، ص٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢؛ ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ورقة ٤٢.
٢)الطبري: الأرج المسكي، ص٣٣٤.
٣) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٥٣؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٤٨؛ ابن ظهيرة: المصدر السابق، ورقة ١٣٨.
٤) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٤٣.
٥) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٢٣.
٦) ابن جبير: الرحلة، ص١١٠-١١١.
٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٨.

وقد أخذت المكوس من الحجاج القادمين إلى مكة عن طريق عيذاب(١)، فكان على كل إنسان سبعة دنانير مصرية ونصف، تؤدى في عـــيذاب أو جدة(٢)، وإذا كـــان الحاج فقيرًا لايملك مقدار مكسه، فهو يحبس ولا يُترك، وعذب عذابًا أليمًا، فتفوته الوقفة بعرفة والحج(٣). وفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م أبطلها السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان سبب ذلك أنه حج في هذه السنة الشيخ علوان الأسدي الحلبي(٤) فلما وصل جدة طولب بذلك المكس، فرفض وأراد العودة وترك الحج، فلاطفه مأمور المكس، وكتب إلى أمير مكة مكثر بن عيسى يخبره بذلك، فأمر بإعفاء الشيخ علوان من المكس، وحين وصل الشيخ علوان إلى مكة اجتمع به الأمير مكثر واعتذر إليه بأن دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها مما يضطره إلى أخذ المكوس، فكتب الشيخ علوان إلى السلطان صلاح الدين يخبره بذلك(٥). وبما أن هذه المكوس كانتشكل مصدرًا من المصادر الكبرى لإيرادات البلاد(٦) ، لذا عوضه السلطان صلاح الدين بأن يحمل إليه إلى ساحـل جـدة في كل عام مبلغ ثمانية آلاف إردب قـمـح(٧) ، ويحمل أيضًا

---

١)بليدة على ضفة بحر القلزم– الأحمر-، وهي مرسى المراكب القادمة من عدن إلى الصعيد. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٧١.

٢) ابن جبير: الرحلة، ص٣٠؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص١٧٤؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٥٣٩؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٤٢.

٣) ابن جبير: الرحلة، ص٣١؛ أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)،ج٣، ص١٠.

٤) لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٥) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية، (دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)،ج١، ص٦٩؛ عبد الفتاح راوه المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص١٢٤.

٦) نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص٢٥١.

٧) الإردب: مكيال أهل مصر، وهو أربعة وعشرون صاعًا، وهو يساوي ٢١٧٥× ٢٤= ٥٢٢٠٠غرام. انظر، محمد حلاق: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل، ص٧٦-٧٧.

الغلات إلى المجاورين بالحرمين والفقراء(١)، وقيل إنه عوضه بألفي دينار، وألفي أردب قمح، وإقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن(٢)، وكل ذلك مقابل أن يترك أخذ المكوس على الحجاج، فتركها(٣).

المطلب الرابع: الأحوال الاجتماعية:

لاشك أن الحديث عن الأحوال الاجتماعية لهو من الأمور الشيقة الجميلة التي تعرفنا على أدق تفاصيل المجتمعات، وما بالنا ونحن نتعرف على الأحوال الاجتماعية لأقدس مكان على وجه الأرض، و سنتناول في هذا الموضوع عدة جوانب، وهي:

طبقات المجتمع:

كانت مكة المكرمة فريدة في تركيبها الاجتماعي، فقد أثر مركزها الديني لدى المسلمين على تركيبها الاجتماعي، حتى أصبح نسبة عدد سكانها الأصليين قليلة، في حين ازدادت نسبة عدد الغرباء الوافدين على مكة في موسم الحج زيادة كبيرة، وذلك نتيجة استقرارهم بمكة أما للتجارة أو مجاورة بيت الله الحرام أو طلبًا للعلم(٤). وقد برزت عدة طبقات في المجتمع المكي أثناء فترة الدراسة، وهي على النحو التالي:

أ- **الأمراء:**

كان أمراء مكة من أسر الأشراف(٥)، وهم من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما(٦)، وقد سبق أن ذكرنا أنه حكم مكة أربع طبقات من الأشراف، وهم:

---

١) أبوشامة: كتاب الروضتين،ج٣، ص١٠؛ الفاسي: شفاء الغرام،ج٢، ص٣٦٨؛ المقريزي: السلوك،ج١، ص١٧٤؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٥٣٩.

٢) ابن جبير: الرحلة، ص٥٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص١٧٤؛ العز بن فهد: غاية المرام، ج١، ص٥٤٢.

٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٦٩.

٤) علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ((د.ط)، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ٢٠٧.

٥) فؤاد عنقاوي: مكة، ص ١٥٩.

٦) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ١٥.

الطبقة الأولى: الموسويون، نسبة إلى موسى بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الطبقة الثانية: السليمانيون، نسبة إلى سليمان بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١).

الطبقة الثالثة: الهواشم، نسبة إلى هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢).

الطبقة الرابعة: بنو قتادة، نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسن بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٣).

ويبدو أن حياة الفاطميين في مصر أثرت في حياة المكيين، حيث كان الفاطميون يقدسون إمامهم، ويرون فيه شخصًا تحيطه هالة من الجلال والتنزيه، وقد أثر هذا في نظر أهل مكة إلى حكامهم الأشراف(٤)، و " استطاع الأشراف أن يحيطوا مراكزهم بشيء من الجلال وأن يطبعوا العامة على تقديسهم وأمعنوا في هذا أو أمعن الناس حتى عم الغلو في تقديس كل شريف ينتسب إلى بيت الحاكمين " (٥).

ب - **سكان مكة الأصليون:**

كان سكان مكة الأصليين قلة من بطون قريش التي بقيت بمكة بعد حركة الفتوحات

---

١) عبد الفتاح راوه المكي: جداول تاريخ أمراء البلد الحرام، ص١١٤.

٢) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ص٧٤، هامش رقم (٤).

٣) عبد الفتاح راوه المكي: المرجع السابق، ص١١٤ .

٤) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٩٥.

٥) المرجع السابق، ج١، ص١٩٥-١٩٦.

الإسلامية في الشام والعراق في صدر الإسلام(١)، وهناك بعض القبائل التي نزحت إلى مكة، فنالت من قريش حسن الجوار(٢)، وقد سجل ناصر خسرو الذي زار مكة في القرن الخامس الهجري أن عدد سكانها القاطنين بها لا يزيد عن ألفين(٣)، بالإضافة إلى بعض العائلات القرشية التي سكنت بوادي فاطمة، والطائف، حيث كانوا يشتغلون بالزراعة، وخاصة في وادي الوهط في الطائف(٤).

ج – **المجاورون:**

لقد جذبت المكانة الروحية التي تمتعت بها مكة عددًا كبيرًا من المسلمين الذين توافدوا على الحرم المكي من مختلف أمصار العالم الإسلامي، والذين لم يلبث أن فضل بعضهم جوار بيت الله العظيم، وقد كانت غايتهم من ذلك الانقطاع للعبادة، والاحتماء بحرم الله، ابتغاء لفضله ورضوانه، وقصدًا لتجارة الدنيا والآخرة(٥).

واندمج هؤلاء المجاورين في المجتمع المكي، وأصبحوا يشكلون جزءًا من هيكلها الاجتماعي(٦)، وقد أشار ناصر خسرو إلى أن عددهم يقرب من الخمسمائة(٧).

د – **الرقيق:**

يبدو أن تجارة الرقيق كانت رائجة في مكة المكرمة أثناء فترة الدراسة ، وقد جلب هؤلاء

---

١) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٢٠٨؛ عائشة باقاسي: مكة والمدينة، ص١٥٦.

٢) فؤاد عنقاوي: مكة، ص١٦٠.

٣) ناصر خسرو: سفر نامة، ص ١٢٣.

٤) فؤاد عنقاوي: المرجع السابق، ص ١٦٠؛ عائشة با قاسي: مكة والمدينة، ص ١٥٦؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١١٠.

٥) حسين سيد عبدالله مراد: " المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين (٥٦٧- ٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)" .(المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٣٨، ١٩٩١- ١٩٩٥م)، ص١٠٧، ١١٠؛ عائشة با قاسي: بلاد الحجاز، ص ٨٠.

٦) علي السليمان: المرجع السابق، ص ٢٠٩.

٧) ناصر خسرو: المصدر السابق، ص١٢٣.

الرقيق من بلاد السودان والحبشة وبلاد المغرب(١). وقد شارك الرقيق في جوانب الحياة المختلفة للمجتمع الإسلامي في مكة، ففي مجال الحياة السياسية رأينا كيف استطاع أحد عبيد الشريف شكر أن يتولى إمرة مكة بعد وفاة سيده، كما وقد استعان بهم المسؤولون في البلاد في تنفيذ أغراضهم(٢)، واتضح ذلك من أحداث سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٤م عندما أرسل الأمير محمد بن أبي هاشم عسكره خلف حجاج الشام لينهبوهم عند مغادرتهم مكة(٣).

أما في مجال الحياة الاقتصادية فقد شارك الرقيق في جوانبها المختلفة، فاشتغلوا بالزراعة والرعي وصناعة الخرازة(٤).

أما في مجال الحياة الاجتماعية فكان الأرقاء يعملون في خدمة البيوت، بالإضافة إلى وجود الجواري للغاية ذاتها(٥).

و يبدو أن عدد الرقيق كان كثيراً بمكة، وقد استنتجنا ذلك من عدد العبيد الذين اصطحبهم الأمير أبو الفتوح معه عند ذهابه للرملة، حيث سار معه ألف عبد(٦).

العادات والتقاليد:

١ - الأعياد والمواسم الدينية والاحتفالات العائلية:

لقد تعددت المواسم والأعياد الدينية التي احتفل بها أهل مكة خلال فترة الدراسة، فكانوا يحتفلون باستهلال الشهور الهجرية، وقد درج الأمراء على أن يأتي أمير مكة في أول يوم

---

١) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز،ص٢٧٦؛ علي أبا حسين:" صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة أيام العباسيين".(الوثيقة، العدد الخمسون، السنة الخامسة والعشرون، جمادى الثانية ١٤٢٧هـ/ يوليو ٢٠٠٦م)، ص ١٦.

٢) نجلة الصباغ: بلاد الحجاز، ص١٢٠.

٣) ابن الأثير: الكامل،ج٨،ص٣٦٣؛ الفاسي: شفاء الغرام،ج٢،ص٣٦٤؛ العز بن فهد: غاية المرام،ج١،ص٥١٤.

٤) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٥٥-٢٥٦.

٥) نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص١١٨؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص٢٠٢.

٦) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٨٢؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢١٨.

من الشهر، وقواده يحفون به، وهو يرتدي الملابس البيضاء، ومتقلدًا سيفه، فيصلي عند مقام إبراهيم ركعتين، ثم يقبل الحجر الأسود ، ويطوف سبعة أشواط ، وكان رئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم، فإذا أكمل الأمير شوطًا واحدًا وقبل الحجر، اندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له والتهنئة بدخول الشهر رافعًا صوته بذلك، ويذكر شعرًا في مدحه ومدح سلفه الكريم، ويفعل مثل ذلك بقية الأشواط، وإذا فرغ الأمير من الطواف ركع عند الملتزم ركعتين، وكذلك يفعل خلف المقام، ثم ينصرف(١).

أما عامة الناس فكانوا يتصافحون، ويهنىء بعضهم بعضًا، ويدعو بعضهم لبعض كفعلهم في الأعياد(٢).

ويحتفل أهل مكة أيضًا بشهر رجب، فعند ثبوت رؤية الهلال لدى الأمير يأمر بضرب الطبول والدبادب والبوقات إشعارًا بأنها ليلة الموسم، فيمتلىء المسجد الحرام في تلك الليلة سُرجًا تتلألأ نورًا. وفي أول يوم منه يخرج أمير مكة راكبًا، ومعه أهل مكة فرسانًا ورجالاً في تنظيم عجيب قبيلة قبيلة، وحارة حارة شاكين في الأسلحة، فالفرسان يخرجون بخيلهم ويلعبون بالأسلحة عليها، والرجالة يتواثبون ويتثاقفون بالأسلحة في أيديهم حِرابًا وسيوفًا وحجفًا. حتى ينتهوا إلى التنعيم ميقات المعتمرين، ثم يأخذون في الرجوع إلى المسجد الحرام، فيطوف الأمير بالبيت والمؤذن الزمزمي بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط، فإذا انتهى صلى ركعتين عند الملتزم، وصلى عند المقام، وخرج إلى المسعى راكبًا وقواده يحفون به، والحرابة بين يديه، ثم يعود إلى منزله(٣).

وفي اليوم الثاني من الشهر يلتقي الرجال بعضهم بعضًا، فيتصافحون ويتهادون الدعاء والتغافر بينهم، والنساء كذلك. ويلبسون فيه أفخر ثيابهم(٤).

---

١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٨٠-١٨١.

٢) ابن جبير: الرحلة، ص١٠١-١٠٢.

٣) المصدر السابق، ص ١٠٦، ١٠٨؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج١، ص١٨١.

٤) ابن جبير: المصدر السابق، ص١١٠.

والعمرة في شهر رجب متصلة ليلاً ونهاراً، وفي يوم الخامس عشر من الشهر احتفل للعمرة كمثل اليوم الأول من الشهر، حيث يختص أول شهر رجب ونصفه بالعبادات بشكل كبير، وكذلك السابع والعشرون من هذا الشهر.

وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، يحتفل أهل مكة احتفالاً عظيمًا بالخروج إلى العمرة، وهم يسمون هذه العمرة عمرة الأكمة، لأنهم يحرمون فيها من أكمة أمام مسجد عائشة رضي الله عنها. والأصل في هذه العمرة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما(١) لما فرغ من بناء الكعبة خرج معتمرًا ومعه أهل مكة حتى وصل إلى تلك الأكمة فأحرم منها، وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، فبقيت تلك العمرة سنّة عند أهل مكة(٢) في ذلك اليوم بعينه وعلى تلك الأكمة بعينها.

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب يفرد البيت للنساء خاصة، فيجتمعن من كل صوب، وقد تقدم احتفالهن لذلك بأيام كاحتفالهن للمشاهد الكريمة، ولم تبقَ امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم، فيطفن ويقبلن الحجر الأسود ويستلمن الأركان مستقلات دون ازدحام الرجال لهن. وهذا هو اليوم الذي ينتظرنه من عام إلى عام، فهن يرقبنه ارتقاب أشرف الأعياد، ويكثرن من التأهب والاستعداد(٣).

ومن المواسم الدينية التي إعتاد أهل مكة الإحتفال بها ليلة النصف من شعبان ، فهذه الليلة من الليالي المعظمة عندهم، يبادرون فيها إلى أعمال البر من العمرة والطواف، والصلاة أفرادًا وجماعات، فيحتفلون احتفالاً عظيمًا بعد صلاة العشاء في الحرم المكي ، حيث يجتمعون

---

١)هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي. أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة. شهد الجمل. بويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان. قتل سنة ٧٣هـ/٦٩٢م أثناء حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لمكة. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص١٣٨-١٤٠؛ العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ)، ج٤، ص٧٨-٨٢.

٢) ابن جبير: الرحلة، ص١١٣-١١٥؛ ابن بطوطة: تحفة النظار،ج١،ص١٨٢؛ مؤلف مجهول: نبذة لطيفة تحتوي على ما يتعلق بالبيت الشريف والمسجد الحرام،(مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، ٢٨ تاريخ)، ورقة ١٠-١١.

٣) علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة أيام العباسيين، ص١٤-١٥.

هناك، وتقدم كل جماعة إمامًا، ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل، ويصلون مائة ركعة، وانقسم الناس تلك الليلة ما بين الصلاة في تلك الجماعات، أوالصلاة على انفراد في الحجر، أو الخروج للعمرة، أو الاكتفاء بالطواف حول البيت(١).

أما احتفالهم بشهر رمضان المبارك، فكان إذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة، ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشموع والمشاعل وغير ذلك من الآلآت حتى يتلألأ الحرم نورًا. ويفترق الأئمة لإقامة التراويح فِرقًا، ولا تبقَ زاوية ولا ناحية في الحرم إلا وفيها قارىء يصلي بجماعة خلفه، فيرتج المسجد الحرام لأصوات القراء.

وإذا كان وقت السحور تولى المؤذن الزمزمي التسحير في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم، وذلك بسبب قربها من دار الأمير، فيقوم داعيًا ومذكرًا ومحرضًا الناس على السحور. وقد نصبت في أعلى الصومعة خشبة طويلة في رأسها عود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان يُرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لايزالان يقدان مدة التسحير، فإذا قرب الفجر وقع الإيذان بالقطع مرة بعد مرة، وحط المؤذن الزمزمي القنديلان، وبدأ بالأذان، وابتدأ المؤذنون بالأذان من كل ناحية. وكانت لمنازل مكة سطوح مرتفعة، فمن لم يسمع نداء التسحير بسبب بعد داره عن المسجد الحرام يبصر القنديلين يقدان في أعلى الصومعة فيتسحر، فإذا لم يبصرهما علم أنه وقت الإمساك(٢).

وفي كل ليلة وتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان يختم أهل مكة القرآن، ويحضر الختم القاضي والفقهاء والأعيان، ويكون الذي يختم بها أحد أبناء أعيان أهل مكة، فإذا ختم نصب له منبر مزين بالحرير، وأوقد الشمع، وخطب، ثم استدعاهم والد الصبي إلى منزله، فأطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلوى، وكذلك يفعلون في جميع ليالي الوتر، وأعظمتلك الليالي عندهم

---

١) ابن جبير: الرحلة، ص١١٩-١٢٠؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٨٣-١٨٤.

٢) ابن جبير: المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج١، ص١٨٤-١٨٥.

ليلة سبع وعشرين، واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي، ويختم بها القرآن خلف مقام إبراهيم عليه السلام(١).

أما بالنسبة للأعياد فقد حظي عيد الفطر والأضحى باهتمام كبير من أهل مكة، فتنصب القباب ليلة الفطر ويزين السوق بين الصفا والمروة، وتضرب الدبادب إلى الصباح(٢)، ويحتفلون به أيما احتفال، لأن شهر شوال هو مفتتح أشهر الحج المعلومات، وبعده تتصل ثلاثة الأشهر الحرم. وكانت ليلة استهلاله من الليالي الحفيلة في المسجد الحرام، فتوقد المشاعل، وتسرج المصابيح والشمع، كما توقد السرج في الصوامع من جميع جهات الحرم، ويوقد سطح الحرم كله. ويقيم المؤذنون ليلتهم في التهليل والتكبير والتسبيح، أما الناس فيقضون ليلتهم ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء(٣).

وكان أهل مكة بعد صلاة الفجر يأخذون في التأهب للعيد، فيلبسون أحسن ثيابهم، ويبادرون بالذهاب للمسجد الحرام لأداء صلاة العيد. وأول من يبكر إلى المسجد الشيبيون، فيفتحون باب الكعبة، ويقعد كبيرهم على عتبتها وبقيتهم بين يديه إلى أن يأتي أمير مكة، فينزلون إليه ويتلقونه، فيطوف، والمؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم رافعًا صوته بالثناء عليه، والدعاء له، والحرم قد غص بالناس، فيأتي الخطيب لابسًا السواد بين الرايتين السوداوين، والفرقعة أمامه، فيصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم يصعد المنبر فيخطب، فإذا انتهت الخطبة أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار، وثم يدخلون الكعبة أفواجًا، ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلاة للدعاء بالرحمة لمن فيها من عباد الله الصالحين من الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح(٤).

أما في عيد الأضحى فلا تختلف مظاهر الإحتفال عن ذلك كثيرًا ففي أول يوم من شهر ذي الحجة تضرب الطبول والدبادب في أوقات الصلوات بكرة وعشية، إشعارًا بالموسم المبارك.

---

١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٨٥.

٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٥.

٣) ابن جبير: الرحلة، ص١٣٣-١٣٤؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج١، ص١٨٥.

٤) ابن جبير: المصدر السابق، ص١٣٤-١٣٥؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج١، ص١٨٥-١٨٦.

ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات. وتقع المباهاة والمفاخرة بين حجاج مصر والشام والعراق وخراسان في جلب الشمع والاستكثار منه لإضاءة جبل الرحمة والمشعر الحرام(١).

أما الزواج في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة فقد كان له موسم، حيث أن الخطبة كانت تتم في العاشر من ذي الحجة، أما الزفاف فكان في العاشر من المحرم(٢)، ويمكننا أن نلحظ ذلك الارتباط الوثيق بين موسم الزواج والحج من قول ابن المجاور: " فإذا رحل الحاج دار الخطب والنكاح والأفراح والأعراس بين الناس "(٣)، وذلك نتيجة أن غالبية السكان كانوا في حاجة إلى تدبير المال اللازم لتكاليف الزواج، لذا كانوا ينتظرون حلول موسم الحج الذي يعم فيه الخير والرخاء، نتيجة توزيع الصدقات والزكاة من قبل شرائح مختلفة من الحجاج القادمين من مختلف الأقطار الإسلامية(٤).

فإذا تزوج الرجل من أهل مكة ودفع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم وأرجلهم تزينًا، ويحضر كل أصدقائه وأهله و أقاربه وبيد كل منهم قرطاس مكتوب عليه اسمه ووزن المبلغ وعدده – وهو ما نسميه اليوم باللصق أو الردف – ويقدمه للعريس كل على قدر حاله وسعة ماله، وكذلك تفعل النساء(٥)، ويجلس الرجال خارج البيت في المكان المعدّ لهم، ويمدّ لهم في العشاء سماط طويل يجلسون عليه جميعًا دفعةً واحدة فيأكلون وينصرفون، أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب القاعة التي يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء، فتصبغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل إلى قاعة الجلوس، فتسلم على الحاضرات وتجلس لتجاذب أطراف الحديث(٦). أما العريس فيخرج إلى الحرم للطواف، ومن ثم يصلي ركعتين عند

---

١) ابن جبير: الرحلة، ص١٥٥؛ ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٨٦.

٢) عطيه إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٣٠٤.

٣) تاريخ المستبصر، ص١٦.

٤) أحمد محمد عدوان: " عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك ٦٤٨هـ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م"،(مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد الخامس، السنة الثالثة، ذو القعدة ١٤٢٢هـ/يناير٢٠٠٢م)، ص٤١.

٥)ابن المجاور: المصدر السابق، ص١٦.

٦) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٢٠٥.

مقام إبراهيم، ويُقبل الحجر الأسود، ويخرج بالشمع إلى بيت العروس، وهناك تزف النساء العروس إلى بعلها، ثم ينصرفن إلى بيوتهن(١).

٢ - الملابس ومظاهر الزينة:

اهتم أهل مكة بارتداء الملابس النظيفة الجميلة، واتضح ذلك من قول ابن بطوطة: " وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس، وأكثر لباسهم البياض. فترى ثيابهم أبدًا ناصعة ساطعة"(٢)، ويغلب على ملابسهم الألوان الزاهية خاصة الأخضر والأحمر والأزرق والوردي(٣)، بالإضافة إلى اللون الأبيض، ولعل السبب في ذلك البيئة الحارة(٤) التي تفرض عليهم ارتداء هذه الألوان لتعكس أشعة الشمس.

ولقد ترتب على ارتفاع مستوى المعيشة، إهتمام السكان بالأزياء والتأنق في الهيئة، فاستوردوا الألبسة من العراق وخراسان واليمن ومصر(٥)، وقد عرفت مكة في فترة الدراسة ثيابًا جديدة من الحرير والكتان، وأنواعًا أخرى براقة تتلألأ إذا انعكست عليها أشعة الشمس، كانت ترد إليها في تجارتها مع مصر(٦).

وكذلك كان الفاطميون يخلعون على الأمراء في مكة خلعًا خاصة بالأعياد والمناسبات، كانت موشاة بخيوط الذهب والفضة، وذلك بحكم الصلة الوثيقة بينهم، ولابد أن تقليد هذه الثياب قد شاع في الأوساط الراقية في مكة، و تركت أثرها في أزياء الأهالي إلى حد تبدو فيه ملابسهم وقد نالها من التطور ما يجعلها قريبة الشبه بما يلبسه الفاطميون(٧).

---

١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص١٦.

٢) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٦٩.

٣) إبراهيم رفعت: المرجع السابق، ج١، ص٢٠٤؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٨٧.

٤) علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة، ص١٩.

٥) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٦٩.

٦) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٩٧-١٩٨.

٧) المرجع السابق، ج١، ص١٩٨؛ عائشة باقاسي: مكة والمدينة، ص١٧٣.

وكذلك فعل الأيوبيون والعباسيون ففي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م خلع الأمير سيف الإسلام خلعةً للأمير مكثر(١)، وقد وصفها ابن جبير " حلة ذهب كأنها الجمر المتقد يسحب أذيالها وعلى رأسه عمامة.... وهي مصفحة بالذهب، وتحت الحلة خلعتان من الدبيقي المرسوم البديع الصنعة"(٢)، وهاتان الخلعتان من الخليفة العباسي(٣).

وكما عرفت مكة ألبسة خاصة بالرجال، و أخرى خاصة بالنساء، وهناك ألبسة اشترك الجنسان في ارتدائها. فكان الرجال يلبسون للرأس العمامة، وهي تيجان العرب وبها عزهم(٤)، وأيضًا كانت لها فوائد جمة، ففيها قال أبو الأسود الدؤلي: " جُنة في الحرب، ومكنة من الحر، ومدفأة من القر، ووقار في الندى، وواقية من الأحداث، وزيادةفي القامة. وهي تعد عادة من عادات العرب"(٥). وقد اختلفت ألوانها فمنها الأبيض، والأسود، والأزرق(٦)، وكما عرفت العمائم المزركشة بما يشبه الغضب(٧). ومن ألبسة الرأس أيضًا القلنسوة وتلبس تحت العمامة، وهي متعددة الألوان منها البيضاء والحمراء والصفراء(٨).

أما ملابس الرجال الداخلية فهي: السروال، والقميص، والإزار، وقد شاع في مكة لبس الإزار، ويلبسونها بلا قميص إلا القليل، وهو ما يلتحف به أو يستر به البدن من أسفله(٩).

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٤٦.

٢) الرحلة، ص١٢٦.

٣) النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٦.

٤) محمود الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٤٠٨.

٥) المرجع السابق، ج٣، ص٤١٠.

٦) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٤١؛ ابن جبير: المصدر السابق، ص١٢٦؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٦؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص٢٣٩؛ علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي، ص١٩.

٧) أحمد السباعي: تاريخ مكة،ج١، ص١٩٨.

٨) نجلة الصباغ: بلاد الحجاز ، ص١٣٨-١٣٩.

٩) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٤؛ عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٧٣-٢٧٥.

واللباس الخارجي للرجال النصافي النيسابوري الرفيع ويتحزم بنصفه الثاني(١). وكذلك لبسوا الجُبَّةِ، وهو ثوب واسع الكمين مفتوح من الأمام يُلبس عادة فوق ثوب آخر(٢)، ولبس الرجال أيضًا الطيلسان، وهو وشاح أو كساء يوضع على الكتف(٣)، وكذلك من اللباس الخارجي القباء، وهي تشبه الثوب مفتوح الرقبة ولا يطول إلا إلى الركبة(٤).

أما الألبسة التي كن يرتدنها نساء مكة فهي: للرأس القنوع والبراقع(٥)، وتعددت الملابس الداخلية فمنها الغلالة، وهي ثوب رقيق تغطيه ثياب خارجية، وهو خاص بالجواري، والدراعة، وهي جبة مشقوقة القدم(٦)، ولبست النساء أيضًا الإزار. أما الملابس الخارجية للنساء فهي الجباب الملونة، وكذلك لبسن المطارف، وهي أردية مربعة من خز فيها أعلام، ويكون مطرف النساء مدورًا على هيئة الطيلسان(٧).

أما عن مظاهر الزينة فقد شاع استعمال الخضاب عند الرجال والنساء، واستعمال الطيب كالمسك والكافور والعنبر والغالية، ويكثرون منه، ويتكحلون، وكذا يكثرون من استخدام السواك، كما لبست النساء الحلي من أساور وخواتم وأقراط وغير ذلك من الحلي(٨).

٣ - الأطعمة والأشربة:

اعتاد أهل مكة على ألا يأكلوا في اليوم إلا مرة واحدة بعد صلاة العصر، ومن أراد الأكل في سائر النهار يأكل التمر، الأمر الذي انعكس على صحة أبدانهم ، فقلت فيهم الأمراض

---

١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص١٥.

٢) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٩٨؛ أحمد مختار عبدالحميد عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج١، ص٣٤٠.

٣) ابن جبير: الرحلة، ص٧٢؛ أحمد مختار وآخرون: المرجع السابق، ج٢، ص١٤٣٢.

٤) علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة، ص١٩.

٥) ابن المجاور: المصدر السابق، ص١٥.

٦) أحمد مختار وآخرون: المرجع السابق، ج٢، ص١٦٣٧؛ عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٧٦-٢٧٧.

٧) نجلة الصباغ: بلاد الحجاز، ص١٣٥- ١٣٧.

٨) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٦٩؛ نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص١٤٠؛ عبد الله السيف: المرجع السابق، ص٢٩٤-٢٩٦، ٢٩٨.

والعاهات(١).

ومن أنواع الأطعمة لديهم الثريد وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوقه اللحم(٢)، وأيضًا الهريسة والعصيدة(٣)، ومن الأطعمة الأخرى الجشيشة وهي حساء بهريسة القمح واللحم أو قد يضاف إليه التمر(٤)، والحريرة وهي دقيق يطبخ بلبن(٥)، والحيسة التي تطبخ بخلط الاقط بالتمر والسمن(٦)، وهناك السميذة وهي الخبز الأبيض المصنوع من لباب الدقيق(٧)، والكشكية وهي حساء من القمح والشعير وزبد لبن الشاة وربما أضيف إليه اللحم(٨)، والخزير وهي طهي اللحم بالماء والملح وثم إضافة الدقيق إليه بعد نضوجه(٩)، والربيكة وهو عبارة عن بُر وتمر يعجن بالسمن(١٠).

أما الحلويات فهناك نوع يصنع من العسل والسكر المعقود وذلك بإضافة الفواكه الرطبة واليابسة إليها(١١)، ومن الحلواء كذلك الفالوذج وهو لباب البر يخلط مع العسل(١٢)، وهناك الخبيص وهو يصنع من التمر والسمن(١٣).

---

١) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٧٠.

٢) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٨٨؛ علي أبا حسين: مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية، ص٣٤.

٣) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٦٦.

٤) ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٣٥؛ أحمد عدوان: عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة، ص٩٩.

٥) ابن منظور: المصدر السابق، ج٢، ص٣٩٢؛ عبد الله السيف: المرجع السابق ،ص٢٨٨؛ أحمد عدوان: المرجع السابق،ص٩٩.

٦) ابن منظور: المصدر السابق، ج٢، ص٦٨٣؛ نجلة الصباغ: بلاد الحجاز، ص١٤٠.

٧) نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص١٤٠؛ علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي، ص١٨.

٨) علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي، ص١٨.

٩) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٨١؛ نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص١٤٠-١٤١؛ عبد الله السيف: المرجع السابق، ص٢٨٨.

١٠) ابن منظور: المصدر السابق، ج٤، ص٥٣؛ علي أبا حسين: مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية، ص٣٤.

١١) ابن جبير: الرحلة، ص٩٨.

١٢) نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص١٤١؛ علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي، ص١٨.

١٣) نجلة الصباغ: المرجع السابق، ص١٤١؛ عبد الله السيف: المرجع السابق، ص٢٩٠.

أما الأشربة فقد كان أهل مكة يشربون السويق وذلك بخلطه مع السكر وهو ما يسمى عقبة السويق(١)، وهو من الأشربة المنتشرة بين السكان(٢)، كما كانوا يشربون اللبن والعسل(٣) أو يشربون العسل وحده وكان يدعى الحلواء البارد(٤).

المنشآت الاجتماعية:

و نقصد بهاالمنشآت الموقوفة بداعي التكافل الاجتماعي، كحفر الآبار، وبناء العيون، وإنشاء البرك، وبناء الأربطة، وأهمها:

١ - **الآبار والعيون:**

حظيت مكة المكرمة باهتمام ورعاية الخلفاء والأمراء وكبار المحسنين، وذلك تخفيفًا عن سكانها والوافدين إليها، وعنايتهم بهذه المرافق كان علاجًا لما تعانيه البلاد من ندرة الأمطار، وقلة مياه الآبار، وشح المياه عمومًا، ولذا كان جل اهتمامهم يتجه إلى توفير المياه، فشرعوا فيحفر الآبار، وعمارة العيون، وإنشاء البرك، والأسبلة، والخزانات(٥)، وقد بلغت تكاليف الواحد من الأحواض والبرك أكثر من عشرة آلاف دينار، وهي تملأ من ماء الأمطار الذي يتدفق من الأودية(٦). وكانوا كلما بلغهم حدوث خراب في هذه العيون أو قنواتها يرسلون من يعمِّر ذلك(٧).

ففي طريق الطائف جبال تسمى جبال الثقبة تنبع من عندها عين زبيدة، وتسير مياه هذه العين في قناة بنيت لها من منبعها حتى عرفة، فمزدلفة، فمنى، فمكة(٨)، ولابد أن هذه العين

---

١) أحمد عدوان: عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة، ص١٠٠.

٢) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢٩٤.

٣) نجلة الصباغ: بلاد الحجاز، ص١٤٢.

٤) علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي، ص١٨.

٥) أحمد بدر شيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص١٤٥.

٦) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٢٣.

٧) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٦٤؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٢٩٢.

٨) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٢٠٧.

قد أصابها بعض الخراب في بعض سني الدراسة، ولذا نجد أن الخليفة الناصر لدين الله(١) قد أمر بتعمير عين حنين وحفر الآبار اللازمة لها، وذلك بعد أن غارت عيون مكة، ولقد مدت عيون مختلفة من منطقة حنين لتزداد بها مياه عين حنين(٢).

كذلك انشيء مجرى للماء تحت الأرض، وتسقى منه ما على حافتيه من شجر في عرفات، وقد حبس هذا الماء هناك حيث غرست الحدائق، فلا يصل قرب مكة من هذا الماء إلا القليل، فيجمع في حوض خارج مكة، فيأخذ السقاءون منه لمكة(٣).

وقد تعطلت بعض الآبار في طريق مكة – المدينة سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، فأمر الخليفة العباسي المستضيء بالله بإصلاح الطريق والآبار التي تقع في هذا الطريق.

وفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م نجد أن السلطان صلاح الدين الأيوبي أمر بإصلاح الآبار والبرك التي تقع في طريق مكة – المدينة.

وفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله بعمارة عين وادي النعمان، والمصانع في عرفة للحجاج(٤).

وفي سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م عمَّر الملك المعظم مظفر الدين عين عرفة، والبركة التي بها، وعمَّر أيضًا احواض وبزابيز للماء بها(٥).

---

١) هو أبو العباس أحمد بن المستضئ بأمر الله الحسن بن المستنجد. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عام٥٧٥هـ/١١٧٩م، وكان له من العمر ٢٣عام. وكانت مدة خلافته ٤٦عام. توفي سنة٦٢٢هـ/١٢٢٥م. انظر، الذهبي: العبر، ج٣، ص١٥٨؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج١، ص١١٠.

٢) سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٦٧.

٣) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٢٣-١٢٤.

٤) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٨٨.

٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص١١٧؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٦٤.

- الملك المعظم مظفر الدين: هو أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد. ولد سنة٥٤٩هـ/١١٥٤م. ولي إربل — وهي مدينة في شمال العراق — بعد وفاة أبيه، وله من العمر ١٤سنة، ولكن أتابكه مجاهد الدين أرسل إلى الخليفة بعدم أهلية المظفر لذلك، فعزل وعُين أخوه زين الدين يوسف، وطرد المظفر، فتوجه لبغداد، ثم الموصل، فأقطعه أميرها الملك سيف الدين غازي حران، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين. توفي سنة٦٣٠هـ/١٢٣٣م. انظر، ابن خلكان: المصدر السابق، ج٤، ص١١٣-١٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٣٩٠.

٢ - الأربطة:

كانت مهمتها في أول الأمر الدفاع عن الأراضي الإسلامية، ولذا كانت تُقام على الثغور المتاخمة للعدو، فالرباط عبارة عن بناء حصين يعسكر فيه المتطوعون من المجاهدين في سبيل الله(١) امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[سورة الأنفال: ٦٠].

ولكن حينما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وقويت شوكتها صحب ذلك تطور في مختلف نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتغيرت وظيفة الرباط وأصبح مأوى للفقراء والمحتاجين.

وكان لاهتمام حكام المسلمين، وتسابقهم في الأعمال الخيرية أكبر الأثر في زيادة عدد الأربطة بمكة المكرمة، وحذا حذوهم الأمراء والأثرياء وكبار رجال الدولة(٢)، وكان من أبرز الأربطة التي وجدت في مكة خلال فترة الدراسة هي:

- رباط السدرة:

كان هذا الرباط يقع بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب السلام، وهذا الرباط كان موقوفًا في سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م، وموضعه دار القوارير التي بنيت في زمن الرشيد(٣).

---

١) أحمد بدر شيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص١٣٨-١٣٩؛ حسين عبد العزيز حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي " دراسة تاريخية حضارية "، مراجعة عباس صالح طاشكندي، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص١٣.

٢) أحمد بدر شيني: المرجع السابق، ص١٣٩؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص١٣، ١٧.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٨؛ شفاء الغرام، ج١، ص٥٢٧؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣٨٦؛ علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي، ص٢١.

- الرشيد: هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس. ولد بالري سنة١٤٨هـ/٧٦٥م. استخلف بعهد من أبيه بعد وفاة أخيه الهادي سنة١٧٠هـ/٧٨٦م. كان كثير الحج والغزو. قسم البلاد بين ثلاثة من ابنائه الأمين والمأمون والقاسم. توفي سنة١٩٣هـ/٨٠٩م. انظر، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٠-٢١٨.

- **رباط الفقاعية:**

يقع هذا الرباط عند الباب الواقع في الركن الغربي من الزيادة شمال المسجد الحرام، والذي يعرف بباب القطبي. وقد أوقفته قهرمانة أم الخليفة المقتدي العباسي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م على الأرامل والمنقطعات اللاتي يسكن مكة(١).

- **رباط القزويني:**

يقع عند باب السدة خارج المسجد الحرام، وقد أوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م على جميع الرجال الغرباء المقيمين في مكة وسائر أنحاء العراق، وكان ينزل في هذا الرباط حجاج قزوين(٢).

- **رباط الدمشقية:**

كان يقع بالحزامية بأسفل مكة، وهو ما يعرف بحي المسفلة. وقد أوقف الرباط سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م على الصوفية والعلماء والقراء والفقراء من أهل دمشق والعراقين العربي والعجمي(٣).

- **رباط رامشت:**

وفي هذه السنة أيضًا أوقف رامشت (٤) هذا الرباط عند باب الحزورة من المسجد الحرام، وشرط وقفيته على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق وخراسان الحاج والمجاورين (٥).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٩ ؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٤١-٤٢؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٧٩.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٩؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٧٩.

- قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخًا، وطولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٢.

٣) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٠٤؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.

٤) هو إبراهيم بن الحسين بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي، كان من كبار تجار العجم، له مآثر كثيرة بمكة، منها عمارة رباطه هذا، وإصلاحات بالحرم وكسوة الكعبة، توفي سنة٥٣٤هـ/١١٤٠م. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٣٨٥-٣٨٦.

٥) المصدر السابق، ج١، ص١١٩؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٤؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص٤٨.

- رباط السبتية:

يقع هذا الرباط بالحزامية بأسفل مكة، وكان موجودًا في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م، وقد أوقف على النساء(١).

- رباط الزرندي:

يقع هذا الرباط بالحزامية، وقد أوقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريلالزرندي(٢)على أهل مكة ساوه(٣)، وأهل زرنده(٤) المقيمين في مكة، وللحجاج القادمين من بلاد فارس(٥) حق الإقامة في هذا الرباط فترة موسم الحج.

- رباط المغاربة:

وقد أوقف هذا الرباط مجموعة من أهل المغرب للمقيمين في مكة من طلبة العلم الرجال دون النساء يسكنون فيه، ويحق للحجاج المغاربة السكن فيه فترة الموسم، وتاريخ وقفه سنة٥٦٢هـ/١١٦٧م(٦).

- رباط الحضارمة:

أوقف تجار وأهالي حضرموت(٧) هذا الرباط سنة٥٧٠هـ/١١٧٥م ليكون سكنًا لمن يقيم

---

١)الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١٢٢؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٠٤؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٥٦-٥٧.

٢) حسين شافعي: المرجع السابق، ص٥٧.

- الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزرندي: لم يتم العثور على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٣) مدينة في منتصف المسافة بين همذان والري على طريق القوافل التي تقطع بلاد فارس. انظر، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٤٦.

٤) بليدة بين أصبهان وساوه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٣٨.

٥) اقليم واسع يمتد من كرمان شرقًا إلى خوزستان غربًا، ومن مفازة خراسان واقليم الجبال شمالاً إلى بحر فارس- الخليج العربي — جنوبًا. فتحه المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٣٤؛ الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٧؛ القزويني: آثار البلاد، ص٢٣٢.

٦)سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨٠.

٧) ناحية باليمن، وهي بقرب البحر في شرقي عدن. انظر، القزويني: المصدر السابق، ص٣٥.

في مكة من طلبة العلم، وللحجاج القادمين من حضرموت، ويقع هذا الرباط في منطقة أجياد(١).

- **رباط المراغي:**

أوقف القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي(٢) رباطه هذا عند باب الجنائز، والذي يعرف الآن بباب النبي ﷺ في الجهة الشرقية من المسـجدالحـرام(٣)، وذلك سنة٥٧٥هـ/١١٧٩م، وشرط وقفيته على الصوفية الواصلين إلى مكة والمقيمين والمجتازين وغيرهم من العرب والعجم(٤).

- **رباط البخارية:**

أوقف مجموعة من تجار بخارى هذا الرباط سنة٥٧٦هـ/١١٨٠م، وجعلوه وقفًا لحجاج بلاد بخارى(٥)، ولا يسكنه أحد سوى الحجاج الفقراء في فترة الموسم(٦).

- **رباط الخاتون:**

في سنة٥٧٧هـ/١١٨١م أوقفت الخاتون الشريفة فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أنوشروان هذا الرباط الذي على باب السلام خارج المسجد الحرام، ووقفته على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم(٧).

---

١) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٩٠؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨١.

٢) قدم بغداد في صباه، فسمع من أبي البركات إسماعيل النيسابوري، وغيره، ثم عاد لبلده، وتولى القضاء. توفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م أو نحوها. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٦٦-٦٧.

٣) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣٨٦؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٩١؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٦٣-٦٤.

٤) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٤٢-٥٤٣؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص٦٤-٦٥.

٥) هي مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر، و تقع هذه المدينة في مستواة من الأرض ، وبينها وبين سمرقند سبعة أيام وسبعة وثلاثون فرسخًا. وقد افتتحت في أيام الأمويين. انظر، القزويني: آثار البلاد، ص٥٠٩-٥١٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٨٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص٥٠٤.

٦) سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨١.

٧) النجم بن فهد: المصدر السابق،ج٢، ص٥٤٥.

- رباط قايماز:

وقد عرف هذا الرباط باسم آخر أيضًا وهو رباط أبي سماحة، وهو اسم أحد نزلائه، ويقع هذا الرباط قرب المجزرة الكبيرة على يمين الذاهب إلى المعلاة(١)، وأوقفه الأمير قايماز بن عبدالله سلطان الروم والأرمن أبي الفتح قليج أرسلان السلجوقي(٢) سنة٥٧٨هـ/١١٨٢م، وشرط وقفيته أن يكون سكنًا للمقيمين والمجاورين والمنقطعين في مكة من الأحناف، وللحجاج الأحناف في فترة الموسم(٣).

- رباط الزنجيلي:

في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م أوقف الأمير عثمان بن علي الزنجيلي(٤) نائب أمير عدن رباطًا عند باب العمرة، ويعرف كذلك برباط الهنود، ولعل السبب في ذلك أن أكثر نزلائه من الهنود، وأوقفه على الأحناف المقيمين بمكة، وجعل شرط وقفيته أن يكون سكنًا للحجاج القادمين من عدن في فترة الموسم(٥).

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٤٥؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٩١؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٦٩.

٢) هو السلطان قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق. حكم بلاده ٣٠عام، حتى شاخ، وتصرف ابنائه في مملكته. توفي سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م. انظر، الذهبي: العبر، ج٣، ص٩٧-٩٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٠٧.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٨٤؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٥؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٩١؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨٢.

٤) هو الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي، كان نائبًا للسلطان صلاح الدين الأيوبي على عدن، وقد خرج من اليمن حين قدوم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب. توفي سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٣٤-٣٥.

٥) النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٩؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٩١-٩٢؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨٢؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص٧٠.

- عدن: مدينة مشهورة باليمن على ساحل البحر، وهي مرفأ مراكب الهند، وهي مدينة تجارية؛ لإجتماع التجار. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٨٩.

- **رباط أم الخليفة:**

في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م أوقفت زمرد خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي هذا الرباط، وكان موقعه في الجانب الشمالي من المسجد الحرام، وجعلته وقفًا على الفقراء الصوفية(١).

- **رباط الميانشي:**

يقع هذا الرباط في شارع السوقية، وقد أوقفه أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي(٢).

- **رباط ابن السوداء:**

أوقفت الأختان أم عيسى مريم، وأم خليل خديجة ابنتا القائد أبي ثامر مبارك بن عبد الله القاسمي هذا الرباط سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، وكان شرط وقفيته على النساء الصوفيات المتدينات الخاليات عن الأزواج الشافعيات المذهب. ومن الملاحظ أن هذا الرباط قد سُمي برباط ابن السوادء، مما يدل أن شرط وقفيته قد تغير. وكان هذا الرباط يقع بالقرب من الدريبة في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الحرام(٣).

- **ربط الأخلاطي:**

وهي عبارة عن ثلاثة أربطة تقع بأعلى مكة وقف بعضها سنة٥٩٠هـ/١١٩٤م، والبعض الآخر سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م، وأما شرط وقفيته ، فقد وقف بعضها على نساء الحنفية من

---

١)الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٨؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٥٢؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص٩٢؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٥٨.

٢) حسين شافعي: المرجع السابق، ص٧١-٧٢.

- أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي نزيل مكة وشيخها وخطيبها. سمع من أبي عبدالله محمد الرازي، وأبي عبدالله محمد المازري، وأبي المظفر محمد الشيباني الطبري. وروى عنه ابن أبي الصيف، وابن أبي حرمي، وغيرهما. من مؤلفاته:«المجالس المكية»، و «إيضاح ما لا يسع المحدث جهله»، وغير ذلك. توفي سنة٥٨١هـ/١١٨٥م. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٣٣٤-٣٣٥.

٣) النجم بن فهد: المصدر السابق،ج٢،ص٥٦١؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص٧٣-٧٤.

المجاورات والقادمات، وبعضها على أهل مدينة خلاط (١).

- **رباط العفيف**:

اشترك في وقف هذا الرباط كلٌ من العفيف عبد الله بن محمد الأرسوفي(٢)،والقاضي عبدالرحيم بن علي البيساني(٣)، وذلك سنة٥٩١هـ/١١٩٥م، ويقع هذا الرباط قريبًا من باب العمرة جهة الشبيكة بالمسفلة، وكما قد عُرف هذا الرباط باسم رباط أبي رقيبة لسكناه به، وشرط وقفية الرباط على الفقراء والمساكين العرب والعجم، الرجال دون النساء، القادمين إلى مكة والمجاورين، على ألا يزيد الساكن في السكنى فيه على ثلاث سنين إلا أن يقطع إقامته، وسكناه بالسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة(٤).

- **رباط ربيع**:

في سنة٥٩٤هـ/١١٩٨م أوقف ربيع بن عبد الله بن محمود الماrديني(٥) عن الملك الأفضل

١) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١٢٠-١٢١؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٥٣٣؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٧٤-٧٥.

- خلاط: قصبة أرمينية الوسطى. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨١.

٢) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن هبة الله الأرسوفي الأصل المصري الدار الشافعي. كان تاجرًا بمصر. اشتهر بكثرة البر والصدقات بمصر والحجاز. توفي سنة٥٩٣هـ/١١٩٧م. انظر، المنذري: التكملة، ج١، ص٢٧٧.

٣) هو أبو علي عبدالرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن العسقلاني المولد المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين. ولد سنة٥٢٩هـ/١١٣٥م. كان وزيرًا للسلطان صلاح الدين. برز في صناعة الإنشاء، وبنى مدرسة بالقاهرة. توفي سنة٥٩٦هـ. انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، م٣، ص١٥٨-١٦٢.

٤) الفاسي: العقد الثمين،ج١، ص١٢٢؛ الفاسي: شفاء الغرام،ج١، ص٥٣٦؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٥٦١-٥٦٢؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص٧٥-٧٦.

٥) هو أبو الفضل ربيع بن عبد الله بن محمود بن هبة الله الماrديني الحنفي. طاف في البلاد، فرحل للعراق، ومصر، والشام، والحجاز، فسمع من الحافظ أبو محمد القاسم بن عساكر، ومحمد بن إسماعيل ابن أبي الصيف اليمني. وروى عنه أبو الفضل محمد بن قرناص، وأبو غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة، وغيرهما. توفي سنة٦٠٢هـ/١٢٠٥م. انظر، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ، ج٢، ص٥٠٩-٥١١.

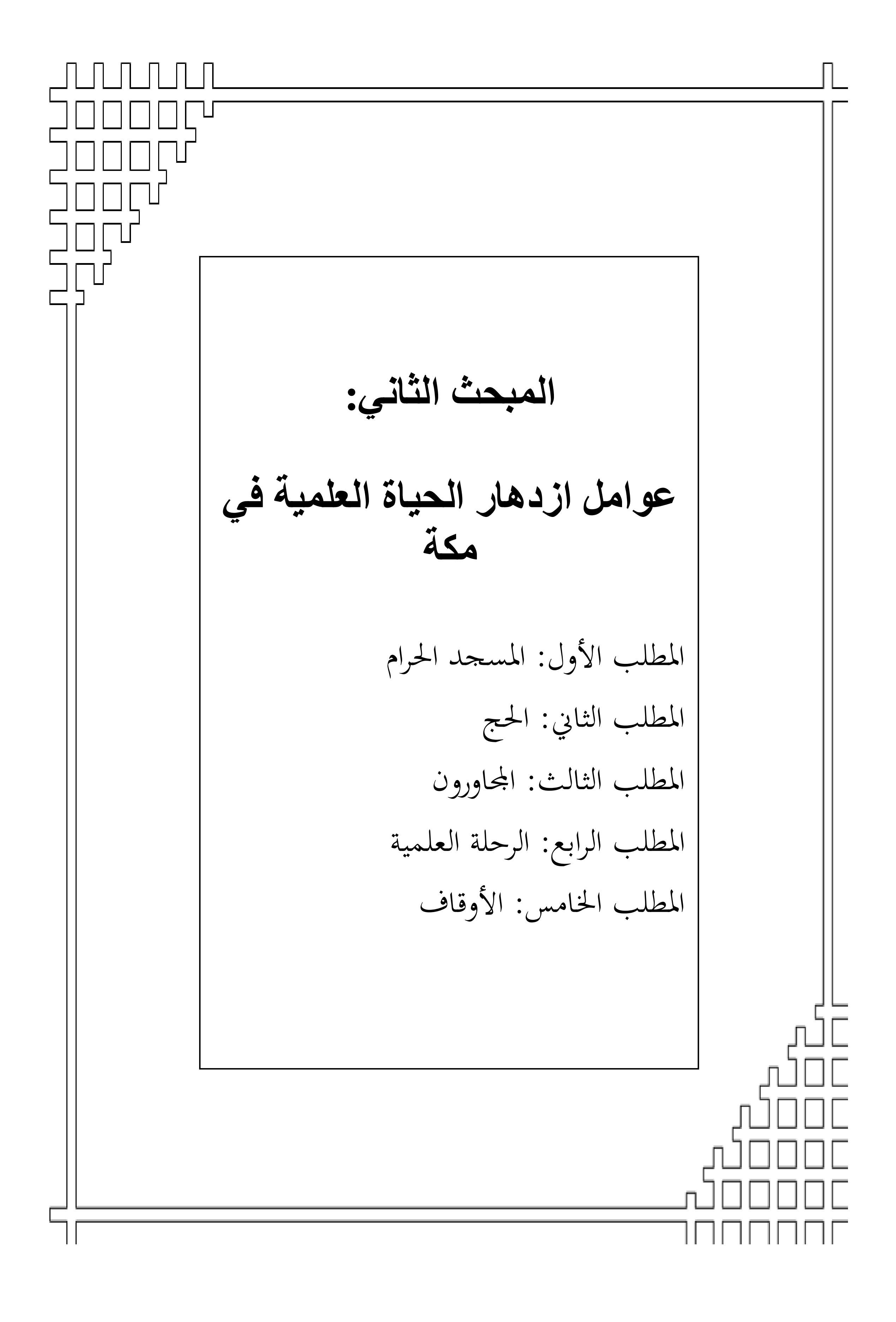
هذا الرباط(١)، ويقع الرباط بأجياد، وقد وقفه على الفقراء المسلمين الغرباء(٢).

---

١) النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٥٦٤.

- الملك الأفضل: هو أبو الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب دمشق. ولد بمصر سنة٥٦٥هـ/١١٧٠م. وهو ولي عهد أبيه، وكان فاضلاً شاعرًا حسن الخط. جرت بينه وبين أخيه العزيز حروب. توفي بسميساط سنة٦٢٢هـ/١٢٢٥م، ودفن بحلب. انظر، أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص١٤٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤١٩-٤٢١.

٢) النجم بن فهد: المصدر السابق،ج٢، ص٥٦٤؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٧٦.



المبحث الثاني:

عوامل ازدهار الحياة العلمية في مكة

المطلب الأول: المسجد الحرام:

إن المسجد هو المركز الأول للإشعاع الروحي والعلمي، لأنه مكان العبادة والتعليم، وموطن التذكر والتفكر والتوجيه، فلم تقتصر رسالة المسجد على الناحية الدينية وحدها(١)، بل كانت المساجد – ولا تزال – أهم مركز تعليمي انبثقت منها إشعاعة العلم الأولى في الإسلام، وخرَّجت أعدادًا كبيرة من العلماء، وذلك قبل مزاحمة المدارس لمكانتها العلمية السابقة(٢).

ولذا كان من الطبيعي أن تصبح مكة المكرمة من أهم أجزاء الجزيرة العربية احتفاء بالعلم واتصالاً بالثقافة، ويرجع ذلك لوجود الحرم المكي الشريف الذي كان منذ القرن الأول الهجري من أهم المراكز العلمية في الدراسات الإسلامية والعربية. ولم يفقد المسجد الحرام هذا المركز العلمي في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بل ظل محتفظًا به(٣).

فالمسجد الحرام من أكبر دور العلم التي يتلقى فيها العديد من الناس على اختلاف ألوانهم ومشاربهم مختلف العلوم، إذ امتاز المسجد الحرام بعدم خلوه من الرواد على مدار العام، وذلك الامتياز جاء من وجود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين، فيحج إلى هذا البيت في كل عام عدد كبير من الناس ليؤدوا فريضة كتبت عليهم، وليمتثلوا لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾[سورة الحج:٢٧]، ولهذا كان له دور قيادي بارز في نشر العلم والمعرفة نظرًا لكثرة طلاب العلم الوافدين إليه من مختلف الأمصار الإسلامية، ولرغبة العديد من العلماء في القيام بالتدريس في هذا المسجد، ونشر علومهم فيه(٤).

---

١) ياسين بن ناصر الخطيب: أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة، بحث منشورضمن بحوث مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية الذي تنظمه جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ، ص ٢٩٠.

٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٧٢.

٣) محمد عبدالرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (الرياض: دار العلوم، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٩؛ أميرة بنت علي مداح: دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ، ص ٣١٦.

٤) عبدالعزيز محمد اللميلم: رسالة المسجد في الإسلام، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص ١٦٢-١٦٣.

ولقد استمر المسجد الحرام في أداء رسالته العلمية على هذا المنوال على خير وجه(١)، وقد أصبح بتأثيره العلمي أقدم جامعة تشد إليها الرحال(٢)، وفي ذلك يقول السخاوي: "وكان للحرم المكي الجمال بإفراد مبتدئين للعلم والتصنيف من أهله والواردين عليه في سائر المذاهب وغالب الفنون، بحيث كان حقيقًا بالارتحال إليه لذلك، فضلاً عن كونه محلاً للنسك"(٣).

وضم المسجد الحرام بين جنباته حلقات العلم والدرس التي يعقدها العلماء في مختلف العلوم الشرعية من تفسير، وحديث، وفقه، وآراء أئمة المذاهب الإسلامية(٤)، وتتبع سيرة النبي ﷺ، وعلوم اللغة العربية، ويتضاعف حجم هذه الحلقات وعددها في موسم الحج، حيث يشتد التنافس على طلب العلم كلما قدم أحد العلماء لمكة(٥)، مما جعل ساحات المسجد الحرام تعج بالكثير من الطلاب والمدرسين والعلماء الذين قدموا إلى مكة للاستفادة والدراسة على أيدي علمائها وفقهائها، فأسهم هؤلاء في النهوض بالحركة العلمية بمكة(٦).

وقد وجد كثير من العلماء فرصًا مثلى لإقامة دروسهم العلمية المتنوعة في جنبات المسجد الحرام(٧) ، ومن هؤلاء العلماء علي بن الحسن البلخي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م الذي

---

١) عبدالعزيز اللميلم: رسالة المسجد، ص ١٦٣.

٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٧٣-٧٤.

٣) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ١٣٦.

٤) عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش: مكتبة الحرم المكي الشريف عبر العصور. بحث منشور ضمن بحوث جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، اللقاء العلمي السنوي الرابع للجمعية، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، ٣-٥ صفر ١٤٢٣هـ/ ١٦-١٨ إبريل ٢٠٠٢م، ص ٣٩٧.

٥) عبد اللطيف بن دهيش: التعليم في الحرمين الشريفين عبر العصور . بحث منشور ضمن بحوث جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، اللقاء العلمي السنوي الثالث للجمعية، مسقط- جامعة السلطان قابوس، محرم- صفر ١٤٢٢هـ/ إبريل ٢٠٠١م، ص٣٠٥.

٦) أميرة مداح: دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة، ص٣١٦-٣١٧.

٧) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٧٤.

جـاور بمكـة المكرمة، وكان إمام الحنفية في المسجد الحرام(١)، ومدرسًا وواعظًا ومناظرًا أيضًا في هذا المسجد(٢)، ومحمد بن عمر البخاري المتوفى سنة٥٢٥هـ/١١٣١م المجاور بمكة، كان إمام الحنفية في المسجد الحرام، وقد عُرف عنه أنه كان مكثرًا من الحديث(٣)، وعبدالمحسن بن أبي العُميد المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م الذي استقر بمكة، وحدَّث بالمسجد الحرام، وقد استفاد منه خلق كثير، ووُلِّيَ إمامة المقام الشافعي بالمسجد الحرام(٤).

كما أسندت إمامة مقام الحنابلة إلى أبي عبدالله محمد البرمكي الهروي الذي كان حيًا سنة٥٩٠هـ/١١٩٤م ، وقد حدّث بمكة بالكثير من حديث رسول الله ﷺ(٥)، ونصر بن محمد الحصري الهمذاني البغدادي المتوفى سنة٦١٩هـ/١٢٢٢م الذي نزل مكة سنة٥٩٨هـ/١٢٠٢م، كان إمام مقام الحنابلة بالمسجد الحرام(٦).

في حين تولى إمامة المقام المالكي بالمسجد الحرام رزين بن معاوية العبدري(٧) المتوفى سنة٥٢٤هـ/١١٣٠م، كما قد اشتغل بالتأليف(٨)، وكذلك أبو عبدالله محمد المكناسي المتوفى

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٥٨- ٢٥٩.

٢) يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص ٢٩١.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٢٦.

٤) يوسف الصبحي: المرجع السابق، ص٢٧٠.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٥٢.

٦) ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد: الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض: مكتبة العبيكان،ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ج٣، ص ٢٧٠.

٧) هو أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي السرقسطي. جاور بمكة، فسمع من أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي، والحسين بن علي الطبري. روى عنه أبو المظفر الشيباني، وأبو موسى المديني، وأبو القاسم بن عساكر. صنّف كتاب «أخبار مكة»، وكتاب آخر جمع فيه مافي الصحاح والموطأ. انظر، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ذيل كتاب تاريخ ابن الفرضي، قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، (صيدا: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص١٦٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٣٩٨-٣٩٩.

٨) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٣٩٨؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٤٥.

سنة٥٩٢هـ/١١٩٦مالذي تولى إمامة المالكية بالمسجد الحرام سنة٥٨٨هـ/١١٩٢م(١).

وكان ممن تولى إمامة مقام إبراهيم ، وهي الإمامة الرئيسة في المسجد الحرام، زاهر بن رستم الأصبهاني البغدادي المتوفى سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م الذي أم بالناس أعوامًا، حتى عجز وانقطع، وهو ممن حدّثوا بمكة(٢).

ويمكننا القول أن هؤلاء العلماء إلى جانب قيامهم بالإمامة، قد قاموا بعقد الحلقات العلمية في المسجد الحرام، وهذا الأمر يؤكد أن المسجد الحرام لم يكن فقط مكانًا للعبادة، بل أيضًا مكانًا للتعليم والتثقيف.

المطلب الثاني: الحج:

الحج شعيرة إسلامية افترضها الله سبحانه وتعالى على المسلمين، وجعله ركنًا من أركان الإسلام قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾[سورةآل عمران: ٩٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: " أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا "(٣)، فالحج هو تلبية لنداء الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾[سورة الحج: ٢٧-٢٨].

فحرص الكثير من المسلمين من مختلف أمصار العالم الإسلامي على قصد مكة المكرمة وخاصة في موسم الحج لأداء الفريضة، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إن البعض منهم وخاصة طلاب العلم، كانوا يقصدون الحرم المكي للقاء العلماء المشهورين، وشهود حلقاتهم العلمية التي كانت تزدحم برجـــال القراءات ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والسير و المغازي ، وعلماء

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٧٤-٧٥؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى،ج٢، ص٤٨٧؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٢١٤.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢١٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٤٢٦-٤٢٧.

٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، كتاب الحج، حديث رقم ١٣٣٧، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص٩٧٥.

الأنساب، والأدب، والطب، وغير ذلك من العلوم(١).

فقد هيأ موسم الحج فرصًا علمية متعددة، حيث أفسح المجال أمام طلاب العلم للإطلا ع عن كتب على عدد من العلوم و المعارف، كما يسر لهم الاستفادة من روافد ثقافية وفكرية متباينة. ففي كل موسم يَحُل في رحاب مكة فوج من علماء الأمصار الإسلامية ومفكريها المبرزين، فتعقد الدروس والندوات والمناقشات المختلفة التي تثري الساحة العلمية وتزودها بالمستجدات الثقافية، كما تكشف للطلاب الآراء و الاجتهادات المتنوعة في مختلف الميادين العلمية. وفي الغالب لا نجد عالمًا يأتي للحج دون أن يشارك في التعليم، وذلك إما بعقد حلقة علمية، أو إفتاء للناس، أو تعليم المناسك وما يتعلق بأمور الحج(٢).

ولنرى مدى الأهمية العلمية للحج وأثره في ازدهار التعليم وتقدمه في مكة آنذاك، نسلط الضوء على عبارة وردت كثيرًا في كتب التراجم والسير، ألا وهي حج فسمع، ومن المعلوم أن هذه الكتب تعنى بالسير العلمية المحضة، فذكرهم الحج وهو فريضة على العا لم وغير العا لم، لابد أن يكون لارتباطه بالعلم والعلماء(٣).

وقد حفلت تراجم هؤلاء العلماء بمن أخذوا عنه العلم، والكتب التي سمعوها، وقدطالت مدة إقامة بعضهم بمكة(٤).

فهذا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي الأندلسي(٥) حج سنة ٤٩٧هـ/

---

١) حجازي علي طراوه: دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهد الراشدين والأمويين، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٦.

٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٧٩-٨٠.

٣) آمال رمضان عبدالحميد صديق: الحياة العلمية في مكة (١١١٥هـ-١٣٣٤هـ)-(١٧٠٣م-١٩١٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٩٣.

٤) المرجع السابق، ص١٩٤.

٥) ويعرف باللَّبَّشي المقرئ الخطيب المحدث، يروي عنه القاضي أبو القاسم بن محمد القراءات السبع وغيرها. قرأ بمكة على ابن العرجاء. انظر، الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م)، ص٣٦٣.

١١٠٤م، فأخذالقراءات عن أبي علي بن أبي العرجاء(١)، وسمع من أبي حامد الغزالي(٢)، وأجازله(٣). وكذلك حج علي بن عبدالله ابن ثابت الأنصاري الخزرجي العبادي المتوفى سنة٥٣٩هـ/١١٤٤م، فسمع من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر«صحيح البخاري»، وسمع الحسين بن علي الطبري(٤).

وممن حج نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي المتوفى سنة٥١٢هـ/١١١٨م، فسمع «صحيح البخاري» من كريمة المروزية، وتفرَّد به عنها، وقصده الناس(٥).

وأبو الحسن علي بن أحمد المحاربي الغرناطي حج مع والده، فسمعا بمكة من أبي الفتح الكروخي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م «جامع الترمذي»، وأخذ القراءات بمكة عن أبي علي ابن العرجاء القيرواني، وأبي الحسن بن رضا البلنسي، وسمع منهما، وأيضًا سمع من أبي الفضل الشيباني، وأبي بكر بن أبي الحسن الطوسي(٦).

وهذا أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمن العبدري الأندلسي المتوفى سنة٥٥٠هـ/١١٥٥م أحد أهل العلم بالأصول، والحديث، والطب، حج فسمع كتاب « غريب الحديث » من أبي عبد الله بن منصور الحضرمي بروايته عن أبي بكر الخطيب إجازة(٧) . وكذلك حج ابن

---

١) هو أبو علي الحسن بن عبد الله بن عمر بن علي بن خلف القيرواني. قرأ على أبيه. وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمسجد الحرام، وكان يُفتي ويسمع الحديث. توفي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٨١-٨٢.

٢) هو محمد بن محمد الطوسي. ولد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. طلب العلم في بلده، ثم رحل إلى جرجان، ونيسابور، ولازم إمام الحرمين حتى برع في المذهب والخلاف والجدل، وقدم بغداد ودرّس بالمدرسة النظامية. وللغزالي مصنفّات كثيرة، ومنها: « إحياء علوم الدين »، و« الاقتصاد في الاعتقاد »، و« تلبيس إبليس »، و « تهافت الفلاسفة ». انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص ٦٢-٦٩؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٤١٦-٤٣٥؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥١٠-٥١٢.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٨٧٦؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٢، ص ٥٢٢-٥٢٣.

٤) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج١، ص ٤٩٢.

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣٥٣.

٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ٨٨٠.

٧) المصدر السابق، ج١١، ص ٩٨٥.

الجـوزي في سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، فتكلم في الحرم المكي مرتين(١).

وأبو المعالي عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله الصاعدي الفراوي حج في أواخر عُمره، وحدَّث بالحرمين(٢)، واستفاد منه أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصاري القرطبي الذي حج، فأخذ عنه(٣)، وكذلك أبو الحسن محمد بن أبي جعفر أحمد القرطبي حج به أبوه في أواخر المائة الخامسة، فسمع من عبد المنعم الفراوي «سباعياته الأربعين»، ومن عبد الوهاب بن سُكينة، وأبي يعلى محمد بن المطَهَّر الفاطمي، وأبي غالب زهير شَعْرانة(٤).

كما كانت مكة في موسم الحج محط رحال العلماء من راغبي اقتناء الكتب التي امتازت برخص أسعارها وتوفرها(٥)، حتى أن بعض العلماء إذا افتقد كتابًا، ولم يستطع الحصول عليه رغم تطوافه في البلدان لجأ إلى الإعلان عنه في الحج، ليستدل على مكان وجود الكتاب(٦).

ولذا كان من الطبيعي أن تشهد مكة المكرمة حركة علمية قل نظيرها في أي مصر من الأمصار الإسلامية، ولعل السبب في ذلك هو أن مكة كانت – وما تزال – نقطة التقاء ومركزًا لتجمع المسلمين من مختلف الأمصار الإسلامية، وخاصة في موسم الحج، ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة والعلم بين تلك الأمصار(٧).

المطلب الثالث: المجاورون:

إن المكانة الروحية التي تمتعت بها مكة المكرمة أسهمت في استقطاب عدد كبير من المسلمين الذين تواردوا عليها حجاجًا وطلاب علم، ثم لم يلبثوا أن فـضلوا قـضاء فترة صـفـاء

---

١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ١٥.

٢) المصدر السابق، ج١٢، ص ٨٣٥- ٨٣٦.

٣) المصدر السابق، ج١٤، ص ٥٤.

٤) المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٦٧.

٥) آمال صديق: الحياة العلمية في مكة، ص ١٩٢.

٦) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص ٦٢-٦٣؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٥٤.

٧) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج، (الرياض: منشورات دار الرفاعي، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ١١؛ حجازي طراوه: دور الحج في إثراء الحركة العلمية، ص١١.

روحي في جوار بيت الله العظيم، ومن هنا نشأ ما عرف في التاريخ الإسلامي باسم المجاورة(١). ولقد ساهم وجود هؤلاء العلماء في ميلاد حركة علمية أطلقت المصادر والمراجع على روادها اسم العلماء المجاورين بمكة(٢).

وقد تعددت الأسباب التي كانت وراء رغبة الكثير من العلماء والطلاب في المجاورة في مكة، ومنها الفرار من الفتن المذهبية القائمة في المشرق الإسلامي خلال فترة الدراسة، والتي دفعت بعض العلماء إلى الفرار من بلادهم و اللجوء إلى مكة، حيث الراحة والطمأنينة(٣)، ومن هؤلاء العلماء إمام الحرمين عبد الملك الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م الذي خرج من نيسابور(٤) لمّا وقعت الفتن بين المعتزلة (٥) والأشاعرة(٦)، وانتصرت المعتزلة، فاتجه إلى بغداد،

---

١) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٣٧.

٢) وفاء بنت عبدالله سليمان المزروع: إسهام الرحّالة والمجاورين على الرحلة العلمية بمكة المكرمة من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، المحور التاسع، الجزء الأول، ص ٦٦.

٣) عبد العزيز السنيدي: المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ/ ١١٧٤-١٢٦١م)، بحث منشور ضمن الأبحاث المقدمة إلى الندوة الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة، خلال الفترة من ١٣-١٥/ ٨/ ١٤٢٦هـ الموافق ١٧-١٩/ ٩/ ٢٠٠٥م، المحور الثالث، الجزء الثاني، ص ٢٢-٢٣.

٤) مدينة في خراسان، تعرف بأبرشهر، وهي في أرض سهلة. فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٠هـ/٦٥١م، وتعتبر هذه المدينة قلب لما حولها من البلاد والأقطار. انظر، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦١؛ القزويني: آثار البلاد، ص٤٧٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٨٨.

٥) تعد المعتزلة من أهم الفرق الكلامية، وقد اختلف في سبب تسميتهم ونشأتهم إلى عدة أقوال، وأصحها أنهم اتباع واصل بن عطاء الذي اختلف مع الحسن البصري حول مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر؟، فقد قال واصل بأنه في منزلة بين المنزلتين – الكفر والإيمان-، واعتزل مجلس الحسن ليقرر رأيه، وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب، فسمي واصل وأتباعه بالمعتزلة، وعلى هذا فقد نشأت هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. انظر، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٢٥-٢٦؛ محمود عبيدات: تاريخ الفرق، ص١٠٩؛ محمد حمزة: نشأة الفرق الإسلامية، (دمشق: دار قتيبة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص١٢١؛ البغدادي الاسفرائيني: الفرقُ بين الفرق، ص٢٠-٢١.

٦) الأشاعرة هم جزء من أهل السنة والجماعة، ولم يخرجوا عن الآراء العامة لأهل السنة، وإنما حصل بعض الاختلاف بينهم وبين السلفية في كيفية فهم الدين. وهم ينتسبون إلى أبي الحسن علي الأشعري. انظر، محمود عبيدات: المرجع السابق، ص٩٤؛ محمد حمزة: المرجع السابق، ص ١٧٤.

وأصبهان(١)، وانتهى به المطاف إلى الحجاز، فجاور بمكة أربع سنين يدرّس ويفتي(٢).

وكذلك رغبة بعض العلماء المجاورين في قضاء أواخر حياته في مكة، ليختمها في هذا المكان الشريف(٣)، مثل الحسن بن سيف الشهراباي الذي حج سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، وجاور بمكة حتى مات سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م(٤).

وهناك من المجاورين من جاء إلى مكة بعد أن امضى سنوات من حياته في طلب العلم، والترحال من أجل ذلك، ثم آثر بعد ذلك الاستقرار الدائم في مكة(٥)، مثل: أبي معشر عبدالكريم الطبري الذي ارتحل لطلب سماع الحديث إلى أقاليم متعددة ، وثم جاور بمكة ، وانتصب فيها للإقراء والتحديث(٦) حتى وفاته سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م(٧).

وكانت حياة هذا الطراز من المجاورين تبدأ برحلة علمية يجول خلالها مراكز الثقافة الإسلامية، فيلتقي بالعلماء ويأخذ عنهم بالاستماع والإجازة، ثم يأتي إلى مكة حاجًا، وهناك يلقي عصى الترحال، ويجاور بمكة(٨).

فساهم العلماء المجاورون في إثراء حلقات الدرس بمكة المكرمة، حيث كانوا يعقدون حلقات

---

١) وتكتب أيضًا اصفهان، وهي مدينة في الطرف الجنوبي الشرقي من اقليم الجبال، وهي حاليًا إحدى مدن إيران. انظر، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٣٨.

٢) الأسنوي، عبدالرحيم: طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت،(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج١، ص ١٩٧.

٣) عبد العزيز السنيدي: المجاورون في مكة، ص٢١.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٨٠.

٥) عبد العزيز السنيدي: المجاورون في مكة، ص٣١.

٦) الأسنوي: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٣.

٧) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص ٤٢٣؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٥٠؛ إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت))، ج١، ص ٦٠٨.

٨) إبراهيم عبدالمنعم سلامة أبو العلا: الجرجانيون والحياة الثقافية والاجتماعية بمكة المكرمة حتى بدايات القرن الخامس الهجري، بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ، المحور الثاني، ص ٢٨٧؛ أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٤٣.

علمية يحضرها عددٌ من طلاب العلم(١)، كما حرص طلاب العلم المجاورون بمكة على لقاء العلماء، وشهود حلقات العلم التي تزدحم برجال القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والسير، والمغازي، والأدب، وغير ذلك من العلوم(٢). وهذا يوضح لنا الدور الذي لعبه المجاورون في الرقي بالحركة العلمية في مكة المكرمة.

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب المجاورين كانوا من رجال العلم الذين تركوا آثارًا ثقافية واضحة في مجتمع مكة المكرمة، وقد أسهم في هذا وجود حلقات العلم والدراسة بالمسجد الحرام(٣)، إذ أن بعض المجاورين قد شغلوا عددًا من الوظائف والمهام الدينية والعلمية في مكة، ومن أهم هذه الوظائف هي إمامة مقام إبراهيم، وكذلك بعض المقامات الدينية الأخرى الخاصة بالمذاهب الفقهية، والمنتشرة في جنبات المسجد الحرام آنذاك، وكانت سببًا في مجاورتهم، فأسهموا في تحريك الحياة العلمية وإنمائها في مكة(٤).

ومن المجاورين الذين قدموا إسهامًا كبيرًا في مجال الحركة العلمية بمكة المكرمة، وتركوا أثرًا إيجابيًا ظهرت ملامحه على الحياة العلمية في مكة المكرمة في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة٤٣٤هـ/١٠٤٣م شيخ الحرم(٥)، والحسين بن علي الطبري المتوفى سنة٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٥٩٨هـ/١٢٠٢م الذي جاور بمكة نحوًا من ثلاثين سنة يدرّس ويفتي، ويُسمِع، ويملي(٦). وكذلك أبو عبد الله محمد بن علوان التكريتي المتوفى سنة٦٠٣هـ/١٢٠٦م الذي قدم لمكة في شبابه، فجاور بها أكثر من خمسين سنة، وحدَّث بها، واستفاد الخلق منه،كما كان إمام مقام إبراهيم عليه السلام(٧).

---

١) أميرة مداح: دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة، ص ٣١٣.
٢) وفاء المزروع: إسهام الرحّالة والمجاورين على الرحلة العلمية بمكة، ص ٦٦.
٣) حسين مراد: المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين، ص ١١٤.
٤) عبد العزيز السنيدي: المجاورون في مكة المكرمة، ص ٣٣.
٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٥٥٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٣٩.
٦) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص ٢٧٨.
٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ١٤٧؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص ٣٨٦.

وفي ختام هذا الجانب يمكننا أن نقول أن المجاورين شكلوا ظاهرة علمية فريدة ساهمت في جعل مكة محط أنظار العلماء وطلبة العلم، ومركز إشعاع ثقافي(١).

المطلب الرابع: الرحلة العلمية:

حث الإسلام على طلب العلم، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺأنه قال: " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" حديث حسن (٢)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة"(٣).

كما أن أشهر رحلة علمية وردت في القرآن الكريم هي رحلة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه(٤).

واستجابة لذلك فقد اجتهد الطلاب في تحصيل العلم، فاعتبرت الرحلة العلمية من أهم مميزات جهود المسلمين في طلب العلم، وكان العلماء يحثون الطلبة عليها، فكان الطالب يترك بلدته بعد أن يحصل ما لدى علمائها، فيتوجه إلى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويكابد مشاق السفر وأخطارهالتي يعجز المرء عن وصفها، ولكن هذه المشاق وتلك الأخطار لم تقف حائلاً دون تلك الرحلات التي ملأت أخبارها بطون الكتب. فقد حمل المسلمون حب العلم إلى آفاق بعيدة، وقلما نجد بين العلماء من لم يرحل في طلبه، وربما قطع الواحد منهم ألاف الأميال لمجرد قراءة كتاب واحد، أو لسماع حديث واحد(٥).

---

١) وفاء المزروع: إسهام الرحّالة والمجاورين على الرحلة العلمية بمكة، ص٨٩.

٢) الترمذي: الجامع الكبير، باب فضل طلب العلم، حديث رقم (٢٦٤٧)، ج٤، ص ٣٨٦.

٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، قدم له عبد الكريم الخطيب، (القاهرة: المطبعة الفنية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٦٥.

٤) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٣٣.

٥) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٦٥؛ علي الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص ٢٠٠-٢٠١.

وكانت هذه الرحلات العلمية لدى العلماء السابقين جزءًا أصيلاً من حياتهم العلمية، ورحل العلماء من أهل كل علم، فرحل المفسر والمحدث، والفقيه والأصولي، واللغوي، والنحوي، والأديب، والمؤرخ، والزاهد، والشاب، والشيخ، والكبير(١). إلا أن المحدثين كانوا أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم، وأصبرهم على عنائه(٢). قال صالح بن أحمد التميمي الحافظ(٣): " وينبغي لطالب الحديث ومن عُنِيَ به أن يبدأ بكتب حديث بلده، ومعرفة أهله منهم، وتفهُّمه وضبطه، حتى يعلم صحيحها وسقيمها، ويعرف أهل التحديث بها وأحوالهم، معرفة تامة، إذا كان في بلده عِلْم وعلماء قديمًا وحديثًا، ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه" (٤). ذلك أن اتساع دار الإسلام شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، وتفرق الصحابة في البلدان أثناء الفتوح، وهم يحملون ما تعلموه في مدرسة النبوة(٥)، فمنهم من استقر بالعراق، وآخرون بالشام ، ومنهم من سكن فارس وخراسان ، ومنهم من استوطن مصر وبلاد المغرب، وقد تلقى التابعون عنهم الأحاديث النبوية، ثم تابعوهم من بعدهم، فكان في كل مصر طائفة من الأحاديث انفردت بها عن الأمصار الأخرى(٦)، فكان هذا مدعاة للعلماء للحصول على العلوم من مواطنها(٧).

---

١) ماجد البنكاني: رحلة العلماء في طلب العلم، (عمّان: دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٠.

٢) مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٩٨٧م)، ص ٢٤٥؛ علي الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص ٢٠١.

٣) هو أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن أحمد التميمي. ولد سنة٣٠٣هـ/٩١٥م. حدّث عن أبيه، وأحمد بن محمد بن أوس، ومحمد بن المرار بن حمويه، وعلي بن محمد بن مهرويه القزويني، وغيرهم. وقد حدّث عنه طاهر بن عبدالله بن ماهلة، وحمد الزجاج، وأحمد بن زنجويه العمري، وآخرون. وله مؤلفات كثيرة. توفي سنة٣٨٤هـ/٩٩٤م. انظر، الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥١٨-٥١٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٤٤١-٤٤٢.

٤) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرّج أحاديثه وعلّق عليه أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٣٧٨-٣٧٩.

٥) حسن جبر: أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، (الكويت: دار الكتاب الحديث، ط١، ١٩٩٨م)، ص ٢٨١.

٦) مريزن عسيري: المرجع السابق، ص ٢٤٥.

٧) حسن جبر: المرجع السابق، ص ٢٨١.

ولقد كانت هذه الرحلات من أهم ما يميز طالب عن غيره في الحضارة الإسلامية، لأن هؤلاء العلماء لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره بطون الأسفار(١). ولذا قال عنها ابن خلدون: " أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمالٍ في التعلم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارةً عِلمًا وتعليمًا وإلقاءً، وتارةً محاكاةً وتلقينًا بالمباشرة، إلا أن حصول المِلَكَاتِ عن المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قَدر كثرة الشيوخ يكون حصول المِلَكَاتِ ورسوخها"(٢).

والرحلة في طلب العلم ظاهرة فكرية لم يتفرد بها قطر إسلامي بعينه دون سائر الأقطار الإسلامية، بل كانت ظاهرة عامة تحدث من و إلى كل قطر من أقطار العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها(٣)، وبفضلها استمرت الوحدة الثقافية بين الأقطار الإسلامية على الرغم من تمزق العالم الإسلامي من الناحية السياسية، وكما استمر تبادل الأفكار بين سكان مختلف الأقاليم مما أبقى على تلك الوحدة حية وزاد في تماسكها(٤).

ومن العوامل التي ساعدت على نجاح تلك الرحلات هو استخدام اللغة العربية – التي كانت لغة العلوم كلها – كوسيلة للتعليم في جميع أقطار العالم الإسلامي، مما أتاح الفرصة لمن يرحل في طلب العلم أن يدرس أينما ذهب في انحاء العالم الإسلامي، وذلك بصرف النظر عن

---

١) سمية حسن محمد إبراهيم: منزلة العلم في الإسلام اهتمام الإسلام بالعلم وحثه على طلبه وبيان حقوق العلماء وآداب حملته، بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ، المحور الثالث، الجزء الأول، ص ١٠٥.

٢) المقدمة ، ص ٦٩٢.

٣) سهام مصطفى أبو زيد: الرحلة في طلب العلم إلى مكة المكرمة من خلال الرحالة ابن حوقل (عام ٣٣١هـ/٩٤٢م)، بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، المحور التاسع، الجزء الأول، ص ١٤.

٤) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٦٧.

لغة أهل البلاد التي يزورها، فالعربية هي اللغة السائدة في المساجد ودور العلم، وكان يتقنها الشيوخ والطلبة على السواء(١).

ومن تلك العوامل أيضًا أداء فريضة الحج، حيث كان الحج من أغنى الينابيع التي زودت العلماء بالمعلومات فقد صاحب عودة الحجاج إلى بلادهم سرد الأخبار التي سمعوها في طريقهم، ودونوها لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد الاجتماعية والاقتصادية(٢).

وبلا شك أن قدوم العلماء لمكة المكرمة لم يكن للحج فقط، بل لطلب العلم والاستزادة منه فأصبحوا رسلاً لنشر العلم والثقافة بين البلدان الإسلامية(٣). حيث استقبلت مكة خلال فترة الدراسة عددًا من العلماء ذوي الاختصاصات العلمية المختلفة، فكان لتواجدهم في مكة وقيامهم بالتدريس ونشرهم لمصنفاتهم أثر واضح في إثراء الحياة العلمية.

ويبدو أن مكانة مكة العلمية السامقة بما توافر فيها من علماء بارزين، سواء كانوا من أبنائها أو المجاورين فيها أو الوافدين إليها، قد جذبت عددًا من المهتمين بالعلم، بل وتعد الرحلة إلى مكة من الأمور المهمة لعلماء تلك الفترة، لاسيما وأن الرحلة العلمية إلى مكة كانت في الأوساط العلمية بمثابة وسام علمي يضاعف من مكانة العالم ويميزه عن غيره ممن لم يرحل في سبيل طلب العلم إلى مكة(٤).

وقد أشارت كتب التراجم إلى الكثير من الرحلات العلمية التي قام بها العلماء. فهذا أبو عثمان إسماعيل الصابوني المتوفى سنة٤٤٩هـ / ١٠٥٧م أحد الحفاظ كثير السماع والتصنيف ،

---

١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٦٧- ٦٨.

٢) سهام أبو زيد: الرحلة في طلب العلم، ص ١٦.

٣) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٥٤.

٤)عبد العزيز السنيدي: المجاورون في مكة المكرمة، ص ٢١-٢٢.

رحل إلى الآفاق في طلب الحديث، فسمع بنيسابور، وسرخس(١)، وهراة(٢)، والجبال(٣)، والشام، وحدَّث بخراسان، والثغور، والهند، وجرجان(٤)، والشام، والقدس(٥)، والحجاز(٦).

أما أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد العِجلي الرازي المتوفى سنة٤٥٤هـ/١٠٦٢م فقد سمع بمكة ، وبغداد ، ودمشق ، والبصرة ، والكوفة، وحَرّان(٧)، وتُسْتَر(٨)، والرها(٩)، وفسا(١٠)،

---

١) مدينة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

٢) مدينة عظيمة من مدن خراسان بقرب بوشنج، ولم يكن بخراسان مدينة أجلّ وأعمر منها، فتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر، القزويني: آثار البلاد، ص٤٨١؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٩٤-٥٩٥.

٣) جمع جبل، وهي البلاد الجبلية الواسعة الممتدة من مفازة خراسان وفارس وقومس شرقًا، واذربيجان غربًا، وطبرستان والديلم شمالاً، وخوزستان والعراق جنوبًا. وقد بطل استعمال اسم الجبال على هذه المنطقة أيام السلاجقة، فصار يعرف بعراق العجم، وذلك تمييزًا له عن عراق العرب، وهو ما يعرف به القسم الأسفل من مابين النهرين. بينما اطلق القزويني على هذا الاقليم قهستان. انظر، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٠٤؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩؛ القزويني: المصدر السابق، ص٣٤١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٢٠.

٤) يمتد اقليم جرجان في جنوب شرقي بحر قزوين، وهو بين طبرستان وخراسان، وقد عده البعض من أعمال خراسان، والبعض الآخر يعده من أعمال طبرستان، وقصبة جرجان مدينة لها ذات الاسم. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٩؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٤١٧-٤١٨.

٥) وعرفت بايليا، وبيت المقدس، وهي كورة من فلسطين. انظر، الحميري: المصدر السابق، ص٥٥٦.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص ٥٠٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ٤١؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص ٤٣.

٧) مدينة مشهورة من جزيرة أقور بالقرب من منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات، وهي قصبة ديار مضر، وكانت مدينة الصابئيين. فتحت المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥-٢٣٦؛ لسترنج: المرجع السابق، ص١٣٢، ١٣٤.

٨) أعظم مدينة بخوزستان، وهي تعريب شوشتر، وكانت المدينة على ٦٠ ميلاً شمال الأهواز. وقد فتحت المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩-٣٠؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٢٦٩.

٩) مدينة من أرض الجزيرة متصلة بحران، وتعرف حاليًا باسم أورفة في تركيا. انظر، الحميري: المصدر السابق، ص٢٧٣.

١٠) مدينة بفارس، بينها وبين شيراز أربع مراحل، وبمعنى آخر بينهما سبعة وعشرون فرسخًا، وبين فسا وكازرون ثمانية فراسخ، وتسمى عندهم بسا. انظر، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٠-٢٦١.

وحمص(١)، ومصر، والرملة، ونيسابور، ونَسا(٢)، وجرجان، وقد طاف في الآفاق عامة عمره(٣).

أما المحدِّث أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد العبدي الأصبهاني المتوفى سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م فقد رحل وسمع بأصبهان، ونيسابور، وشيراز(٤)، وهمذان(٥)، ومكة، والري(٦).

وممن رحل في طلب العلم أبو الفتح عبد الرزاق المنيعي المتوفى سنة٤٩١هـ/١٠٩٨م، فقد سمع بسرخس، ونيسابور، وبسطام(٧)، وهمدان، وبغداد، والكوفة، ومكة(٨).

ومن هؤلاء أبو الفتيان عمر الدهستاني الرواسي المتوفى سنة٥٠٣هـ/١١٠٩م الحافظ المكثر الجوال الذي سمع بخراسان، والعراق، ومصر، والشام، والحجاز، ودهستان(٩). والإمام أبو بكر محمد بن منصور السمعاني المتوفى سنة٥١٠هـ /١١١٦م الذي رحل في طلب الحديث

---

١) مدينة بالشام في مستو من الأرض تقع على نهر العاصي. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٣.

٢) مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام. انظر، المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٢.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ١٣٥-١٣٦.

٤) مدينة بأرض فارس، وهي قصبتها، مصّرها العرب، واتخذ المسلمون من موضعها معسكرًا لهم عند بدء فتحهم لاصطخر؛ وذلك لكونها تقع في وسط البلاد. انظر، الحميري: الروض المعطار، ص٣٥١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٨٤.

٥) وتكتب أيضًا همدان، وهي أكبر مدينة بالجبال. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠؛ لسترنج: المرجع السابق، ص٣٦.

٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ٤٤٠.

- الري تنسب إلى الجبل وليست منه بل هي أقرب إلى خراسان، وهي بقرب طبرستان وقومس وجرجان. فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر، الحميري: المصدر السابق، ص٢٧٨-٢٧٩.

٧) بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٢١.

٨) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص ٤٠٠-٤٠١.

٩) المصدر السابق، ج٣، ص ٩٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣١٧.

-دهستان: بلد مشهور في طرف مازندران- طبرستان - قرب خوارزم وجرجان. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢.

إلى مــرو(١)، ونيسابور، والري، وهمذان، وبغداد، والكوفة، وأصبهان، ومكة، والمدينة(٢).

وهذا أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م رحل في طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، فقد رحل إلى ما وراء النهر(٣) وسائر بلاد خراسان عدة مرات، فسافر إلى قومس(٤)، والري، وأصبهان، وهمذان، وبلاد الجبال، والعراق، والحجاز، والجزيرة، والشام، وغيرها من البلاد، ولقي العلماء وأخذ عنهم، وكان عدد شيوخه يزيد على أربعة آلاف شيخ(٥).

المطلب الخامس: الأوقاف:

شهدت مكة المكرمة حركة علمية واسعة، ويعود الفضل في ذلك إلى وجود المسجد الحرام، حيث كان مصدر إشعاع فكري لطلاب العلم، فالتقى فيه العلماء والمفكرون في حلقات علمية لا تنقطع نفعًا وانتفاعًا، وكان العلماء والطلاب يجدون في الأموال والمؤن وصدقات أهل الخير الأوقاف الدائمة والمرصودة التي كانت محبوسة عليهم ما يلبي مطالب حياتهم ويساعدهم على التفرغ للعلم ، واجتذب الحــرم المكي الكثير من العلماء وطلاب العلم الذين يُعلمون ويتعلمون

---

١) من أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرًا، وهي حاليًا عاصمة منطقة ماري في تركمانستان. انظر، القزويني: آثار البلاد، ص٤٥٦.

٢) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٣٠٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣٧٢؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص ٣.

٣) ما وراء النهر يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ماوراء النهر، وما كان غربيه فهو خراسان و ولاية خوارزم، وخوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم بعينه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٥.

٤) هي تعريب كومس، وهي كورة كبيرة واسعة في ذيل جبال طبرستان. فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر، المصدر السابق، ج٤، ص٤١٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٥.

٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٠٩؛ صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت))، ج٣، ص ٩٧.

حبًا في التعليم، وطمعًا في ثواب الله الكريم، كما جمع الحج كثيرًا من العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة أفادوا في النهضة العلمية(١).

ولقد نبعت عناية حكام المسلمين وعلمائهم برعاية الحركة العلمية في مكة المكرمة، وذلك بوقف أربطة لإيواء المشتغلين بطلب العلم ونشره، وترتيب صدقات جارية عليهم، ووقف كتب، بل خزائن برمتها عليهم وعلى كافة الراغبين في الاطلاع والاستفادة العلميين، يريدون بذلك وجه الله تعالى(٢).

وقد كان معظم هذه الأوقاف حول المسجد الحرام، وكان أغلبها مخصصًا للعناية بالعلم، كالمدارس الوقفية في مكة المكرمة – وسيتم الحديث عنها في الفصل الثالث – ، وتوفير السكن لطلبة العلم(٣).

وقد وجدت بعض الأربطة الموقوفة على العلماء و طلبة العلم في مكة المكرمة، كرباط الدمشقية(٤)، ورباط المغاربة، ورباط الحضارمة(٥).

كما وقد حرص العلماء على إهداء كتبهم ومؤلفاتهم أو وقفها على الحرم المكي(٦)، فأسهم علماء كل مذهب بتأمين الكتب لطلاب العلم و إيقافها عليهم في خزانة للكتب داخل المسجد الحرام(٧)، فقد شاهد ابن جبير عند باب إبراهيم عليه السلام زاوية كبيرة فيها دار المكناسي الفقيه إمام المالكية في الحرم المكي ، وحجرة هي خزانة للكتب الموقوفة على

---

١) النجم بن فهد:إتحاف الورى، ج٣، ص٨٧؛ أحمد بدر شيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص ٣٣٨.

٢) حسن الوراكلي: أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية الذي تنظمه جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ، ص ٧٤.

٣) حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص ١٩٦-١٩٧.

٤) النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص ٥٠٤؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٥؛ حسين شافعي: المرجع السابق، ص ٤٥.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٦؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص ٩٠؛ سليمان مالكي: مرافق الحج، ص٨٠-٨١.

٦) حسن الوراكلي: المرجع السابق، ص ٧٥.

٧) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص ٢٥٧؛ نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص ٧٤٠.

المالكية في الحرم(١).

وكان إمام المالكية في الحرم أبو عبد الله محمد المكناسي قد أوقف في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م «كتاب المقرب» لابن أبي زمنين المالكي(٢) في ستة مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين بمكة، وقد وضعت هذه المجلدات في خزانة المالكية(٣).

وعليه يتضح لنا أن الأوقاف أسهمت في ازدهار الحياة العلمية في مكة المكرمة فقد وجد فيها الطلاب السند الذي يعينهم على طلب العلم في أي مكان يحلون به، وهم مطمئنين لتوفر المسكن والمأكل، وعليهم ألا يفكروا إلا بتوفير جهدهم كله للعلم(٤).

---

١) ابن جبير: الرحلة، ص ٨٣؛ نواف الجحمة: رحالة الغرب الإسلامي، ص ٧٤٠.

٢) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى المري الأندلسي الإلبيري. ولد سنة٣٢٤هـ/٩٣٦م. سمع من سعيد بن فحلون، ومحمد بن معاوية القرشي، وإسحاق بن إبراهيم، وغيرهم. كان راسخًا في العلم، ومتفننًا في الآداب. نزل قرطبة، فصار شيخها ومفتيها. له مؤلفات في الفقه والحديث والزهد، ومنها « اختصار المدونة». توفي سنة٣٩٩هـ/١٠٠٩م. انظر، ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٤٥٨-٤٥٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٥٢١.

٣) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٤٨٧-٤٨٨؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص ١١٢؛ حسن الوراكلي: أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، ٧٦.

٣) شاكر مصطفى: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، (ذات السلاسل للطباعة والنشر ،ط١، ١٩٨٨م)، ج٢، ص ٦٩٥.



الفصل الثاني:

العلاقات العلمية بين مكة و اقاليم المشرق الإسلامي

المبحث الأول: العلاقات العلمية بين مكة والعراق

المبحث الثاني: العلاقات العلمية بين مكة وبلاد فارس

المبحث الثالث: العلاقات العلمية بين مكة والري والجبال وطبرستان

المبحث الرابع: العلاقات العلمية بين مكة وجرجان وخراسان

المبحث الخامس: العلاقات العلمية بين مكة وبلاد ماوراء النهر وخوارزم

المبحث السادس: العلاقات العلمية بين مكة وإقليم سجستان

المبحث السابع: العلاقات العلمية بين مكة وإقليم الهند

مدخل:

إن الدولة الإسلامية سابقًا كانت أمة واحدة يتمتع أفرادها بحرية التنقل من إقليم إلى آخر دون وجود عوائق تمنع ذلك، فالفرد المسلم له مطلق الحرية أن يعيش في هذا البلد أو ذاك، ويتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها أهل البلد الأصليون بغض النظر عن اصوله العرقية، وعلى الرغم من الانقسامات السياسية التي كان يعاني منها العالم الإسلامي أثناء فترة الدراسة، فإن ذلك لم يقف حجر عثرة في طريق رحلاتهم، سواء كان غرضهم من هذه الرحلات دينيًا أو علميًا أو اقتصاديًا.

وبلا شك أن الدافع العلمي آنذاك كان يمثل أهمها لدى العلماء وطلبة العلم لمعرفتهم بأهمية العلم بالنسبة للإنسان المسلم خصوصًا لأولئك الذين يبتغون به وجه الله تعالى. فرحلوا من بلدانهم بغية تحقيق ما يصبون إليه فاستطاعوا تحقيق مبتغاهم.

وعن طريق هذه الرحلات توثقت الأواصر والعلاقات بين مختلف الأقاليم الإسلامية، ونخص منها العلاقات العلمية، فهي محور الحديث. فبأعداد وافرة وثقافات متباينة وفد إلى مكة العلماء من كل حدب وصوب، فكان تواجدهم فيها — ولو لفترة قصيرة — فرصة لاندماجهم وتفاعلهم مع ما شهدته مكة من تحرك علمي نشط آنذاك، كما أتاح ذلك ويسّر للحركة العلمية روافد علمية ثرية أسهمت في زيادة التحرك العلمي واستمراره بمكة(١). ولذا سنحاول في هذا الفصل أن نرسم صورة العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وأقاليم المشرق الإسلامي(٢) – كل إقليم على حده –، وذلك من خلال تتبع رحلات وقدوم العلماء إلى مكة المكرمة.

وعلى الرغم من أن فترة الدراسة كانت من أخصب فترات الحصاد للنهضة الإسلامية حيث شهدت أعلامًا من الأئمة في كل علم وفن إلا إننا لا نستطيع أن نتوسع كثيرًا في هذا الفصل، وذلك حتى لا يصبح هناك تكرارًا للمعلومات في أكثر من موضع خاصةً وأن الفصل الذي

---

١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٣١٥.

٢) انظر ملحق رقم (٤)، ص٢٥٨.

يليه يوضح ما قام به هؤلاء العلماء الذين توجوا هذه العلاقات العلمية مع مكة بتأثيرهم في الحياة العلمية هناك.

والحق يقال أن هناك أمرًا يسترعي الانتباه على حركة قدوم العلماء إلى مكة من أقاليم المشرق الإسلامي، فمن الملاحظ تزايد قدوم العلماء من بعض الأقاليم، في حين بدأ التقلص واضحًا في بعضها الآخر، وهذا ما سيتضح لنا أثناء دراستنا لمباحث هذا الفصل.



المبحث الأول:

العلاقات العلمية بين مكة والعراق

شهدت مكة المكرمة في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وفودًا كثيرة من العلماء وطلبة العلم العراقيين الذين رحلوا لمكة لأداء فريضة الحج، والاستزادة العلمية من علماء مكة والعلماء المجاورين فيها، ويعتبر وجودهم خير دليل على العلاقات العلمية بين البلدين، وسيتم الحديث عن العلماء حسب المناطق التي ينتسبون إليها.

بغداد:

و من العلماء الذين قدموا من مدينة بغداد إلى مكة المكرمة خلال فترة الدراسة:

- ابن أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء البغدادي المتوفى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م الذي سمع من أبي القاسم بن حبابة(١)، وأبي طاهر المُخلص(٢)، وغيرهما. وقد تتلمذ على يد ابن أبي يعلى علماء أجلاء، مثل: أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، وعبد العزيز العاصمي النخشبي(٣)، وأبي الغنائم بن النرسي الكوفي. وصنّف ابن أبي يعلى مؤلفات كثيرة منها «عيون المسائل»، و «الكلام في حروف المعجم»، و«جواب مسائل وردت من الحرم»، وغيرها(٤).

---

١) هو أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن حبابة البغدادي المتوثي. ولد سنة٣٠٠هـ/٩١٣م. سمع من أبي بكر بن أبي داود، وابن صاعد، والبغوي. وقد روى عنه أبو محمد الخلال، وعبيد الله بن أحمد الأزهري، وأبو محمد الصريفيني. توفي سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٤٨.

٢) هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي الذهبي. ولد سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٨م. سمع من البغوي، وابن صاعد، وإبراهيم بن حماد، وطائفة. وقد روى عنه هبة الله بن الحسن اللالكائي، وأبو محمد الخلال، وأبو سعد السمان. توفي سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م. انظر، المصدر السابق، ج١٦، ص٤٧٨-٤٧٩.

٣) هو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن عاصم النسفي النخشبي. سمع من جعفر بن محمد المستغفري، ومحمد بن محمد بن غيلان، وغيرهما. وقد روى عنه أبو القاسم بن أبي العلاء، وسهل بن بشر الإسفراييني. توفي سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م. انظر، المصدر السابق، ج١٨، ص٢٦٧- ٢٦٨.

٤) انظر مصادر ترجمته: ابن أبي يعلى الفراء، محمد البغدادي الحنبلي: طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ج٣، ص٣٦٧-٤٠٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٢٥٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٨٩-٩١.

- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، الذي سمع الحديث وهو ابن إحدى عشرة سنة، فقد سمع بقريته درزيجان(١)، ثم ارتحل في طلب العلم إلى بغداد، والبصرة، والكوفة، ونيسابور، وأصبهان، والري، وهمذان، والدينور(٢)، ودمشق، وصور(٣)، وبيت المقدس، وعكبرا(٤)، وطرابلس(٥)، وحلب(٦)، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة. وقد تتلمذ الخطيب البغدادي على عدد كبير من العلماء الأجلاء ، ومنهم : أبي الحسن بن رزقويه(٧)، وأبي الفتح هلال بن محمد(٨)، وأبي الحسين بن النقور(٩)، وغيرهم

---

١) قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٠.

٢) مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخًا أي ٨٨ كم. وهي بمقدار ثلثي همذان. انظر، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٢.

٣) هي من ثغور المسلمين، ومدينة مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد. افتتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر، المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٣.

٤) بليدة من نواحي دُجيل قرب صريفين و أوَانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ أي ٥٥ كم. انظر، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٢.

٥) هي مدينة على شاطئ بحر الروم، وطولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة. انظر، المصدر السابق، ج٤، ص٢٦؛ القزويني: آثار البلاد، ص٤٠٨.

٦) مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، وهي قصبة جند قنسرين. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٢.

٧) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق البزاز المعروف بابن رزقويه. ولد سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م. سمع من إسماعيل بن محمد الصفار، ومحمد بن عمرو الرزاز، والحسن بن علي الشيرازي، وغيرهم، فأصبح أحد رواد علم الحديث بالعراق. وقد درس على يديه عدد كبير من طلاب العلم منهم: محمد بن علي الحندقوقي، ومحمد بن إسحاق الباقرحي، وغيرهما. توفي سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٢١١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٢٠٦.

٨) هو أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر بن سعدات بن عبد الرحمن الحفار. ولد سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م. كان عالمِا بالحديث. سمع من الحسين بن يحيى القطان، وإسماعيل بن محمد الصفار، وأبي عمرو ابن السماك، وغيرهم. وقد روى عنه أبو نصر عبيد الله السجزي، وأبو بكر البيهقي، وطراد الزينبي، وغيرهم. توفي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٦، ص١١٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٢٤٥.

٩) هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور البغدادي البزاز. ولد سنة ٣٨١هـ/٩٩١م. وكان يسكن طرف درب الزعفراني مما يلي الكرخ. سمع من علي بن عمر الحربي، وأبي حفص الكتاني، وأبي القاسم بن الصيدلاني، وطائفة. كان صحيح السماع، مُتحريًا في الرواية. حدث عنه الخطيب، والحميدي، ومؤتمن الساجي، وغيرهم. توفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٨١-٣٨٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٧٢-٣٧٤.

الكثير. وبرع الخطيب البغدادي في الفقه، والحديث، والتاريخ، فصنّف أكثر من مائة كتاب، ومنها: «تاريخ بغداد »، و« الكفاية في علم الرواية »، و« المتفق والمفترق »، وغيرها.

وكان قد قــدم مكة المكرمة حـاجًا، فانتهز الفرصة واجتمع بالمحدثين وسمع منهم، فلقي أبا عبد الله محمد بن سلامة القضاعي(١)، فسمع منه، وقرأ «صحيح البخاري» على كريمة المروزية في خمسة أيام.

ومما يذكر عن رحلته إلى الحج أنه كان يختم كل يوم القرآن الكريم، ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب، لسماع الحديث منه(٢).

وقد درس على يد هذا العالم الجليل عدد كبير من طلاب العلم، ومنهم: أبي نصر بن ماكولا(٣)، والمبارك بن الطيوري(٤)، وعلي بن أحمد المالكي(٥).

---

١) هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري، قاضي الديار المصرية، قال عنه ابن ماكولا: كان مُتفننًا في عدة علوم، لم أرَ بمصر مَن يجري مجراه. ومن تصانيفه: كتاب «الشهاب»، وكتاب «مناقب الإمام الشافعي وأخباره»، وكتاب «الإنباء عن الأنبياء»، وكتاب «تواريخ الخلفاء»، وكتاب «خطط مصر». توفى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م. انظر، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٣٠.

٢) انظر مصادر ترجمته: الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص١٨؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٣٨-١١٣٩؛ سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٧٣-٢٧٤؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص١٧٩؛السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٦٤؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٥، ص٢٣٠.

٣) هو علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي. ولد سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م. كان عارفًا بالحديث والنحو. رحل في طلب العلم إلى ما وراء النهر، وخراسان، والشام، ومصر، فسمع من أبي طالب بن غيلان، وعبدالصمد بن محمد بن مكرم، وعبيد الله بن عمر بن شاهين. وقد تتلمذ على يديه عمر الدهستاني، والفقيه نصر المقدسي، وغيرهما. وقد صنّف ابن ماكولا كتاب « مستمر الأوهام ». واختلف في تاريخ وفاته، والراجح سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٥٨١.

٤) هو أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد البغدادي الصيرفي ابن الطيوري. ولد سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م. سمع من أبي القاسم الحرفي، وأبي طالب بن غيلان، ومحمد بن علي الصوري، وطائفة. وقد سمع منه الحديث عدد من طلاب أمثال: إسماعيل بن محمد التيمي، والسلفي، وعبد الحق بن يوسف، وغيرهم. توفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢١٤-٢١٦.

٥) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

- طراد بن محمد بن علي الزينبي البغدادي المتوفى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، الذي سمع الحديث الكثير، فقد سمع من أبي الحسن بن رزقويه، وهلال الحفار، وغيرهما. وحدّث بأصبهان، وحج سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م فأملى الحديث على طلاب العلم بمكة والمدينة، و ولي نقابة العباسيين بالبصرة، ثم انتقل إلى بغداد، وكان يلقي دروسًا علمية بجامع المنصور، فيحضر مجالسه العلمية أعدادًا وفيرة من طلبة العلم، فقد رحلوا إليه من الأقطار المختلفة، ومن تلاميذه شهدة الكاتبة(١)، وكمالُ بنت أبي محمد السمرقندي(٢)، وعبد الله بن علي الطامذي الأصبهاني(٣)، وغيرهم(٤).
- أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادي المتوفى سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، الذي قدم إلى مكة بعد أن سمع ببلده من عثمان بن دُوست(٥)، وعبدالملك بن بشران(٦) ، فسمع بمكة من أبي الحسن بن صخر ، وأبي نصر عبيد الله

---

١) هي شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الدينوري البغدادي الإبري الكاتبة، وقد عرفت بالكاتبة لجمال خطها. سمعت من طراد الزينبي، والحسن بن أحمد الدقاق، وثابت بن بندار، وغيرهم. وقد سمع منها ابن عساكر، و عبد الكريم السمعاني، وابن الجوزي. توفيت سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٥٣٨.

٢) هي أم الحسن كمالُ بنت أبي محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي. سمعت من طراد الزينبي، وابن البطر، وغيرهما. وقد روى عنها إبراهيم النساج. توفيت سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م. انظر، المصدر السابق، ج١٢، ص١٥٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٤٢٠.

٣) هو أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الطامذي الأصبهاني. كان عارفًا بالحديث. سمع من أبي نصر السمسار، وجعفر العباداني، وطراد الزينبي. وقد حدَّث عنه محمد بن مكي الحنبلي، وعبدالقادر الرهاوي، وغيرهما. توفي سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٤٧٤.

٤) انظر مصادر ترجمته: ابن الجوزي: المنتظم، ج١٧، ص٤٣-٤٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٧-٣٩؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٧٠٥-٧٠٦.

٥) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٦) هو أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران الأموي. ولد سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م. سمع من أحمد بن سلمان النجاد، وحمزة بن محمد الدهقان، وأحمد بن الفضل بن خزيمة، وطائفة. وقد كان من رجال الحديث المعروفين، فسمع منه الخطيب البغدادي، والكتاني، وعلي بن أحمد الشهرزوري، وغيرهم. توفي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٨٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص ٤٥٠-٤٥١.

السجزي، وسمع بمصر، والرملة. وقد تتلمذ على يده أبو الفتح بن البطي(١)، وشهدة الكاتبة، وغيرهما(٢).

- أبو نصر محمد البندنيجي المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م الذي نزل مكة المكرمة، فجاور بها، وعُرف بفقيه الحرم(٣)، وبالتأكيد قد أطلق عليه هذا بسبب كثرة عقده لحلقات تختص بعلم الفقه بالمسجد الحرام.
- أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي السراج المتوفى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م الذي كان عارفًا بالحديث ، والفقه ، واللغة ، والشعر ، فسمع الحديث ببغداد من عبيد الله بن عمر بن شاهين(٤) ، ومحمد بن إسماعيل بن سنبك(٥) ، وعبد الواحد بن شيطا(٦) ، ثم رحل إلى

---

١) هو أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان البغدادي. ولد سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م. سمع من أبي نصر الزينبي، ومالك البانياسي، وعبد الواحد العلاف، وغيرهم. وقد روى عنه عبد الكريم السمعاني، وابن الجوزي، وابن تيمية. توفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٣٢٦.

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج١٩، ص١٦٣-١٦٤.

٣) انظر مصادر ترجمته: الشيرازي، أبو إسحاق: طبقات الفقهاء، تصحيح ومراجعة خليل الميس، (بيروت: دار القلم، (د.ت))، ص٢٤١؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٤٧٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص١٣٠.

٤) هو أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين البغدادي. ولد سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م. سمع من ابن مالك القطيعي، وحسينك النيسابوري، وأبي محمد بن ماسي، وطائفة. وقد روى عنه الخطيب البغدادي، ومحمد ابن مهدي. توفي سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص١٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٥٩٠.

٥) هو أبو الحسن محمد بن إسماعيل بن عمر بن محمد البجلي، ويُعرف بابن سبنك. ولد سنة٣٦٥هـ/٩٧٦م. وقد حدَّث عن الحسين بن محمد بن عبيد العسكري، وأبي سعيد الحرفي، وأبي بكر بن شاذان، وغيرهم. وقد روى عنه الخطيب البغدادي. توفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٣٩٢.

٦) هو أبو الفتح عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا. ولد سنة ٣٧٠هـ/٩٨١م. كان عارفًا بالقراءات. سمع من أبي بكر بن إسماعيل الوراق، وعيسى بن علي بن عيسى، ومحمد بن عمرو بن بهتة. ومن تلاميذه الخطيب البغدادي. توفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. انظر، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٦٩.

مكة، والتقى بالحافظ أبي نصر عبيد الله السجزي، وأبي بكر محمد بن إبراهيم الأردستاني(١)، فسمع منهما، و كذلك رحل لدمشق، ومصر، وقد صنّف أبو محمد عدد من الكتب منها: «مصارع العشاق»، و«حكم الصبيان»، و«مناقب السودان»، وتتلمذ على يديه ابن البطي، وأبو طاهر السلفي، وشهدة الكاتبة(٢).

- أبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي النصري المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤١م الذي سمع من ابن أبي يعلى ابن الفراء، ثم قدم إلى مكة، فسمع من أبي معشر الطبري، وأبي الحسن الصقلي، ثم رحل لمصر. وقد تتلمذ على يديه أبو طاهر السلفي، وعبد الكريم السمعاني(٣).
- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة٥٩٧هـ/١٢٠١م علامة عصره في الحديث والوعظ ، الذي بلغت شهرته أن حضر مجالسه العلمية عدد كبير قد يصل إلى عشرة آلاف، منهم الخلفاء والأمراء والوزراء، ولا غرو إن كان قد سمع منه مثل هذا العدد أيضًا في مكة المكرمة، حيث أنه قد حدّث بالمسجد الحرام أثناء حجه سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م ، ومن المعلوم ما يصاحب موسم الحج من وجود أعداد كبيرة من المسلمين بمكة المكرمة. وكان ابن الجوزي قد تتلمذ على ابن الحصين(٤)، وابن النباء(٥)، وغيرهما. وقد صنّف ابن الجوزي مؤلفات عديدة في التفسير، والتاريخ ، ومن هذه

---

١) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد الأردستاني، كان حافظًا مكثرًا من الحديث. رحل إلى العراق والحجاز والشام وديار مصر وخراسان وما وراء النهر، وسمع من أبي الحسن الدارقطني، وأبي الحسين أحمد الخفاف، وأبي بكر الشيرازي، وغيرهم. توفي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م بهمذان. انظر، السمعاني: الأنساب، ج١، ص١٠٨.

٢) انظر مصادر ترجمته: ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٤-٤٧٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨٢٤.

٣) انظر مصادر ترجمته: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٢٣-٢٥؛ تاريخ الإسلام، ج١١، ص٦٣٩-٦٤١.

٤) هو أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحصين الشيباني الهمذاني البغدادي الكاتب. ولد سنة٤٣٢هـ/١٠٤١م. سمع من أبي طالب بن غيلان، وأبي القاسم التنوخي. وقد حدَّث بـ «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، فروى عنه أبو بكر بن أبي القاسم الصفار، و حامد المديني، مُعمر بن الفاخر. توفي سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٤٤٠.

٥) لم نعرف عن أمره سوى أن اسمه أبو غالب أحمد بن الحسن بن النباء.

المصنّفات «المنتظم في التاريخ»، و«زاد المسير في علم التفسير»، و «المغني في علوم القرآن»، وغيرها(١).

- أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، الذي سمع ببغداد من يحيى بن بوش(٢)، وعبد الوهاب بن سُكينة(٣)، ثم رحل إلى واسط(٤)، وإربل، وأصبهان، وخراسان، ودمشق، وحران، وحلب، والموصل(٥)، ومصر، والإسكندرية، ودمنهور (٦)، ودنيسر (٧)، والتقى بمكة بيحيى بن ياقوت(٨)، فسمع منه ،

---

١) انظر مصادر ترجمته: أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، ص٢١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٤٠، ١٤٢؛ الذهبي: طبقات الحفاظ، ص٤٧٧-٤٧٨؛ تاريخ الإسلام، ج١٢، ص ١٥؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٧٨.

٢) هو أبو القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى بن محمد بن بوش البغدادي الأزجي. سمع من أبي سعد بن الطيوري، وأبي البركات هبة الله ابن البخاري، وأبي غالب عبيد الله بن عبد الملك الشهرزوري، وطائفة. و روى عنه محمد بن عبدالقادر البندنيجي، ومحيي الدين ابن الجوزي، وابن المهير الحراني. توفي سنة٥٩٣هـ/١١٩٧م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٤٣-٢٤٤.

٣) هو أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله ابن سُكينة البغدادي. ولد سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م. سمع من أبيه، وهبة الله بن الحصين، وزاهر الشحامي. وروى عنه ابن الصلاح، وابن النجار، والعماد محمد ابن السهروردي. توفي سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م. انظر، المصدر السابق، ج٢١، ص٥٠٢- ٥٠٥.

٤) مدينة على جانبي دجلة، سميت بواسط لتوسطها بين الكوفة والبصرة والمدائن. وقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفي ببنائها سنة ٨٣هـ. انظر، الحميري: الروض المعطار، ص٥٩٩.

٥) هي إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير كبرًا وعِظمًا، وهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى اذربيجان. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٢٣.

٦) بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر متوسطة في الصغر والكبر. انظر، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٢.

٧) هي بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان أي ١١ كم، ولها اسم آخر وهو قوج حصار. انظر، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٨.

٨) هو أبو الفرج يحيى بن ياقوت بن عبد الله الحرمي البغدادي الفراش، مملوك العتبة الشريفة، سمع من أبي القاسم إسماعيل السمرقندي، وعبد الجبار بن أحمد. كان شيخ الحرم ومعمارًا مدة طويلة. توفى سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٣٥٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٥١-٤٥٢.

وقد صنّف ابن نقطة عدد من المؤلفات منها «التقييد بمعرفة رواة السنن والمسانيد»، و«المستدرك على إكمال بن ماكولا»، وغير ذلك. وتتلمذ على يديه المنذري(١)، وعز الدين الفاروثي(٢)، وغيرهما(٣).

البصرة:

كما قدم إلى مكة المكرمة من مدن العراق الأخرى مثل البصرة التي قدم منها خلال فترة الدراسة:

- أبو الحسن محمد بن علي ابن صخر الأزدي البصري المتوفى سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م، الذي سمع من أحمد بن جعفر السقطي(٤)، ويوسف بن يعقوب النجيرمي(٥)، وأحمد بن علي الكرابيسي(٦). وقد حدّث بمصر، واليمن، والحجاز، فاستفاد منه طلبة العلم المكيين والوافدين إليها، فروى عنه جعفر بن يحيى الحكاك، وأبو الوليد الباجي(٧)، والمطهر بن علي الميبذي(٨).

---

١) هو أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري. ولد سنة٥٨١هـ/١١٨٥م. كان عالمًا بالحديث، وعلوم اللغة العربية. وقد عمل بدار الحديث الكاملية بالقاهرة. ومن مؤلفاته «الترغيب والترهيب»، و«التكملة لوفيات النقلة»، و«شرح التنبيه»، وغيرها. توفي سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انظر، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٠.

٢) هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر الواسطي الفاروثي. ولد سنة٦١٤هـ/١٢١٨م. كان من قراء العراق. وله من المؤلفات «إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين». توفي سنة٦٩٤هـ/١٢٩٥م. انظر، المرجع السابق، ج١، ٨٦.

٣) انظر مصادر ترجمته: ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٣٨٩-٣٩٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٢٣٤-٢٣٥.

٤) هو أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان السقطي. سمع من عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقي، والحسن بن المثنى العنبري. وقد روى عنه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٧، ص٩٠.

٥) هو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمي البصري. كان عارفًا بالحديث. سمع من أبي مسلم الكجي، وزكريا الساجي، ومحمد المازني، وطائفة. وقد حدَّث عنه أبو نعيم الحافظ، ومحمد الشيرازي، وغيرهما. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٥٩.

٦) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٧) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي المالكي، ولد سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وهو من أهل قرطبة، سكن شرقي الأندلس. رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٥م أو نحوها، فسمع بمكة، وبغداد، والموصل، وكانت إقامته بالمشرق نحو ثلاثة عشر عامًا. توفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م. انظر، ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص١٧٥-١٧٧.

٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٣٨-٦٣٩.

- أبو الغنائم محمد بن محمد ابن الغَرَّاء البصري المتوفى سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م الذي قدم إلى مكة، فسمع من أبي الحسن بن جهضم، وأحمد بن الحسن الرازي، وحدَّث عنه بـ «صحيح مسلم» ، كما رحل إلى مصر، ودمشق، والقدس، فسمع من أبي محمد ابن النحاس(١)، ومحمد بن عبد الرحمن القطان(٢)، أما تلاميذه الذين استفادوا من علمه فعددهم كثير نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الخطيب البغدادي، وأبي نصر بن ماكولا، وغيرهما(٣).

واسط:

ومن أبرز العلماء العراقيين الذين قدموا من مدينة واسط إلى مكة المكرمة:

- أبو علي الحسن بن القاسم الواسطي المعروف بغلام الهراس المتوفى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، وهو أحد القراء الثقات، ومن العلماء الذين رحلوا إلى الآفاق لطلب علم القراءات، فرحل وسمع ببغداد، والبصرة، والكوفة، والجامدة(٤)، وحران، ودمشق، ومصر، ثم قدم مكة للحج، فجاور بها، ولقب بإمام الحرمين، وقرأ على أبي عبد الله محمد بن الحسين الكارزيني، وأبي الحسن محمد بن عمر بن إبراهيم (٥) ، وأبي القاسم علي القاضي البصري (٦)،

---

١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد التجيبي المعروف بابن النحاس. ولد سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م. وكان محدِّث الديار المصرية. توفي سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م. انظر، الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٣١٩.

٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يحيى بن يونس الطائي الداراني القطان المعروف بابن الخلال. سمع من خثيمة بن سليمان، وعبد الرحمن بن أحمد بن عمران الدينوري، و الحسين بن إبراهيم الفرائضي، وطائفة. وروى عنه أبو سعد السمان، وأبو يعلى ابن الفراء، وغيرهما. توفي سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م. انظر، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٥٤، ص٩١- ٩٣.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص١٦٩-١٧٠.

٤) قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط بينها وبين البصرة. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٥.

٥) هو الفقيه البصري المعروف بالذهبي. أخذ القراءة عن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الرصافي. قرأ عليه الحسن بن القاسم بالبصرة. انظر، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره ج. برجستراسر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج٢، ص٢١٦.

٦) هو أبو القاسم علي بن الحسين بن عبد الله القاضي البصري، أخذ القراءة عن محمد بن الحسن النقاش، وأبي بكر بن مقسم. وروى عنه القراءة الحسن بن القاسم، وعبد الرحمن بن أحمد الرازي. انظر، المصدر السابق، ج١، ص٥٣٣.

وأبي الحسين أحمد الشينيزي(١)، وأبي الفرج عبيد الله المصاحفي(٢).

وبعد أن تمكن غلام الهراس من هذا العلم عاد إلى واسط، وتصدّر للإقراء، فرحل الناس إليه من الآفاق، و قرأوا عليه(٣).

- أبو محمد عبد المحمود بن أحمد الواسطي المتوفى سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م تفقه ببلده على أبي جعفر هبة الله ابن البوقي(٤)، ثم رحل إلى الكوفة، والبصرة، للسماع من علمائها، ثم قدم مكة، فلقي المبارك بن علي الطبَّاخ، فسمع منه، ودرَّس وأفتى(٥).

الكوفة:

وقدم إلى مكة المكرمة من علماء الكوفة خلال فترة الدراسة:

- أبو الغنائم محمد بن علي النَّرْسيُّ الكوفي المتوفى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م الذي سمع الكثير بالكوفة، ثم رحل إلى بغداد، فسمع من أبي الفتح عبد الواحد بن شيطا، ثم رحل إلى مكة فلقي عبد العزيز بن بندار الشيرازي، فسمع منه، وسمع من كريمة المروزية أيضًا، وكذا سمع بالشام(٦).

---

١) هو أبو الحسين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الله الشينيزي البصري، القاضي بسامراء، وهو مقرىء متصدر مشهور. أخذ القراءة عن علي بن محمد بن إبراهيم بن خشنام، وابن مقسم. وقرأ عليه الحسن بن القاسم الواسطي، والحسن بن علي المالكي، ونصر بن عبدالعزيز، وآخرون. انظر، ابن الجزري: غاية النهاية، ج١، ص٧٠-٧١.

٢) هو أبو الفرج عبيد الله بن عمر بن محمد بن عيسى المصاحفي البغدادي، مقرىء مشهور كبير ضابط. أخذ القراءة عن ابن بويان، وابن أبي هاشم، وزيد بن أبي بلال، والحسن بن داود النقار، وغيرهم. وروى القراءة عنه الحسن بن إبراهيم المالكي، والحسن بن علي العطار، وعلي بن فارس الخياط، وغيرهم. توفى سنة ٤٠١هـ. انظر، المصدر السابق، ج١، ص٤٩٠.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٢٥٩؛ معرفة القراء الكبار، ج١، ص٤٢٧-٤٢٨؛ محمد سالم محيسن: معجم حُفاظ القرآن عبر التاريخ، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٢، ص٢٧١- ٢٨٥.

٤) هو أبو جعفر هبة الله بن يحيى بن حسن ابن البوقي الواسطي. سمع من أبي نعيم الجُماري، وأبي نعيم بن زبزب، وخميس الحافظ. و روى عنه ابن الأخضر، وإبراهيم الكاشغري. توفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٤٨.

٥) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٦٦٤.

٦) انظر مصادر ترجمته: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٦٠-١٢٦١؛ تاريخ الإسلام، ج١١، ص١٤٢-١٤٣.

الهكارية:

وقدم من الهكارية- هي جبال فوق الموصل- لمكة المكرمة:

- أبو الحسن علي بن أحمد الهكاري المتوفى سنة٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، فسمع بمكة من أبي الحسن محمد ابن صخر الأزدي، ورحل كذلك إلى بغداد، و مصر، والرملة، وصيدا(١)، فسمع من أبي عبد الله بن نظيف(٢)، وأبي الحسين بن الترجمان(٣).

من رحل من علماء مكة إلى العراق:

وعلى الرغم من وجود جميع مقومات التعليم في مكة المكرمة، فإن علماء مكة لم يكتفوا بذلك ولم يقنعوا به، فارتحلوا إلى مراكز العلم في العالم الإسلامي، وممن رحل من علماء مكة إلى العراق؛ لطلب العلم:

- أبو الفضل جعفر بن يحيى المكي ابن الحَكَّاك المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م سمع بمكة من أبي ذر الهروي، وأبي بكر محمد الأردستاني، وأبي الحسن بن صخر، وأبي نصر عبيد الله السجزي، ثم رحل إلى بغداد، وسمع من أبي الحسين بن النقور، وخرّج لابن النقور أربعة أجزاء، وحدَّث ببغداد(٤).

---

١) هي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ أي ٣٣ كم. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٧.

٢) هو أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف المصري. ولد سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م. وهو مسند الديار المصرية. وسمع من أبي الفوارس أحمد بن محمد الصابوني، والعباس بن محمد الرافقي، وأحمد بن إبراهيم الحداد، وغيرهم. و روى عنه سعد بن علي الزنجاني، وأبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وطائفة. توفي سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٧٦- ٤٧٧؛ العبر، ج٢، ص٢٦٥- ٢٦٦.

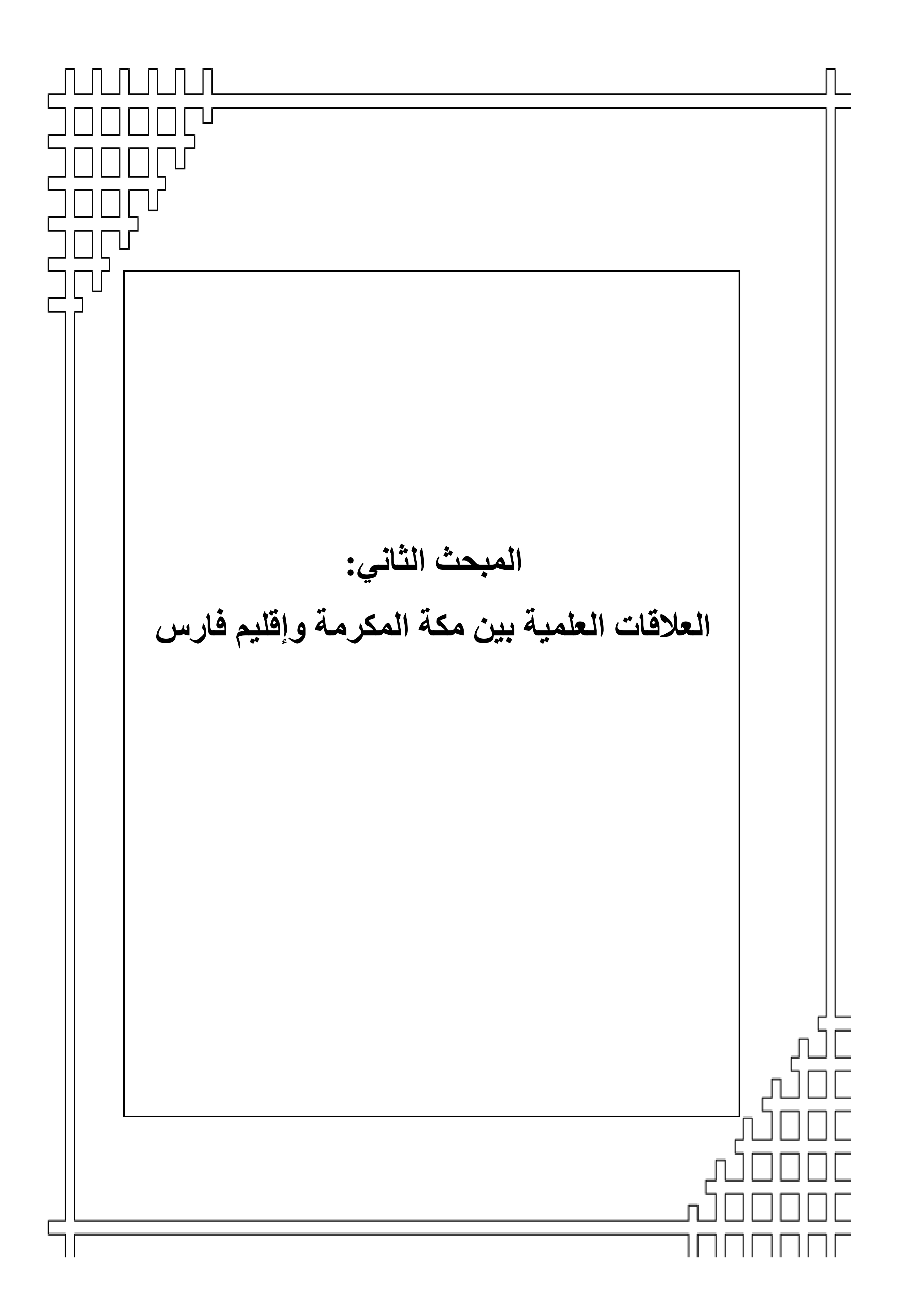
٣) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٦٤٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٦٨-٦٩؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٥٦٥.

- هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الترجمان العزي. سمع من عبد الوهاب بن الحسن الكلابي، والحسن بن إسماعيل الضراب، وأبي سعد الماليني، وطائفة. و روى عنه أبو عبد الله القضاعي، وسهل بن بشر الإسفراييني، وأبو الحسن ابن الموازيني. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٠ — ٥١.

٤) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢١٣-١٢١٤؛ سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١٣١-١٣٢.

- أبو الفضل عبد القاهر بن عبد السلام الهاشمي العباسي البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، كان نقيب الهاشميين بمكة، سمع من أبي الحسن بن صخر، وأبي علي الشافعي، وسعد الزنجاني، ثم سافر إلى العراق، واستوطن بغداد، وتصدّر للإقراء، حيث سكن المدرسة النظامية، وأقرأ بها القراءات، وحدَّث هناك(١).
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأسدي المتوفى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م أحد شعراء الحجاز، ولد بمكة، ولقي أبا الحسن التهامي، وكان أبو عبد الله هذا محبًا لما يعارض شعره، وخرج إلى العراق، واتصل بخدمة الوزير أبي القاسم المغربي، ثم ما لبث أن عاد للحجاز(٢).

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٧٤٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧١-٤٧٢.
٢) انظر مصادر ترجمته، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٧، ص١٠٤-١٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٣٧٥.



المبحث الثاني:

العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم فارس

لقد ارتبطت مكة المكرمة مع بلاد فارس بعلاقات علمية كبيرة، تمثلت في دراسة عدد من الفرس في مكة، ثم العودة إلى بلادهم حاملين معهم ما درسوه من علوم، كما استقر بمكة عدد من علماء الفرس، كان لهم دورهم في الحياة العلمية بها.

ومن أبرز علماء الفرس الذين قدموا إلى مكة، ولا نعرف إلى أي مدينة فارسية ينتسبون:

- أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي المتوفى سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م أخذ عن خاله أبي علي الفارسي(١) علم العربية، ثم طاف في الآفاق ينتهل من علومها، فورد الري، وخراسان، ثم نزل نيسابور، وألقى بها دروسًا في الأدب والنحو على طلاب العلم، وجاور بمكة، ثم قصد غزنة(٢)، ثم نيسابور، ثم اسفرايين(٣)، ثم استوطن جرجان حتى وفاته(٤).

وبما أنه قد جاور بمكة، فلا بد من أنه قد ألقى حلقات علمية في علوم العربية، استفاد منها طلبة العلم المكيين والوافدين إليها والمجاورين.

شيراز:

ومن أبرز المدن التي قدم منها علماء فارس، مدينة شيراز، فقدم منها:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبيد الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م الذي

---

١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد الفارسي الفسوي، ولد بمدينة فسا سنة ٢٨٨هـ/٩٠١م. وكان إمام وقته في علم النحو. طاف البلاد، واتصل بسيف الدولة بن حمدان، وعضد الدولة ابن بويه. وحدث عنه عبيد الله الأزهري، وأبو القاسم التنوخي، وغيرهما. ومن تلامذته أبو الفتح بن جنّي، وعلي بن عيسى الربعي. وقد صنّف عددًا من الكتب، ومنها: « الإيضاح »، و «المقصور والممدود»، و«التذكرة». توفي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م. انظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٨٠-٨٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٧٩-٣٨٠ .

٢) هي مدينة عظيمة، وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند. وهي الآن احدى المدن الأفغانية تقع جنوب غربي العاصمة كابول. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠١.

٣) هي بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مِهْرَجان. وهي الآن مدينة إيرانية تقع في محافظة خراسان الشمالية. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٧.

٤) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج١، ص١٦٤-١٦٥؛ صديق القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص٤٨.

رحل في طلب العلم إلى هراة، وبلخ، وبخارى، وبغداد، والبصرة، والكوفة، ودمشق، فسمع من أبي بكر القطيعي(١)، ويوسف بن يعقوب النجيرمي، ثم قدم مكة، فسمع فيها من مغيرة بن عمرو، ومن تلاميذه الذين سمعوا منه أبو القاسم القشيري، وغيره(٢).

- أبو القاسم عبد العزيز بن بندار الشيرازي المتوفى بعد سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وقيل أنه توفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، الذي رحل في طلب الحديث إلى الجبال، والعراق، ومصر، وهمذان، ثم نزل مكة المكرمة، ولقي أبا الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس العبقسي، فسمع منه، وأقام أبو القاسم بحرم الله مدة طويلة مكثرًا من الحديث(٣)، فاستفاد منه طلبة العلم، حيث ذكرنا في موضع سابق أن أبا الغنائم النرسي الكوفي قد سمع منه بمكة(٤).
- أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي المتوفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وقيل: ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، كان حافظًا جوالاً سمع بفارس، وخراسان، والعراق، والجزيرة، وخوزستان(٥)، وبلاد الحرمين، واليمن، والشام، ومصر، فسمع من أبي بكر محمد بن الحسن بن الليث الشيرازي (٦)، وأحمد بن عبد الباقي بن طوْق (٧)، وقد استفاد من علمه

---

١) هو أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القطيعي. ولد سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م. سمع من محمد بن يونس الكديمي، وجعفر بن محمد الفريابي، والحسن بن الطيب البلخي، وطائفة. وقد حدَّث عنه الدارقطني، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وأبو بكر البرقاني. توفي سنة ٣٦٨هـ/٩٧٩م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢١٠- ٢١٣.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٤٥٣.

٣) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٤٩٢-٤٩٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٤٥.

٤) راجع ص١٤٥.

٥) هي كور الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان، ويقال لها بلاد الخوز، وتعتبر الآن من محافظات إيران. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٤١٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠٤.

٦) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٧) هو أبو نصر أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن طوق بن سلام الربعي الخيراني. ولد سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م. وسمع من نصر بن أحمد بن المرجى، وأبي الحسين عبد الله بن القاسم ابن الصواف. توفي سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٤٤٩.

محمد بن محمد الفاشاني(١)، وأبي بكر اللفتواني(٢)، وقد صنف «تاريخ شيراز»(٣).

- أبو نصر محمد بن هبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، كان فقيهًا بارعًا، قدم بغداد شابًا، وتفقه بها على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، حتى برع في المذهب، وأعاد بالمدرسة النظامية، ثم رحل لمكة، فجاور بها مدة، وكان خلال مجاورته يسمع ويحدّث، بالإضافة إلى تردده على بغداد(٤).
- أبو الوفاء عبد الملك بن عبد الحق الشيرازي المتوفى سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م الذي رحل في طلب العلم إلى دمشق، ثم الإسكندرية، فسمع بها من أبي طاهر السلفي، ثم قدم مكة المكرمة، فسمع من المبارك ابن الطبّاخ(٥).

كارزين(٦):

ومن كارزين قدم إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو عبد الله محمد بن الحسين الكارزيني الفارسي الذي كان حيًا سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وتنقل في البلاد للسماع، حيث سمع من الحسن بن سعيد المطوعي(٧)، وأحمد بن نصر الشذائي(٨)، ثم نزل مكة مجاورًا، فاستفاد منه طلبة العلم، حيث كان أعلى أهل عصره إسنادًا في القراءات ، فتتلمذ على يديه أبو الفضل عبد القاهر بن عبد السلام العباسي،

---

١) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٢) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢١٥-١٢١٦؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٥٥٤-٥٥٦.

٤) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢١-٢٢؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٣٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٨٠.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٣٨٥.

٦) بلدة في فارس، وهي مدينة صغيرة نحو الثلث من إصطخر، وهي قصبة كورة قُباذخُرَّه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٨-٤٢٩.

٧) هو أبو العباس الحسن بن سعيد بن جعفر المطوعي. ولد سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م. سمع من أبي مسلم الكجي، والحسن بن المثنى، وجعفر الفريابي. وقد روى عنه أبو نعيم، ومحمد بن عبيد الله الشيرازي. توفي سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٦٠- ٢٦١.

٨) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها

وغلام الهراس، وآخرون(١).

كازرون(٢):

ومن مدينة كازرون جاء إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو محمد عبد السلام بن أبي المعالي الكازروني المتوفى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، وهو مؤذن الحرم المكي، وقد مكث بمكة مجاورًا أكثر عمره. وكان قد سمع من يوسف بن بندار السنبسي(٣) سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م، فحدَّث عنه(٤).

ماين(٥):

ومن مدينة ماين رحل إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر المايني الصوفي المتوفى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، كان كثير الأسفار، طاف في بلاد العراق، والجبال، والشام، والحجاز، فسمع من أبي بكر أحمد بن علي الطريثيثي(٦)، وأبي محمد جعفر السراج، وقد كتب عنه عبد الكريم السمعاني(٧).

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨؛ تاريخ الإسلام، ج٩، ص٥٩٢-٥٩٣؛ ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢، ص١٣٢-١٣٣.

٢) مدينة بفارس بين البحر وشيراز، وهي بلدة عامرة كبيرة، وهي من دمياط الأعاجم. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢٩.

٣) لم اعثر على ترجمة له في المصادر التي اطلعت عليها.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٣١.

٥) هي بلد من أعمال فارس من نواحي شيراز، وفي معجم البلدان كتبت مائين. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص١٨٥؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥ ، ص٥٠ .

٦) هو أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا الطريثيثي البغدادي المعروف بابن زهراء. ولد سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م. سمع من ابن الفضل القطان، وهبة الله بن الحسن اللالكائي، وأبي القاسم الحرفي. وقد روى عنه أبو القاسم بن السمرقندي، وأبو طاهر السلفي، وهبة الله الشيرازي. توفي سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١٦٠ -١٦٢.

٧) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص١٨٥- ١٨٦.

يزد(١):

ومن مدينة يزد قدم إلى مكة المكرمة خلال فترة الدراسة:

- أبو الحسن علي بن أحمد ابن محمويه اليزدي المتوفى سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، نزيل بغداد، الذي رحل في طلب العلم إلى أصبهان، وهمذان، وبغداد، والدُّون(٢)، و واسط، والبصرة، والكوفة، ومكة المكرمة، فسمع من ابن الطيوري(٣)، وأبي بكر الشاشي(٤)، وابن خُشيش(٥)، وقد صنّف مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث(٦).

ميبذ(٧):

أما من مدينة ميبذ فقد رحل لمكة خلال فترة الدراسة:

- أبو طاهر المطهّر بن علي الميبذي، الذي ارتحل في طلب الحديث، فسمع ببغداد من أبي الحسين بن النقور، ثم قدم مكة، فسمع من أبي الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي(٨).

---

١) مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة في أعمال فارس ثم من كورة إصطخر، وهو اسم للناحية وقصبتها يقال لها كَثَه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣٥.

٢) قرية من أعمال دينور. انظر، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٠.

٣) هوأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم البغدادي الصيرفي ابن الطيوري. ولد سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م. سمع من ابن غيلان، ومحمد بن علي الصوري، وعلي بن أحمد الفالي، وطائفة. و روى عنه إسماعيل بن محمد التيمي، وعبد الخالق اليوسفي، وأبو طاهر السلفي. توفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢١٣- ٢١٦.

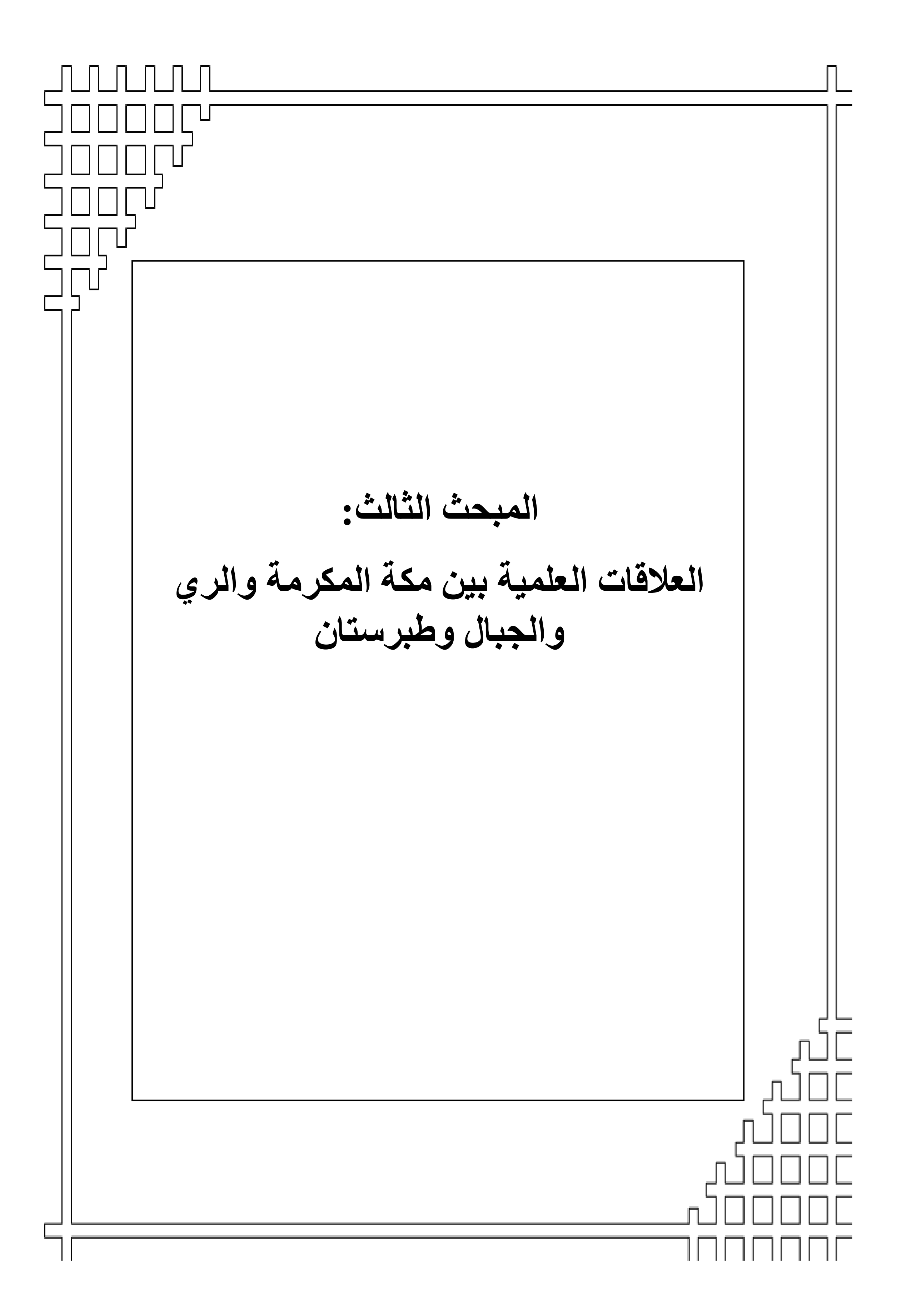
٤) هو أبو بكر محمد بن علي بن حامد الشاشي. سمع من أبي بكر السنجي، ومنصور الكاغدي. وقد اشتغل بالتدريس بنظامية هراة. و روى عنه محمد بن محمد السنجي، وأبو بكر محمد بن سليمان المروزي. توفي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وقيل: سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م. انظر، المصدر السابق، ج١٨، ص٥٢٥- ٥٢٦.

٥) هو أبو سعد محمد بن عبد الكريم بن خُشيش البغدادي. سمع من أبي علي بن شاذان، وأبي الحسن بن مخلد البزاز. و روى عنه أبو طاهر السلفي، وشهدة الكاتبة، وأبو السعادات القزاز. توفي سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م. انظر، المصدر السابق، ج١٩، ص٢٤٠- ٢٤١.

٦) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٣٣٤- ٣٣٦؛ تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٣٢.

٧) بلدة من نواحي أصبهان من كور اصطخر فارس، وقيل إنها من نواحي يزد، وبها حصن حصين. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٤٢٦؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٠.

٨) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٤٢٦.



المبحث الثالث:

العلاقات العلمية بين مكة المكرمة والري والجبال وطبرستان

وأما بالنسبة لإقليم الري فقد تمتع بعلاقة وثيقة مع مكة المكرمة، واتضحت هذه العلاقة عبر التبادل الثقافي بين البلدين، وكانت أكثر وضوحًا في حركة قدوم العلماء لمكة، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

- أبو سعد إسماعيل بن علي السَّمَّان الرازي الذي اختلف في تاريخ وفاته، فقيل: ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وقيل: ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، وقيل: ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، الذي سافر في طلب العلم إلى العراق، ومصر، فسمع من أبي طاهر المُخلص، وعبد الرحمن بن عمر ابن النحاس، ثم قدم إلى مكة، فسمع فيها من أحمد بن إبراهيم بن فراس(١).
- أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، المكي المولد، المتوفى سنة٤٥٤هـ/١٠٦٢م الذي كان مقرئًا جليل القدر، حيث رحل في طلب العلم إلى العراق، وجرجان، وخراسان، والشام، ومصر، فسمع من أبي عبد الله بن مندة، ثم قدم مكة، فسمع من أحمد بن فراس العبقسي، وعلي بن جعفر السيرواني، وأبي العباس الرازي، وتنقل من بلد إلى آخر، وقد تتلمذ على يديه أبي بكر الخطيب البغدادي، وأبي صالح المؤذن(٢).
- أبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي المتوفى سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م الذي قدم إلى مكة، فقرأ بالروايات على أبي عبد الله الكازروني، ثم رحل إلى اليمن، فمصر، والشام، وقد كتب عنه أبو زكريا البخاري، وغيث الأرمنازي(٣).

---

١) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٩٢؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٢١-١١٢٢؛ سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٦-٥٧؛ تاريخ الإسلام، ج٩، ص٦٨٨.

٢) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٣٥-١٣٧؛ معرفة القراء الكبار، ج١، ص٤١٧؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٤٨.

٣) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١٩٠-١٩١؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٠.

- هو أبو الفرج غيث بن علي بن عبد السلام الأرمنازي الصوري. سمع من أبي بكر الخطيب البغدادي، ورمضان بن علي، وعلي بن عبيد الله الهاشمي. وقد روى عنه ابن عساكر. توفي سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٨٩.

وكذلك لم تقتصر العلاقات العلمية على الرجال فقط، بل شاركت النساء في ذلك، فهذه:

- شمس الضحى بنت محمد بن الساوي المتوفاة سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م كانت عالمة، جاورت بمكة عدة سنين حتى وفاتها، وصحبت أبا النجيب السهروردي، وسمعت معه الحديث، وروت شيئًا يسيرًا، سمع منها بعض طلبة الحديث، منهم القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الذي أثنى عليها(١).

أبهر(٢):

ومن أبرز من قدم من علماء هذه المدينة إلى مكة المكرمة:

- أبو طالب عبد المحسن بن أبي العميد الأبهري المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م الذي كان كثير الأسفار، والمجاورة بمكة، وفي نهاية المطاف استقر بمكة، وحدَّث بها، واستفاد منه خلق كثير(٣).

أما بالنسبة **لإقليم الجبال** فقد اختلفت أعداد العلماء القادمين إلى مكة المكرمة من مدينة إلى أخرى.

زنجان(٤):

وكان ممن قدم إلى مكة المكرمة من علماء مدينة زنجان:

- أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م الذي سمع بزنجان، ثم رحل لمصر ، فسمع بها من أبي عبد الله بن نظيف ، ثم قدم لمكة ، فجاور بها أربعين عامًا، وكان

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص٢٥٦-٢٥٧.

٢) مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل، والعجم يسمونها أوهر. وبينها وبين زنجان خمسة عشر فرسخًا أي ٨٢ كم، وبينها وبين قزوين اثنا عشر فرسخًا أي ٦٦كم. وقد افتتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٨٢-٨٣.

٣) انظر مصادر ترجمته، الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص٢٣٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٩٣؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص٢٧٠.

٤) بلد كبير من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي على مقربة من أبهر وقزوين، والعجم يسمونها زنكان. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٢.

يملي الحديث أثناء ذلك(١).

- أبو بكر عتيق بن بدر بن حيدر بن منصور العَمَرِي الزنجاني الأصل، المكي المولد والدار، المتوفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م الذي حدَّث بمكة، وكان قد رحل للعراق، فسمع من أبي الفتح بن البطي، وابن النقور (٢).

أصبهان:

ومن مدينة أصبهان وفد إلى مكة:

- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهاني المعروف بابن اللبّان المتوفى سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م الذي اشتغل بالفروع، والأصول، والكلام، والحديث، والقراءات، ورحل في طلب العلم إلى بغداد، فسمع من أبي طاهر المـُخلص، ثم قدم إلى مكة فسمع بها من أبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس، وقد صنّف ابن اللبّان كتاب « روضة الأخبار »(٣).
- أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي الأصبهاني المتوفى سنة٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م الذي خرج في طلب العلم منذ الصبا، فرحل إلى خراسان، والعراق، والحجاز، فسمع بمكة من أبي عبدالله بن نظيف المصري، وببغداد من هلال الحفار، ومن مصنّفاته كتاب «الأربعين » ، وكتاب «الفوائد العشرة»، وتعرف أيضًا بـ «الأجزاء الثقفيات »(٤).
- أبو نصر عبد الجبار بن إبراهيم العبدي الأصبهاني المتوفى سنة٥٢١هـ/ ١١٢٧م الذي رحل إلى مكة، فجاور بها زمنًا طويلاً، وكان أحد شيوخ الحرم لسنين عدة، وبها توفي(٥).
- أبو القاسم إسماعيل بن محمد التَّيْمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة المتوفى سنة ٥٣٥هـ/

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٧٤-١١٧٦؛ سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٨٥-٣٨٨؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٤٨-٤٩.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٥-١٦.

٣) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص١٢٦-١٢٧؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٠٠؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٣٩٤؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٤٥١.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٨-١١.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٣٦٩.

١١٤١م الذي سمع بأصبهان، ونيسابور، وبغداد، ثم رحل إلى مكة، فجاور بها عامًا، وسمع من علمائها، وأملى وصنَّف عدة كتب منها «الجامع»، و«سير السلف»، و«دلائل النبوة»، و«إعراب القرآن»، وتكلم في الجرح والتعديل، وكان من أئمة العربية أيضًا(١).

- أبو العباس أحمد بن محمد الرناني المتوفى سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤١م الذي قدم من رُنان(٢) إلى الحجاز سنة ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م، وكان يستملي بمكة لأبي سعد بن البغدادي، وقد تتلمذ على يديه عبد الكريم السمعاني(٣).
- أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م الذي استمرت رحلته في طلب العلم ثمانية عشر عامًا، فقد سمع ببلده، ثم رحل للري، ومراغة، وقزوين، ودمشق، وزرند، وصور، وأبهر، وميافارقين، وخلاط، ومكة، والإسكندرية، وغيرها، ثم حج فسمع من أبي شاكر العثماني، ومن الحسين بن علي الطبري، ومن تصانيفه «الأربعين البلدية»، و«السفينة الأصبهانية»، و«جزء شرط القراءة على الشيوخ»، وغير ذلك(٤).
- أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني البغدادي المتوفى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م الذي سمع من أبي الكرم الشهرزوري(٥)، وأبي الفتح الكروخي(٦).

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٨١؛ تاريخ الإسلام، ج١١، ص٦٢٤؛ السيوطي: طبقات المفسرين، ص٣٧-٣٨؛ الداودي: طبقات المفسرين، ج١، ص١١٣-١١٤.

٢) هي إحدى قرى أصبهان. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٩٤.

٣) المصدر السابق، ج٣، ص٩٤.

٤) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١٦-٢١؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص٣٣٩.

٥) هو أبو الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد الشهرزوري. ولد سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م. كان عالمًا بالقراءات، وقد صنّف في هذا العلم كتاب « المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر». توفي سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٦م. انظر، الزركلي: الأعلام، ج٥، ٢٦٩- ٢٧٠.

٦) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج٢، ص٥٩٩؛ تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢١٣.

همذان:

أما مدينة همذان فوفد منها إلى مكة المكرمة:

- أبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمذاني المتوفى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م الذي نزل مكة، وحدَّث بها، فاستفاد منه خلقٌ كثير من المغاربة والحجاج، فقد سمع منه محمد بن سلامة القضاعي، وغيره، وصنّف كتاب «بهجة الأسرار» في أخبار الصوفية (١).
- أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن الهمذاني المتوفى سنة ٥٣١هـ/١١٣٧م الذي سمع بهمذان، وبغداد، ونيسابور، ومرو، وجرجان، ثم قدم مكة، فسمع من أبي علي الشافعي، وسعد الزنجاني، وقد حدَّث بـ «جامع الترمذي»(٢).
- أبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني المتوفى سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م الذي رحل لسماع الحديث إلى بغداد، وواسط، والبصرة، وأصبهان، والحجاز، فسمع من أبي طاهر السلفي، وابن السمعاني، وقد صنّف «عجالة المبتدى»، و«المؤتلف والمختلف»، وغير ذلك(٣).

بروجرد(٤):

ومن أبرز من قدم من بروجرد إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو المظفر طاهر بن محمد البروجردي المتوفى سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م الذي انتقل إلى مكة فسكنها، وحدَّث بها، و أيضًا أصبح قاضيًا بمكة(٥).

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٢٣٨؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٧٩-١٨١.

٢) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٠١-١٠٢؛ تاريخ الإسلام، ج١١، ص٥٥٤.

٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص٨.

٤) بلدة بين همذان والكرج، بينها وبين همذان ثمانية عشر فرسخًا أي ٩٩ كم، وبينها وبين الكرج عشرة فراسخ أي ٥٥ كم. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٤.

٥) انظر مصادر ترجمته، السبكي: المصدر السابق، ج٤، ص٧٣؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١١٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٩-٦٠.

أسداباد(١):

ومن أسداباد رحل إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو منصور سعد بن علي العجلي الأسدابادي المتوفى سنة٤٩٤هـ/ ١١٠١م الذي رحل إلى مكة، فسمع من كريمة المروزية، وعبد العزيز بن بندار الشيرازي(٢).

أما **إقليم طبرستان**(٣) فقد ارتبط بعلاقات علمية طيبة مع مكة المكرمة، و اتضحت معالم هذه العلاقة على الساحة العلمية – سيتم التطرق لها في الفصل الثالث – حيث خرّج هذا الإقليم علماء أسهموا في تقدم الحركة العلمية بمكة خلال فترة البحث.

آمُل(٤):

ومن أهم مدن طبرستان التي أمدّت مكة بعلمائها مدينة آمُل، فقدم منها:

- أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م سافر لسماع الحديث إلى أقاليم متعددة، حيث سمع بحران، ومنبج (٥)، وآمد (٦)، وبغداد ، وسلماس(٧)، والجزيرة ، وحلب ، وغزة (٨)، ومصر، ثم جاور بمكة، وقرأ على أبي عبدالله

---

١) تقع غرب همذان، وهي مدينة آهلة. انظر، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٣١.

٢) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٧.

٣) يعرف أيضًا بمازندران، وهو بين الري وقومس وبحر الخزر. وافتتحها المسلمون سنة ١٤٢هـ. انظر، القزويني: آثار البلاد، ص٤٠٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٤.

٤) أكبر مدينة بطبرستان في السهل. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٧.

٥) هي مدينة كبيرة بناحية قنسرين ومن كورها، بينها وبين الفرات مرحلة. انظر، الحميري: المصدر السابق، ص٥٤٧.

٦) مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة مابين دجلة والموصل، فتحها المسلمون سنة٢٠هـ، وتعرف حاليًا باسم ديار بكر. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٦؛ الحميري: المصدر السابق، ص٣.

٧) هي مدينة مشهورة بأذربيجان بين تبريز وأرمينية، طولها ثلاث وسبعون درجة وسدس، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٨-٢٣٩.

٨) هي مدينة بفلسطين غربي عسقلان، وتقع في أقصى الشام من ناحية مصر. انظر، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٢.

الكارزيني، واشتغل بالتدريس(١)، فاستفاد من علمه أهل مكة والوافدين إليها.

- الفضل بن أحمد بن محمد الزهري المعروف بالبصري المتوفى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وهو من أهل آمل، تفقه بغزنة، ثم سافر لبغداد، والشام، والحجاز، ومصر، وسكن مكة، وقد سمع من القاضي أبي الطيب(٢).
- أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطبري المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٤٩٨هـ/١١٠٥م الذي سمع بخراسان وبغداد، وجاور بمكة، فسمع بها من كريمة المروزية، واشتغل بالتدريس والتصنيف، فسمع منه رزين العبدري، وأبو طاهر السلفي، وغيرهما(٣).
- أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرُوياني المتوفى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م الذي سمع بطبرستان، وخراسان، وقد روى عنه بمكة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يوسف التميمي(٤).
- أبو جعفر محمد بن علي اللارزي الطبري المتوفى سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م الذي سمع ببلده من أبي المحاسن الرُوياني، ثم رحل إلى نيسابور، وأصبهان، وبغداد، ومكة(٥).
- عبد الملك الطبري المتوفى في سنة عشر الثلاثين وخمسمائة هجرية كان يدرس بالمدرسة النظامية، ثم خرج إلى مكة، وبقى بها إلى وفاته، أي قرابة أربعين عامًا(٦).

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٤٢٣-٤٢٤؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٦٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٥؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٠٨.

٢) انظر مصادر ترجمته، السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٥٨-٢٥٩؛ الأسنوي: المصدر السابق، ج١، ص٥٥.

- هو القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري. ولد سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م. سمع من أبي أحمد الغطريفي، وأبي الحسن الماسرجسي، وأبي الحسن الدارقطني، وغيرهم. سكن بغداد، واشتغل بالتدريس بها. توفي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤٩١.

٣) انظر مصادر ترجمته، الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٢٤٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٠٣-٢٠٤؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨٠٢-٨٠٣؛ السبكي: المصدر السابق،، ج٣، ص٢٧؛ الأسنوي: المصدر السابق ، ج١، ص٢٧٨-٢٧٩.

٤) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص١٠٦.

٥) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٢٩٧؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٣١.

٦) انظر مصادر ترجمته، السبكي: المصدر السابق، ج٤، ص١٢٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥١٧.

- أبو الفضل العباس بن الحسين الطبري المتوفى سنة ٦١١هـ/ ١٢١٥م الذي قدم إلى مكة المكرمة، وبلغ شأنًا عاليًا حيث أصبح إمام مقام إبراهيم ﷺ(١).
- أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المتوفى سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م الذي قدم إلى مكة في أول عشر الثمانين وخمسمائة هجرية، أو قبلها، فجاور بمكة مستوطنًا(٢).

شالوس(٣):

وقدم من شالوس إلى مكة المكرمة خلال فترة الدراسة:

- أبو عبد الله عبد الكريم بن أحمد الشالوسي الطبري المتوفى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م الذي كان فقيه وقته، ومفتي آمل ومدرسها، رحل إلى بغداد، والحجاز، وسمع من أبي عبد الله محمد بن نظيف الفراء(٤).

سارية(٥):

ومن سارية قدم إلى مكة:

- أبو الحسن علي بن إسماعيل الفقاعي السروي المولود سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م الذي سمع بآمل، ثم رحل إلى مكة، فجاور بها مدة، وأثناء ذلك سمع من أبي الوفاء محمد بن عبد الله المقدسي، وأبي سعيد أحمد بن أبي الحسن الطوسي، ثم قفل راجعًا إلى بلاده، ولا نعلم متى توفي، إلا أنه كان حيًا سنة ٥٣٧هـ(٦).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٩١.

٢) المصدر السابق، ج٨، ص٢٠-٢١.

٣) مدينة بجبال طبرستان، وهي أحد ثغورهم، وبينها وبين الري ثمانية فراسخ أي ٤٤ كم. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣١١.

٤) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٣٨٤؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٤٩؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٦.

٥) هي مدينة بطبرستان شرقي آمل، وكانت سارية قصبة طبرستان القديمة. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٠؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤١١.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٥٠.

قرية مطهَّر(١):

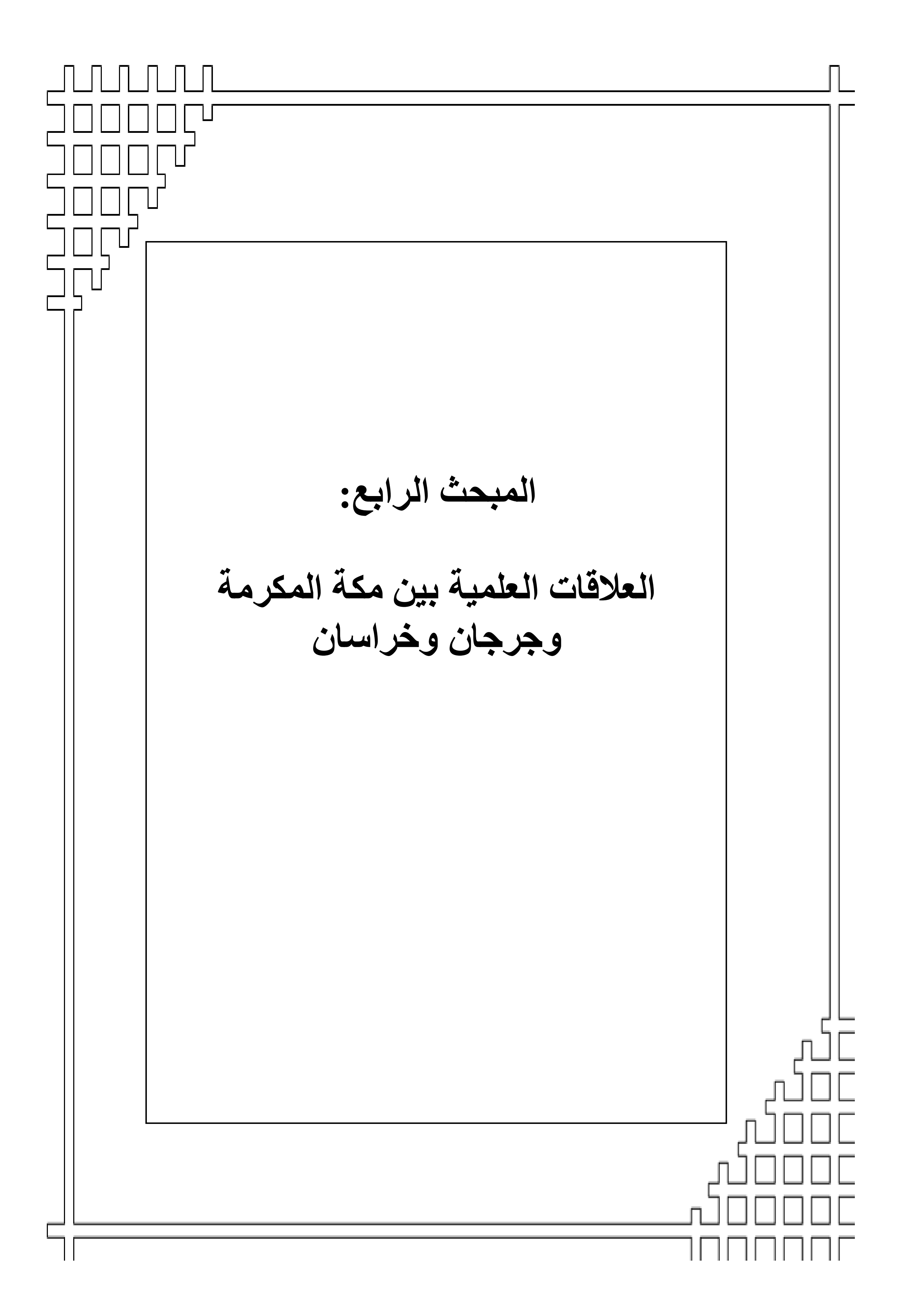
أما قرية مطهَّر فقد رحل منها إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السّروي المطهَّري المتوفى سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م الذي سمع ببلده، وجرجان، وبغداد، ومكة، حيث سمع بها من أبي العباس النسوي، وفوض لأبي إسحاق بعد عودته لسارية التدريس والفتوى والقضاء بها(٢).

---

١) قرية من أعمال سارية بطبرستان. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٥١.

٢) السمعاني: الأنساب ، ج٥، ص٣٢٨.



المبحث الرابع:

العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وجرجان وخراسان

ويعد إقليم جرجان أحد الأقاليم المشرقية التي بعثت أبناءها للتزود بزاد العلم من علماء مكة ونزلائها والوافدين إليها. ومن ابنائه الراحلين إلى مكة:

- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الخيمي المتوفى سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م، وهو جرجاني جاور بمكة سنين حتى وافته المنية بها(١).
- أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني المتوفى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م، وقيل: ٤٢٨هـ/١٠٣٧م الذي رحل لسماع الحديث إلى أصبهان، والري، وهمذان، والأهواز(٢)، وبغداد، والبصرة، والكوفة، وواسط، والشام، والحجاز، ومصر، فسمع من أبي الحسن الدارقطني(٣)، وأبي زُرعة أحمد بن الحسين(٤)، وغيرهما، وقد درس على يديه أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري(٥).
- أبو القاسم الفضل بن أحمد الجرجاني المتوفى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م الذي حدَّث بخراسان، والعراق، ومكة، فسمع من ابن محمش، وعبد الرحمن السراج، وروى عنه عبد الله الصاعدي الفراوي، وغيره(٦).

---

١) السهمي، حمزة بن يوسف بن إبراهيم: تاريخ جرجان، (بيروت: عالم الكتب، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٦٠-٢٦١.

٢) هي ناحية بين البصرة وفارس، ويقال لها خوزستان. انظر، القزويني: آثار البلاد، ص١٥٢.

٣) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني. ولد سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. سمع من أبي القاسم البغوي، ويحيى بن صاعد، وإسماعيل بن العباس الوراق. وقد حدَّث عنه أبو نعيم الأصبهاني، وأبو بكر البرقاني، والقاضي أبو الطيب الطبري. ومن مؤلفاته «السنن»، و «العلل»، وغير ذلك. توفي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. انظر، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص٤٨٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٤٩- ٤٦٠.

٤) هو أبو زرعة أحمد بن الحسين بن علي الرازي. سمع من عبد الرحمن بن أبي حاتم، وابن مخلد العطار، وعلي بن أحمد الفارسي. وروى عنه تمام الرازي، وأبو زرعة روح بن محمد. توفي سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٦.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٤٢٤.

٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٠-٤١.

دهستان(١):

ومن مدينة دهستان قدم إلى مكة المكرمة خلال فترة الدراسة:

- أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الدهستاني الرواسي المتوفى سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م رحل في طلب الحديث، فقدم مكة، فاثنى عليه الشيوخ، واحسنوا القول فيه، فقد كان كتَّابًا جوالاً دار الدنيا لطلب حديث رسول الله ﷺ، وقد روى عنه الخطيب البغدادي، والغزالي(٢).
- أبو جعفر المهدي بن إسماعيل الحسيني المرعشي الدهستاني المتوفى سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م الذي رحل في طلب العلم إلى خراسان، وما وراء النهر، والجبال، والعراق، والحجاز، فسمع من أبي يوسف عبد السلام القزويني(٣)، وإسماعيل بن مسعدة(٤).

أما بالنسبة للعلاقات العلمية بين مكة و**اقليم خراسان**، فقد لوحظ تدفق أعداد كبيرة من علماء وطلبة العلم الخراسانيين الذين قدموا لمكة من مختلف مدن خراسان، فمن:

مرو:

انفردت مدينة مرو عن غيرها من المدن بكثرة الطلاب الراحلين لمكة، ومن أبرز الطلابالوافدين إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو علي حسان بن سعيد المنيعي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م الذي رحل لسماع الحديث

---

١) تقع بالقرب من بحر قزوين. انظر، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٠.

٢) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٩٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣١٨؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٧٨٢.

٣) هو أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني. ولد سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م. سمع من أبي عمر بن مهدي، والقاضي عبد الجبار بن أحمد، وأبي نعيم الأصبهاني. وقد روى عنه أبو القاسم السمرقندي، وهبة الله بن طاووس، وإسماعيل بن محمد التيمي. ومن مؤلفاته «التفسير». انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦١٦-٦٢٠.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٧٢٠.

- هو أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل الجرجاني. ولد سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م. سمع من حمزة بن يوسف، وأحمد بن إسماعيل الرباطي. وقد روى عنه زاهر الشحامي، وأبو الكرم الشهرزوري، وأبو البدر الكرخي. توفي سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م. انظر،الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٦٤.

بخراسان، وأصبهان، والعراق، والحجاز، فسمع بمكة من أبي الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي البصري، وقد روى عنه أبو المظفر عبد المنعم القشيري(١).

- أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية المتوفاة سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، وقيل: ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م التي رحلت في طلب العلم مع أبيها، فسمعت من الكشميهني(٢)«صحيح البخاري»، ومن زاهر بن أحمد السرخسي، ثم قدمت مكة، فجاورت بها حتى وافتها المنية، وقد انتهى إليها علو الإسناد لـ «صحيح البخاري»، وكان منهجها في الرواية أن تقابل بأصلها، أي أن تقرأ النسخة التي لديها من «صحيح البخاري» على طالب العلم، ثم يقرأ هو بدوره النسخة التي لديه عليها، وقد درس على يديها كبار العلماء في عصرها أمثال: الخطيب البغدادي، وأبي الغنائم النرسي، وأبي المظفر السمعاني، وغيرهم(٣).
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن متويه المروالروذي المتوفى بعد سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م الذي سافر في طلب العلم إلى العراق، والشام، والحجاز، ومصر، فسمع من أبي عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، وأبي الحسين محمد بن الترجمان(٤)، ثم قفِل راجعًا إلى بلده، واشتغل بالتدريس هناك(٥).
- أبو المظفر منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م الذي رحل في طلب العلم إلى جرجان، والعراق، فسمع من أبي صالح المؤذن، ثم قدم إلى الحجاز

---

١) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٤٠٠.

٢) هو أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون المروزي الكشميهني. سمع من أبي عبد الله الفربري، وعبد الله بن محمد المروزي الداعوني، ومحمد بن أحمد بن عاصم. وروى عنه أبو ذر الهروي، وأبو عثمان سعيد البحيري، ومحمد بن أحمد الحفصي. توفي سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٩٢.

٣) انظر مصادر ترجمتها، ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢٢٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٣٣-٢٣٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٢٥؛ موقع الدكتورة رقية المحارب www.dr-roqaia.com

٤) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن علي بن الترجمان العزّي. سمع من أبي بكر محمد بن أحمد الجُنْدُري، وبكير بن محمد الطرسوسي، والحسن بن إسماعيل الضراب. وروى عنه القاضي أبو عبد الله القضاعي، وأحمد بن أسد، وسهل بن بشر الإسفراييني. توفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٠-٥١.

٥) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص١٩٤.

سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م، فسمع بمكة من أبي علي الحسن الشافعي(١)، وصحب أبا القاسم سعد الزنجاني، وسمع منه، ولأبي المظفر كتب كثيرة منها «الاصطلام»، و«منهاج أهل السنة »، و«القواطع»، و«الانتصار بالأثر»(٢).

- أبو الفتح عبد الرزاق بن حسان المنيعي المتوفى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م الذي عني بالرحلة في طلب العلم، فرحل إلى سرخس، ونيسابور، وهمدان، وبغداد، والكوفة، ثم قدم مكة ، فسمع من أبي علي الحسن الشافعي(٣).
- عبد الرحمن بن محمد الثابتي الخرقي المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م الذي تفقه على أبي سهل الأبيوردي(٤)، وأبي إسحاق الشيرازي، ثم حج، وجاور بمكة عامًا، وعُرف بمفتي الحرمين(٥).
- أبو نصر محمد بن عدنان اللوكري المتوفى سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م الذي سمع بمرو، وسرخس، ثم رحل إلى مكة، فسمع من أبي الفضل جعفر بن يحيى الحكاك(٦).
- أبو بكر محمد بن منصور السمعاني المروزي المتوفى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م الذي قدم إلى مكة، فسمع من أبي شاكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العثماني(٧).

---

١) هو أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن المكي الشافعي الحناط، نسبة لبيع الحنطة. شيخ ثقة، روى عن أحمد بن إبراهيم بن فراس، وعبيد الله السقطي. وروى عنه عبد المنعم ابن القشيري، ومحمد بن طاهر، وأحمد بن محمد العباسي، وطائفة من حجاج المغاربة، وغيرهم. توفي سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م، وقيل: ٤٧٤هـ/١٠٨١م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٤١؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٨٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٣١١.

٢) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١١٥-١١٩؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٧٩؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٦٦؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٥، ص٣٩٤.

٣) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٤٠٠-٤٠١.

٤) هو أبو سهل أحمد بن علي الأبيوردي. سمع من أبي بكر محمد الأودني، وأبي الفضل السليماني. وروى عنه محمد بن ثابت الخجندي. انظر، السبكي: المصدر السابق، ج٤، ص٤٤.

٥) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص٢٠٦.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص١٤٥.

٧) انظر مصادر ترجمته، المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ٣٧٢؛ السبكي: المصدر السابق، ج٤، ص٣؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٦، ص٤٨.

- أبـو المعـالي عبـد الله بـن أحمـد الحلـوائي المتـوفى سـنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م الـذي تفقـه علـى الخوافي(١)، ومنصور بن محمد السمعاني،ثم ذهب للحجاز، وأكثر من الحديث، ولما عاد سمع منه أبو سعد عبد الكريم السمعاني(٢).
- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن المنصور السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م الذي خرج من مرو في طلب العلم إلى مشارق الأرض ومغاربها، فسمع بخراسان، والجبال، والري، والعـراق، والشـام، والحجـاز، وغيرهـا مـن الـبلاد، وقـد صـنّف الكثـير مـن المصـنّفات منهـا «الأنساب»، و «الاملاء والاستملاء»، و«تاريخ مرو»، وغير ذلك(٣).
- محمـد بـن محمـد الكشـميهني المـروزي المتـوفى سـنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م الـذي سمـع ببغـداد، ونيسابور، والكوفة، وهمذان، ثم قدم مكة، وسمع من عتيق بن أحمد الأزدي(٤).

نيسابور:

أما نيسابور فوفد منها إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبـو سـعد عبـد الملـك بـن محمـد الخركوشـي النيسـابوري المتـوفى سـنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م الـذي رحل إلى الحجاز، وجاور بمكة المكرمة، وسمع من علمائها، وللخركوشي عدد من المصنّفات

---

١) هو أبو الجنَّاب أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الخيوقي. رحل في طلب العلم، فسمع من أبي طاهر السلفي، وعبد المنعم الصاعدي الفراوي، وأبي العلاء الهمذاني العطار. و روى عنه عبد العزيز بن هلالة، وناصر بن منصور العرضي، وسيف الدين الباخرزي. توفي سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١١١- ١١٣.

٢) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٢٤٩.

٣) انظر مصادر ترجمته، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٠٩- ٢١٠؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٠٨- ٦٠٩؛ صديق القنوجي: أبجد العلوم، ج٣، ص٩٧- ٩٨.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٨١-٨٢.

- هـو أبو بكـر عتيـق بـن أحمـد بـن عبـد الرحمن الأزدي الأندلسـي الأوريـولي. ولـد سـنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م. حج سـنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، ولقـي طـراد الـزينبي، فسـمع منـه وتفـرد بالروايـة عنـه في الأنـدلس، وحـج مـرة ثانيـة سـنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، فجاور بمكة، وسمع من أبي عبدالله الرازي، ورزين العبدري، وزاهر الشحامي، وغيرهم. روى عنه أبو طاهر السلفي، وأبو القاسم بن بشكوال، وغيرهما. توفى سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٣١.

منها «دلائل النبوة»، و«الزهد»، ثم رجع إلى خراسان(١).

- أبو بكر عبد الله بن محمد السُّكَّري النيسابوري المتوفى سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م الذي سمع بنيسابور، وبغداد، ومكة، وقد روى عنه أبو صالح المؤذن(٢).
- أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م الذي رحل إلى الآفاق في طلب العلم، وله مصنّف في السنة واعتقاد السلف، وقد استفاد منه طلبة العلم مثل أبي بكر أحمد البيهقي، وأبي عبد الله محمد الصاعدي الفراوي، وغيرهما(٣).
- أبو عثمان سعيد بن محمد البحيري النيسابوري المتوفى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م الذي سمع بنيسابور، ورحل في طلب العلم إلى سرخس، ومرو، وجرجان، وبغداد، والكوفة، ثم قدم مكة، فسمع من أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن رزيق البغدادي، وطائفة، وقد روى عنه أبو عبد الله الفراوي، وأبو المظفر بن القشيري(٤).
- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م الذي قدم مكة حاجًا برفقة أبو محمد الجويني(٥)، وأحمد بن الحسين البيهقي، وغيرهما، فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز، وصنّف «الفصول في الأصول»، و«التحبير في التذكير»، و«نحو القلوب»، وقد روى عنه ابنه عبد المنعم، وأبو عبد الله الصاعدي الفراوي(٦).

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٥٦-٢٥٧؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص٢٢٨-٢٢٩.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٢٥٣-٢٥٤.

٣) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٥٠٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٠-٤٣؛ الأسنوي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣.

٤) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج١، ص٢٩١-٢٩٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٠٣-١٠٤؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ١٨-١٩.

٥) هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، والد إمام الحرمين أبو المعالي. كان عارفًا بالفقه، والأصول، والنحو، والتفسير، والأدب. سمع من القفال المروزي، وابن محمش، وطائفة. وروى عنه ابنه إمام الحرمين، وعلي بن أحمد المديني، وغيرهما. له عدد من المؤلفات منها «الفروق»، و«التبصرة»، و«التذكرة»، وغيرها. توفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م. انظر، السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٠١-١٠٣.

٦) انظر مصادر ترجمته، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٠، ١٥٢؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٩٥-٩٦.

- أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري المؤذن المتوفى سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م محدثُ خراسان، الذي رحل إلى الجبال، وجرجان، والشام، ثم قدم إلى مكة، فسمع من أبي ذر الهروي، وقد حدَّث عنه أبو عبد الله الصاعدي الفراوي، وعبد المنعم القشيري(١).
- أبو منصور عبد الرحمن بن عبد الكريم القشيري المتوفى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م الذي خرج في طلب العلم إلى مرو، وسرخس، وهمذان، والري، وبغداد، فسمع من القاضي أبي الطيب، وأبي عبد الله محمد الشيرازي، ثم قدم إلى مكة سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وجاور بها إلى أن مات(٢).
- أبو نصر محمد بن محمد الرامشي المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م الذي سافر إلى العراق، والشام، والحجاز، ومصر، ثم قدم إلى مكة، وسمع من أبي الحسن محمد بن علي الأزدي، ثم عاد لنيسابور(٣).
- أبو الفتح سهل بن أحمد الأرغياني المتوفى سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م الذي خرج إلى الحج، فسمع في طريقه إلى مكة من علماء الجبال، والعراق، والحجاز، فسمع من أبي بكر البيهقي، وعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي(٤).
- أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري النيسابوري المتوفى سنة ٥١١هـ/١١١٧م، وقيل: سنة ٥١٢هـ/١١١٨م الذي رحل إلى العراق، والشام، والحجاز؛ لطلب العلم، ثم عاد إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين عبد الملك الجويني، وشرح كتاب «الإرشاد» لإمام الحرمين، وصنّف كتاب «الغنية»(٥).

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٦٢-١١٦٣؛ سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤١٩-٤٢١.

٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٢٢.

٣) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٨-٢٩.

٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٣٣- ٤٣٤.

- هو أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي. ولد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م. سمع من أبي القاسم القشيري، والفضل بن المحب، وإمام الحرمين عبد الملك الجويني. و روى عنه أبو سعد عبد الله الصفار. وله من المصنّفات كتاب «مجمع الغرائب»، وكتاب «السياق لتاريخ مرو»، وكتاب «المُفهم لشرح مسلم». توفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٦- ١٧.

٥) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٢- ٤٣.

- أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م الذي سمع من والده، و أبي عثمان سعيد البحيري، وأبي بكر البيهقي، وغيرهم، وقد استفاد بمكة من أبي علي الشافعي، وأبي القاسم الزنجاني(١).
- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد النيسابوري المتوفى سنة٥٤٩هـ/١١٥٤م الذي صحب الشيخ عبد الملك الطبري بمكة، ودرّس مختصر أبي محمد الجويني هناك، وعلق عنه جماعة بها(٢).

هراة:

ومن مدينة هراة رحل بعض أهل العلم إلى مكة المكرمة، ومن هؤلاء:

- أبو أسامة محمد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م الذي جاور بمكة، وكان يقرئ القرآن، ويملي الحديث، وقد روى عنه أبو بكر البيهقي، وأبو الغنائم النرسي(٣).
- أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م الذي جاور بمكة دهرًا، وصار من كبار شيوخ الحرم، واستفاد من علمه خلق كثير من طلبة العلم، مثل: ابنه أبي مكتوم عيسى، وأبي صالح أحمد المؤذن، والخطيب البغدادي، وقد صنّف أبو ذر عدة كتب منها«مسانيد الموطأ»، و«المناسك»، و«الربا»، وغيرها(٤).
- أبو عبد الله محمد بن علي العُميري الهروي المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م الذي رحل العلم إلى خراسان، والعراق، واليمن، ثم قدم مكة ، فسمع من محمد بن الحسين الصنعاني ، وقد

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٦٢٣-٦٢٤؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص١٢٣-١٢٤.

٢) انظر مصادر ترجمته، السبكي: المصدر السابق، ج٤، ص٩٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٣٦٣.

٣) انظرمصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٦٤-٣٦٥؛ تاريخ الإسلام، ج٩، ص٢٨٧.

٤) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٥٤- ٥٦٢؛ تاريخ الإسلام، ج٩، ص٥٤١-٥٤٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٣٩-٥٤٠.

تتلمذ على يديه أبو الوقت(١)، وأبو النضر الفامي(٢).

- أبو المعالي عبد الله بن عبد المعز الهروي المتوفى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م الذي سمع بهراة، وأصبهان، فدرس على أبي سعد عبد الكريم السمعاني، ثم رحل إلى مكة، فسمع من عبدالله بن محمد بن غزال(٣).
- أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار الهروي الفامي المتوفى سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م الذي قدم إلى مكة المكرمة للحج، فسمع من هبة الله بن علي البخاري، وأبي القاسم بن الحصين، وقد روى عنه ابن عساكر، وصنّف أبو النضر كتاب «تاريخ هراة»(٤).
- أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي الهروي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م الذي سمع بهراة، وبغداد، ثم انتقل إلى مكة، فجاور بها إلى أن توفي، وقد اشتغل بالتدريس بمكة، فسمع منه ابن الجوزي، وزاهر بن رستم الأصبهاني، و أبو سعد عبد الكريم السمعاني، وعدد كبير من طلبة العلم(٥).

---

١) هو أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي الهروي الماليني. ولد سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م. سمع من صاعد بن هبة الله، وحكيم الإسفراييني، ونصر بن أحمد الحنفي. وقد حدَّث بخراسان، والجبال، وكرمان، والعراق. وقد روى عنه ابن عساكر، وابن الجوزي، وزيد بن يحيى البيع. توفي سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٣٠٣- ٣١٠.

٢) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٦٩- ٧٠؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٦٣٦- ٦٣٧.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٨٠٧.

- هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن صدقة المصري، المعروف بابن الغزال. سمع بمصر من أبي عبد الله القضاعي، وعبد العزيز الضرَّاب، وأبي محمد المحاملي، وبدمشق من أبي القاسم الحنائي، وبمكة من كريمة المروزية. وجاور بمكة سنين عديدة حتى وفاته سنة ٥٢٤هـ. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٢٤٢-٢٤٣.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٢٩٧- ٢٩٨.

٥) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٦٠- ٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٧٣- ٢٧٥.

بيهق(١):

أما مدينة بيهق، فمن أبرز علمائها:

- أبو بكر أحمد بن الحسين الخسروجردي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م الذي قدم مكة، فسمع من أبي عبد الله بن نظيف، والحسن بن أحمد بن فراس، وصنّف البيهقي عدد كبير من الكتب منها «إثبات عذاب القبر»، و«الترغيب والترهيب»، و«الرؤية»، و«الاسماء والصفات»، وغير ذلك، وقد روى عنه أبو عبد الله محمد الصاعدي الفراوي، وعبد المنعم القشيري، وغيرهما(٢).

جوين(٣):

ومن مدينة جوين قدم إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو الحسن علي بن يوسف الجويني المعروف بشيخ الحجاز المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، وقيل: سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م الذي سمع بخراسان، ومصر، وقد روى عنه أبو عبد الله محمد الصاعدي الفراوي، وغيره(٤)
- أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م الذي جاور ببلاد

---

١) ناحية كبيرة، وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، وهي تضم ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين، وبين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخًا، وكانت قصبتها أولاً خسروجرد ثم اصبحت سابزوار، وتعرف مدينة بيهق الآن باسم سبزوار، وتقع في محافظة خراسان شمال شرق إيران. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٧؛ جاسم عباس: " سبزوار في خراسان مدينة الفقهاء.. والفواكه المجففة". (جريدة القبس، عدد ١٤١١٤، بتاريخ ٢٧شوال١٤٣٣هـ/١٤سبتمبر٢٠١٢م)، ص١٩.

٢) انظر مصادر ترجمته، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٧٥- ٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٦٣- ١٦٩؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٩٥؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٤٨-٣٥١؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٧٨.

٣) هي كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، وقصبتها أزاذوار. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٩٢.

٤) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٢، ص١٢٩؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٦٦؛ إسماعيل البغدادي: المرجع السابق، ج١، ص٦٩١.

الحرمين أربع سنوات يدرّس ويفتي، ولذا عُرف بإمام الحرمين، وأثناء مجاورته بمكة كان يجمع كتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب»(١).

من رحل من علماء مكة إلى خراسان:

- أبو سعد محمد بن الحرمي المتوفى سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م الذي سمع بمكة من أبي نصر السجزي، وعبد العزيز بن بندار الشيرازي، ثم رحل في طلب العلم إلى مصر، و بغداد، فسمع من أبي بكر الخطيب، ثم نزل هراة(٢).
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأسدي المتوفى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م الذي سافر إلى خراسان(٣).
- علي بن محمد الحجازي المتوفى سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م الذي كان مقيمًا في بيهق، وقد تتلمذ على يد عمر الخيام. وقد صنّف رسائل في الطب والمعالجات، وكتاب « مفاخر الأتراك »، وكتاب « الحكمة »(٤).

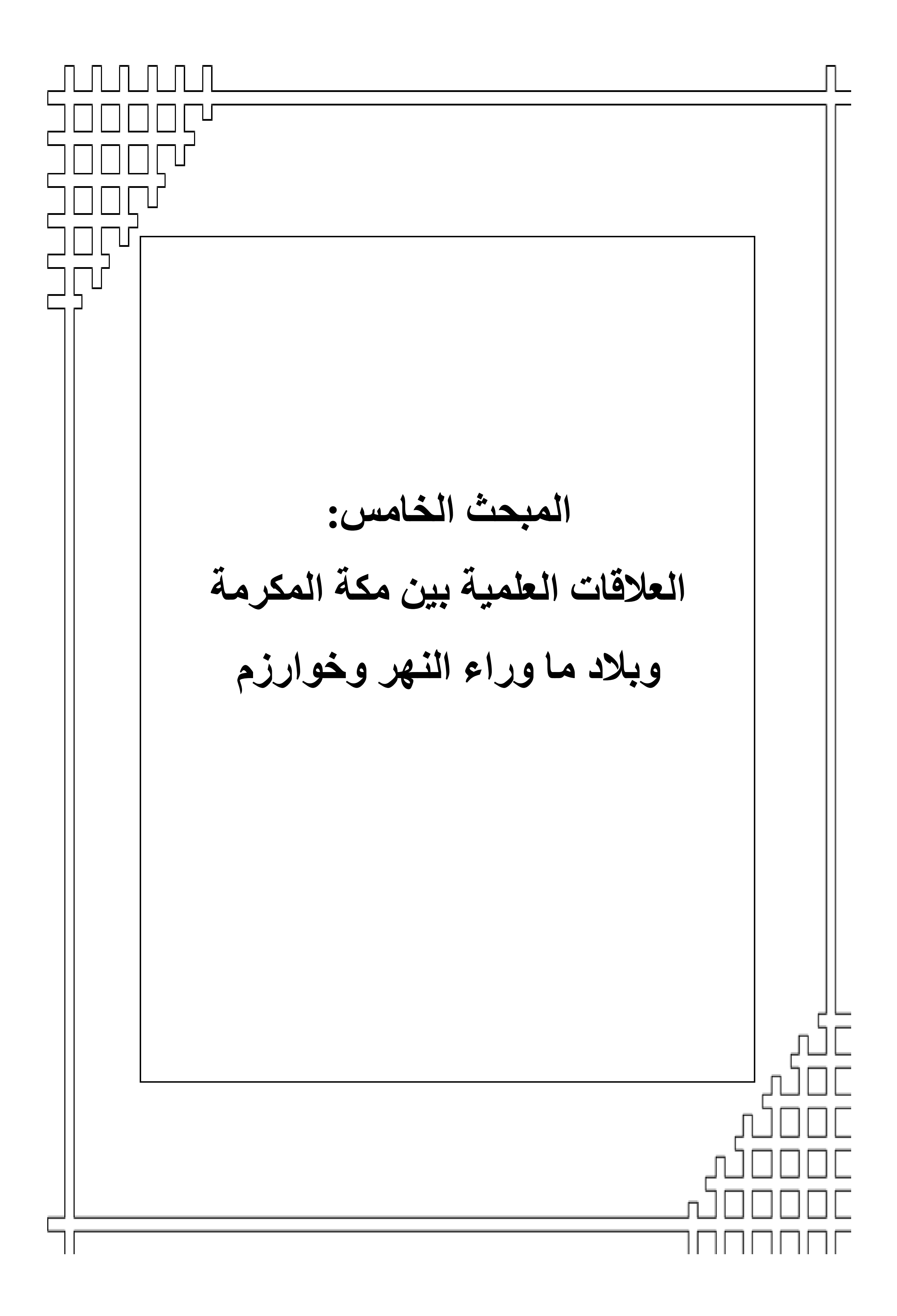
---

١) انظر مصادر ترجمته، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٧؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٩٧-٩٨.

٢) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٢٨؛ سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٠٢.

٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٧، ص١٠٥.

٤) انظر مصادر ترجمته، البيهقي، ظهير الدين: تاريخ حكماء الإسلام، عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، (دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)، ص١٣٩؛ باقر أمين الورد: معجم العلماء العرب، راجعه كوركيس عواد، (الجمهورية العراقية: اللجنة الوطنية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج١، ص١٩٤.



المبحث الخامس:

العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وبلاد ما وراء النهر وخوارزم

يعد إقليم ما وراء النهر أحد أقاليم المشرق الإسلامي التي أمدت مكة المكرمة بالعلماء وطلبة العلم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وقد كان لهؤلاء دور في استمرارية العلاقات العلمية بينهما. ومن أبرز المدن التي قدموا منها:

بخارى:

تعتبر مدينة بخارى في مقدمة مدن هذا الإقليم في هذا اللون من النشاط العلمي، فمن علمائها:

- أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد التميمي البخاري المتوفى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م الذي سمع ببلده، ثم رحل في طلب العلم إلى خراسان، والعراق، والشام، والحجاز، واليمن، ومصر، والقيروان، والأندلس، وقد سمع من هلال الحفار(١).
- أبو بكر محمد بن عمر البخاري الملقب بكاك المتوفى سنة٥٢٥هـ/١١٣١م الذي نشأ ببخارى، وطلب العلم هناك، ثم رحل إلى نسف(٢)، وسمرقند(٣)، ونيسابور، والري، وهمذان، وذلك في سبيل طلب العلم، فسمع من أبي الغنائم النرسي، وأبي علي محمد بن سعد بن نبهان(٤)، ثم قدم مكة، فجاور بها، وعقد فيها دروسه العلمية، فاستفاد منه طلبة العلم المكيين والوافدين إليها كأبي طاهر السلفي(٥).
- أبو محمد عبد العزيز بن عثمان الفضلي المعروف بالقاضي السيف المتوفى سنة ٥٣٣هـ /

---

١) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٥٧-٢٥٨؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص١٥٦-١٥٧؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٣٨.

٢) هي مدينة بين جيحون وسمرقند كثيرة الأهل والرستاق. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٥.

٣) هي قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه، ويقال إنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر. انظر، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٦-٢٤٧.

٤) هو أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن سعيد بن نبهان البغدادي الكرخي. ولد سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م. سمع من أبي علي بن شاذان، وابن دوما النعالي. و روى عنه أبو طاهر السلفي، وعبد المنعم بن كُليب، ومحمد بن جعفر بن عقيل. توفي سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٥٦- ٢٥٧.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٢٦- ٢٢٧؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص٣٨٨.

١١٣٩م الذي سمع ببخارى، وبغداد، ثم قدم مكة فسمع من رزين بن معاوية بن عمار المالكي(١).

وهذا الأمر لم يقتصر على مدينة بخارى فحسب، بل حتى قراها أسهمت في تخرّيج حملة العلم الذين أسهموا كذلك في العلاقات العلمية بين مكة وإقليم ما وراء النهر، فمن:

خداباذ(٢):

ارتحل من خداباذ إلى مكة المكرمة خلال فترة الدراسة:

- أبو محمد إبراهيم بن حمزة الخداباذي البخاري المتوفى سنة ٥٠٦هـ/١١١٣م، وابنه أبو المكارم حمزة لأداء فريضة الحج سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، وجاورا بمكة، وسمعا من أبي محمد عبدالملك بن بتنة الأنصاري(٣)، وتوفي أبو محمد بالمدينة المنورة، وعاد ابنه أبو المكارم إلى بخارى، فسمع منه أبو سعد عبد الكريم السمعاني(٤).

بَرَّانُ(٥):

أما قرية بَرَّانُ فقدم منها:

- أبو المعالي سهل بن محمود البراني البخاري المتوفى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، وقيل: ٥٢٤هـ/١١٣٠م الذي خرج إلى الحج، فوصل مكة بعد الوقفة، فجاور بها حتى موسم الحج التالي، وقد سمع منه أبو المكارم حمزة الخداباذي(٦).

---

١) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٣٩٠.

٢) هي قرية من قرى بخارى على خمسة فراسخ منها أي تبعد عنها ٢٧ كم تقريبًا على طرف البرية، وهي من أمهات القرى. انظر، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٩؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٨.

٣) أبو محمد عبد الملك بن الحسن بن بتنة الأنصاري، شيخ صالح، جاور بمكة، فسمع من أبي القاسم علي الفسوي، وعبد العزيز بن بندار الشيرازي، وأبي بكر الأردستاني، وطائفة. توفى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م تقريبًا. انظر، الذهبي: تاريخالإسلام، ج١٠، ص٨٤٤.

٤) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٣٢٩؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٢٠٠-٢٠١.

٥) من قرى بخارى، ويقال لها فوران، على خمسة فراسخ أي تقريبًا ٢٧ كم من بخارى. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٦٧.

٦) انظر مصادر ترجمته، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٤٠٠-٤٠١؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص٦٣.

كذلك رحل العلماء إلى مكة المكرمة من قرى نسف، فمن:

غوبدين(١):

رحل من غوبدين إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو نعيم الحسين بن محمد الغوبديني المتوفى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م الذي رحل إلى خراسان، والعراق، والحجاز، وأدرك الشيوخ، فسمع من أبي طاهر المُخلص(٢).

استغداديزة(٣):

أما قرية استغداديزة فقد قدم منها إلى مكة:

- أبو محمد عبد العزيز بن محمد الأستغداديزي المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، وقيل: ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م الذي رحل في طلب العلم إلى ما وراء النهر، وخراسان، والجبال، وفارس، والعراق، والشام، ومصر، ثم قدم إلى مكة المكرمة، فسمع من أبي الحسن محمد بن صخر الأزدي، وقد روى عنه أبو الحسين المبارك الطيوري(٤).

خجندة(٥):

وقدم إلى مكة من مدينة خجندة خلال فترة الدراسة:

- أبو حفص عمر بن هارون الخجندي الذي سمع من أبي محمد عبد الملك بن بتنة الأنصاري، وقد كتب عنه أبو سعد عبد الكريم السمعاني(٦).

---

١) هي قرية من قرى نسف على فرسخين منها أي تبعد عنها ١١ كم. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٣١٧.

٢) المصدر السابق، ج٤، ص٣١٧.

٣) هي إحدى قرى نسف على أربعة فراسخ منها أي تبعد عنها ٢٢ كم بما وراء النهر. انظر، المصدر السابق، ج١، ص١٣٣؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٧٥.

٤) السمعاني: الأنساب، ج١، ص١٣٣-١٣٤.

٥) هي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقًا. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٧.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٣٢٧-٣٢٨.

الشاش(١):

ومن قدم إلى مكة من مدينة الشاش خلال فترة الدراسة:

- أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي المتوفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م الذي سمع من أبي عبد الله محمد الكازروني، و أبي بكر الخطيب، ثم رحل إلى مكة، فالتقى هياج الحطيني، فسمع منه، وقد صنّف كتاب « حلية العلماء »، وسماه «المستظهري »(٢).

كاسان(٣):

قدم من مدينة كاسان إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو نصر أحمد بن إسماعيل الكاساني المتوفى سنة ٥١١هـ/١١١٧م الذي أخذ عن جماعة من الأعيان بسمرقند، وخراسان، والعراق، والحجاز(٤).

ويعد **إقليم خوارزم**(٥) أحد الأقاليم التي ارتحل علماؤها وطلابها لتحصيل العلم، فمن:

زمخشر(٦):

قدم منها إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م الذي رحل

---

١) هي مدينة جليلة وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك. وهي من عمل سمرقند، وتعرف الآن باسم طاشكند. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٨؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٣٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٣٥.

٢) انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٩١.

٣) مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون وراء الشاش. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٣٠.

٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص٥٠.

٥) هو إقليم واسع منقطع عن خراسان، وعن ما وراء النهر. ويقع على حافتي نهر جيحون. وتحيط به المفاوز من كل جهة، وحدُّه يتصل بحدود الغزية مما يلي الشمال والغرب، ومن الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر. انظر، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩٥؛ الحميري: المصدر السابق، ص٢٢٥.

٦) هي قرية من قرى خوارزم كبيرة مثل بليدة. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٣، ص١٦٣.

إلى مكة في شبيبته ليقرأ كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة الأندلسي(١) المتوفى سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩مالذي – بدوره – اشتهر بتدريسه هذا الكتاب في المسجد الحرام، ومن ثم حط الزمخشري عصا الترحال في مكة مدة من الزمان، ولذا عُرف بجار الله، فكان هذا الاسم علمًا عليه، واثناء مجاورته اشتغل بالتدريس والتصنيف(٢).

كركانج(٣):

وقدم إلى مكة المكرمة من مدينة كركانج خلال فترة الدراسة:

- أبو نصر محمد بن أحمد الكركانجي المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م الذي رحل إلى الآفاق لطلب العلم، فرحل للعراق، والجزيرة، والشام، والحجاز، ومصر، وقد صنّف أبو نصر تصانيف كثيرة، ككتاب «المعول»، وكتاب «التذكرة»(٤).

---

١) هو أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله الأندلسي. من أهل يابرة، نزل إشبيلية. وكان عارفًا بالنحو والأصول والفقه. سمع من أبي الوليد الباجي، وعاصم بن أيوب، وأبي عبد الله بن مزاحم، وغيرهم. ورحل إلى المشرق، فاستوطن مصر وقِنا، ثم رحل لمكة، فجاور بها حتى توفى سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م. ومن تصانيفه: في شرح صدر«رسالة» ابن أبي زيد، وكتاب « المِدْخَلَ » إلى كتاب آخر، سماه « سيف الإسلام» على مذهب مالك. روى عنه أبو المظفر الشيباني، وأبو محمد العثماني، وغيرهما. انظر، ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)، ج٢، ص٨١٥-٨١٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص١٨٢-١٨٣.

٢) انظر مصادر ترجمته، ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ج٤، ص٣٧١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٩؛ ؛ السيوطي: تُحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب، تحقيق حسن الملخ، وسهى نعجة، (إربد: عالم الكتب الحديث، ط١٤٢٦،١هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص٣٧٨- ٣٩٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص١٩٦؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٨٩-٩٠؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٦٣.

٣) قصبة بلاد خوارزم، ومدينتها العظمى، وقد عُربت فقيل: الجرجانية، وأما أهل خوارزم فيسمونها كركانج. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥٢.

٤) انظر مصادر ترجمته، الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠؛ محمد محيسن: معجم حفاظ القرآن، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٤، ٤٢٦.

فـراوة(١):

أما فـراوة فـوفـد منها إلى مكـة خلال فترة الدراسة:

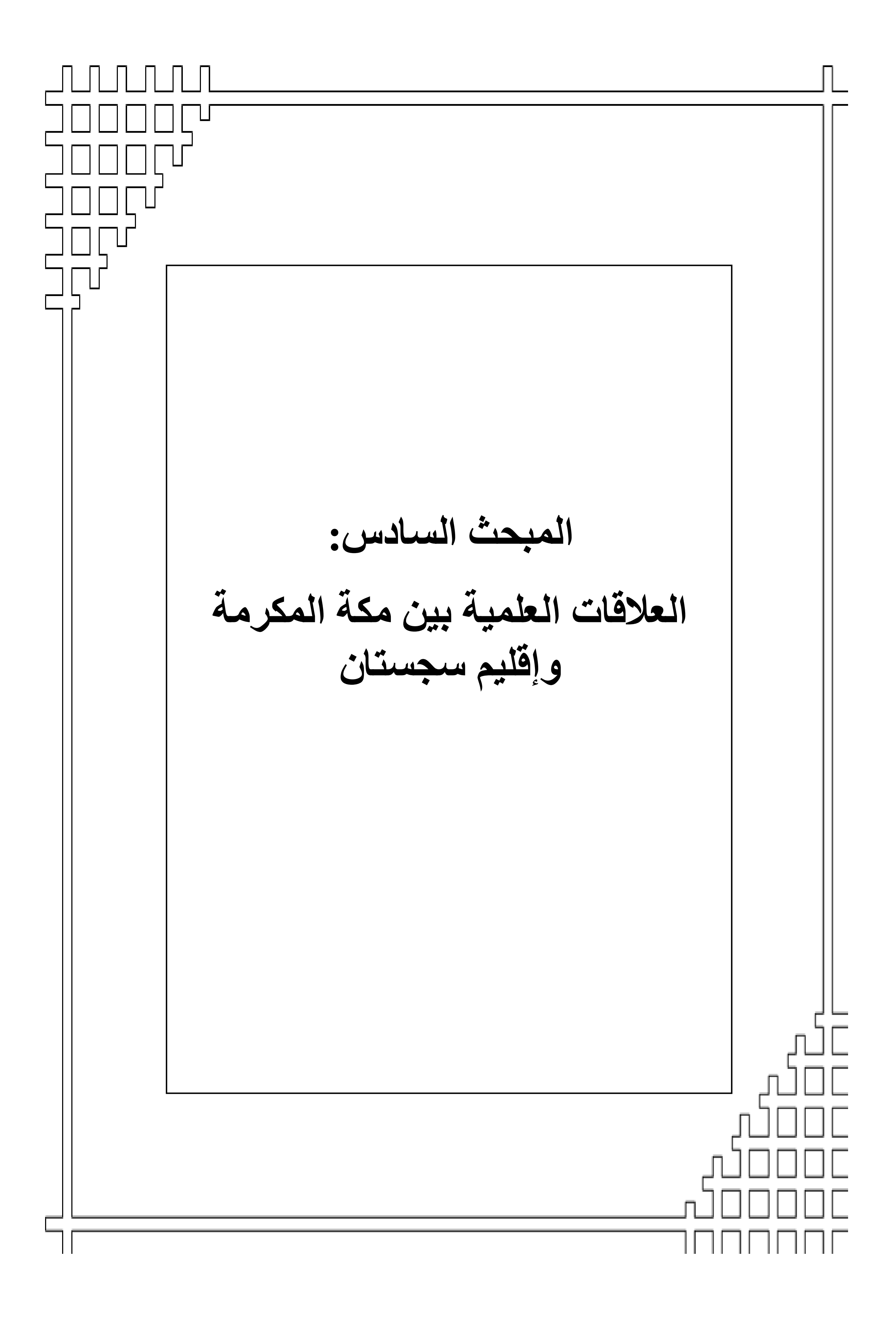
- أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الـفـراوي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م الذي سمع من عبد الغافر الفارسي، وأبي بكر البيهقي، وأبي القاسم القشيري، ثم وفد إلى مكة المكرمة حاجًا، فعمل على نشر العلم بالحرم المكي، وقد روى عنه أبو سعد عبد الكريم السمعاني، و ابن عساكر، وغيرهما(٢).
- أبو المعالي عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله الصاعدي الفراوي النيسابوري المتوفى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م الذي سمع من جده محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي، وعبد الرحيم القشيري، ثم قدم إلى مكة المكرمة للحج، فحدَّث بها(٣).

---

١) هي بليدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٥.

٢) انظر مصادر ترجمته، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٩٠- ٢٩١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٥١٢-٥١٣؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٤٩-٥٥٠.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٨٣٥-٨٣٦.



المبحث السادس:

العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم سجستان

لقد شهدت مكة المكرمة في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين تواصل قدوم العلماء وطلبة العلم السجستانيين(١)، رغم قلتهم عمن سبق الحديث عنهم من علماء الأقاليم سالفة الذكر، فمن أبرز العلماء السجستانيين القادمين إلى مكة:

- أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي السجزي المتوفى سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م الذي رحل إلى مكة حاجًا، فسمع من أبي الحسن بن فراس، وسكن مكة، وحدَّث بها، واستفاد منه طلبة العلم المكيين والوافدين إليها، حيث كان بصيرًا بالحديث، واسع الرواية، فسمع منه أبو الفضل جعفر بن يحيى الحكاك(٢).
- أبو مسعود مسعود بن ناصر السجزي الركاب الذي رحل إلى خراسان، والجبال، والعراق، والحجاز، وقد ذكر السمعاني أنه توفي " سنة... وسبعين وأربعمائة هجرية "(٣).
- أبو عروبة عبد الهادي بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م الذي قدم مكة حاجًا، فسمع « المسند » من ابن الحصين، وكذلك قرأ عليه ابن ناصر «مسلسلات أبي حاتم ابن حبان »(٤).
- أبو عبد الله محمد بن أحمد السجزي المعروف بجوبكار الذي كان حيًا سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م، وجاور بمكة، وحدَّث بها(٥).

---

١) نسبة إلى سجستان، وسجستان ناحية كبيرة و ولاية واسعة، يقع حول بحيرة زره، وفي شرقها، ويدخل فيه دلتا نهر هيلمند، وهو في جنوب خراسان. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٩٠؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٧٢.

٢) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٣٠٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص١٩٤.

٣) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٢٦.

- ولعله يكون أبو سعيد مسعود بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل السجزي المتوفى سنة ٤٧٨هـ الذي رحل في طلب الحديث، وسمع الكثير، وجمع الكتب النفيسة. انظر، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٢، ص٢٠٢.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٢٧٧-٢٧٨.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٢٩٠.

- أبو بكر بن أبي الفتح بن عمر السجستاني الذي كان حيًا سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وطلب العلم على عدد من العلماء، فسمع من مبارك ابن الطباخ كتاب « تاريخ مكة للأزرقي »، وحدَّث به بمكة(١).

غزنة:

ومن أبرز المدن السجستانية التي قدم منها العلماء إلى مكة مدينة غزنة، فقدم منها:

- أبو بكر أحمد بن إسماعيل الغزنوي الجوهري الذي عاش إلى ما بعد سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م الذي سافر إلى خراسان، والعراق، والحجاز، وسمع من أبي القاسم القشيري(٢).
- زليخا بنت إلياس بن فارس الغزنوية أم أحمد التي جاورت عدة سنين بمكة، فسمعت من أبي معشر الطبري، وسعد الزنجاني، وهياج بن عبيد، وطائفة من شيوخ مكة، واشتغلت بالوعظ، ثم رحلت إلى ساوة(٣).

بست(٤):

ومن بست قدم إلى مكة خلال فترة الدراسة:

- أبو رجاء صالح بن أحمد بن يوسف البُستي المتوفى بعد سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م الذي جاور بمكة مدة، وحدَّث هناك عن أبي المستعين محمد بن أحمد البُستي، وطاهر بن العباس المروزي، وأبي ذر الهروي، وسمع منه عمر الرواسي، وغيره(٥).

---

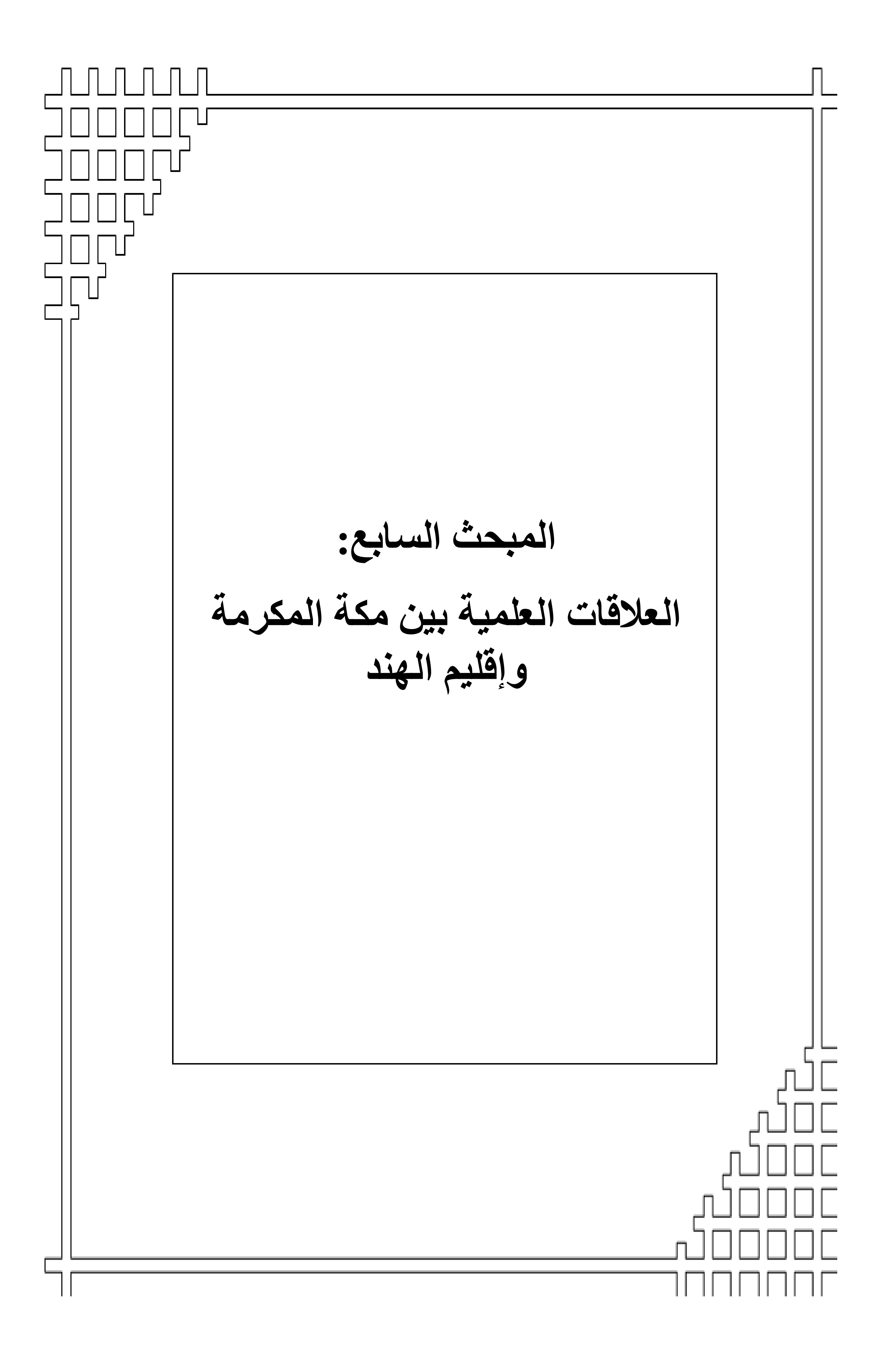
١) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص١٨.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٥١٨.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص٢٣٧.

٤) مدينة بين سجستان وغزنة وهراة، وهي من أعمال كابُل، وليس في أعمال سجستان بعد زرنج أكبر منها. انظر، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٥٣؛ السمعاني: الأنساب، ج١، ص٣٤٨؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤١٤.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٤٤١.



المبحث السابع:

العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم الهند

لم تكن العلاقات العلمية بين مكة المكرمة وإقليم الهند واضحة المعالم، فللأسف لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات عن تلك العلاقات خلال فترة الدراسة، وما ذكرته لا يتعدى إشارات حول قدوم بعض علماء الهند إلى مكة، وهم قلة، ويعود السبب في ذلك إلى أن أكثر المدن الهندية كانت حديثة العهد بالإسلام، وبعضها الآخر لم يفتحها المسلمون بعد(١).فهذا:

- أبو داود سِيُويَه بن إسماعيل القزداري المتوفى سنة نَيِّف وأربعمائة أو بعدها سمع من أبي الفتح رجاء الأصبهاني(٢)، وأبي الحسين يحيى الحكاك، وغيرهم، ثم رحل إلى مكة، وجاور بها، وحدَّث هناك، وقد روى عنه أبو الفتيان عمر الرواسي(٣).
- أبو محمد بختيار بن عبد الله الهندي الفصَّاد المتوفى سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م هو عتيق الإمام محمد بن منصور التميمي السمعاني، وسمع ببغداد من أبي محمد السراج، وأبي الحسين المبارك بن الطيوري، وبهمذان، وبأصبهان، و قد روى عنه أبو سعد عبد الكريم السمعاني، ثم رحل إلى الحجاز مع سيده، وسمع الحديث الكثير(٤).
- أبو الحسن بختيار بن عبد الله الهندي الصوفي الذي رحل إلى بغداد، والبصرة، وأصبهان، والحجاز، وهراة، وقد سمع منه أبو سعد عبد الكريم السمعاني بفوشنج، وهراة(٥).

---

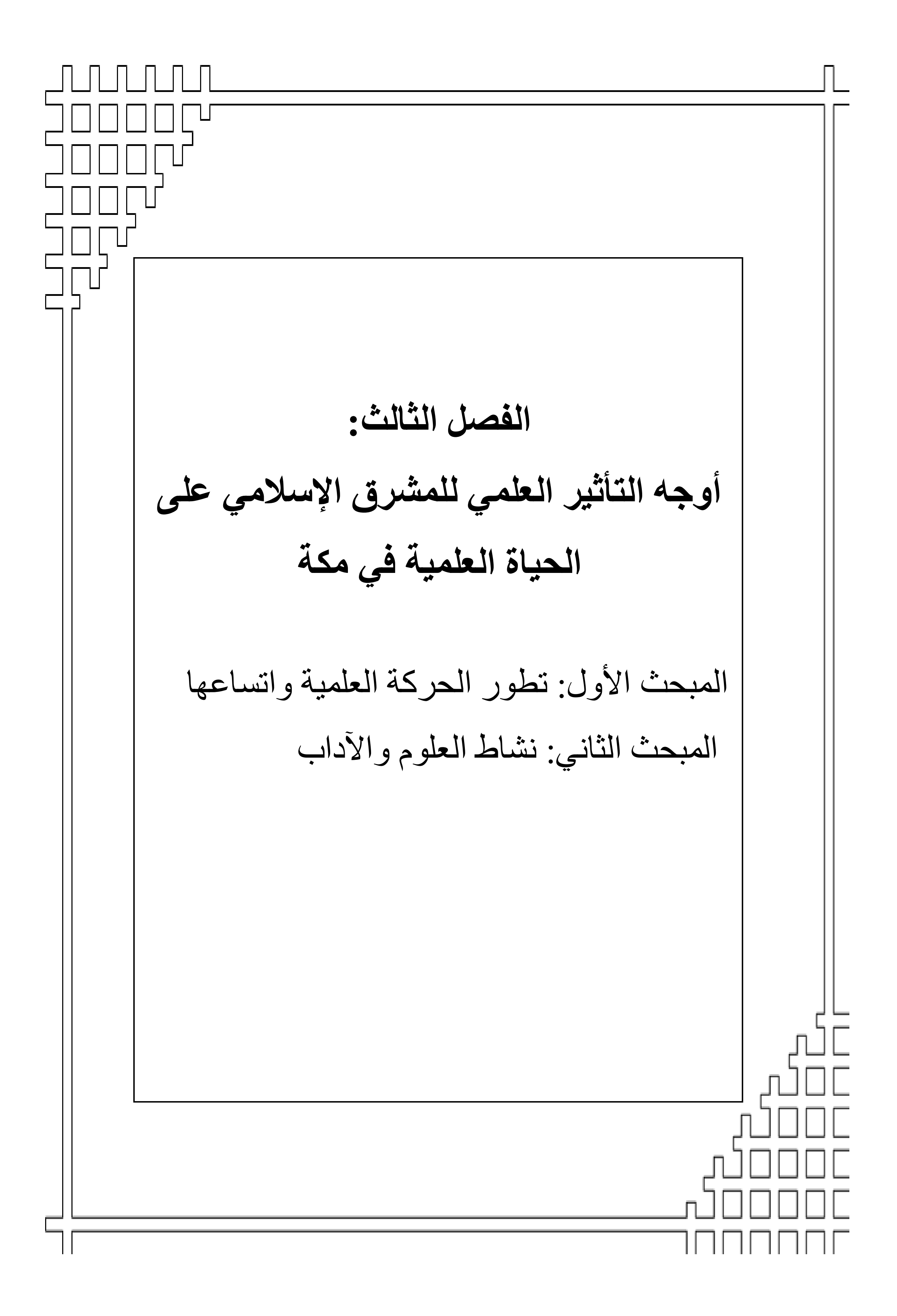
١) للمزيد عن فتوحات المسلمين في الهند انظر، عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، (القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)، ص٨١-١٠٣؛ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، (القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م)، ص٤٧-٨٩؛ حازم محفوظ: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص١٤-٣٢.

٢) هو أبو الفتح رجاء بن عبد الواحد بن يوسف الأصبهاني المعروف بالرازي. سمع من أبي بكر محمد بن أحمد، وأبي منصور العطار، وأبي عبد الله محمد اليزدي. وروى عنه عبد العزيز الكتاني، وعلي الخضر، ونجاء بن أحمد العطار. انظر، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٨، ص١٢٦.

٣) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص٤٩٣.

٤) المصدر السابق، ج٥، ص٦٥٤.

٥) انظر مصادر ترجمته، السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٦٥٣-٦٥٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٧٧٨.



الفصل الثالث:

أوجه التأثير العلمي للمشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة

المبحث الأول: تطور الحركة العلمية واتساعها

المبحث الثاني: نشاط العلوم والآداب



المبحث الأول:

تطور الحركة العلمية واتساعها

المطلب الأول: نهضة التعليم وتعدد مراكزه

المطلب الثاني: الإجازات العلمية

المطلب الثالث: المكتبات والوراقون

المطلب الرابع: الأسر العلمية

المطلب الأول: نهضة التعليم وتعدد مراكزه:

تعددت المراكز التي لعبت دورًا كبيرًا في الحياة العلمية والثقافية في مكة المكرمة، حيث قامت هذه المراكز العلمية بدور فعال في تطور الأمة الإسلامية فكريًا وحضاريًا، وهذه المراكز هي:

– الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أولى محاور العلم والتعلم، حيث كانت تؤدي دورًا بارزًا في تنشئة وتثقيف الصغار وتعليمهم، وقد انتشرت الكتاتيب بنوعيها في المجتمعات الإسلامية، فكانت هناك كتاتيب اختصت بتعليم القراءة والكتابة، وأخرى كان اختصاصها تعليم القرآن الكريم والعناية بتحفيظه للصغار ومبادئ الدين الإسلامي(١). وكان هذا النوع الأخير من الكتاتيب ملحق بالمساجد(٢)، بالرغم من كثرة التحذيرات في عدم إلحاقه بالمسجد، فقد ورد عن الإمام مالك بن أنس(٣) حين سئل عن تعليم الصبيان في المسجد قال: " لا أرى ذلك يجوز، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة. ولم ينصب المسجد للتعليم(٤) ".

والواقع أن الكتاتيب لعبت دورًا أساسيًا في تعليم القرآن الكريم – الذي كان نقطة الارتكاز في هذه المرحلة –، وتبعته بعض المواد الأخرى، كالحساب، والشعر، وعلوم العربية، وإعراب القرآن، والخط الحسن(٥). وأضاف إليها الغزالي أحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار

---

١) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٧٨م)، ص٤٦.

٢) عبد الرحمن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٥٥؛ إبراهيم المشيقح: تاريخ أم القرى، ص٤٦.

٣) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني. إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأعلام. ولد سنة٩٣هـ/٧١٢م، وقيل:٩٥هـ/٧١٤م. وقد قيل عنه: لم يكن بالمدينة عالمٌ من بعد التابعين يُشبه مالكًا في العلم، والفقه، والحفظ. ومن أشهر مؤلفاته«الموطأ»، وله مؤلف في النجوم ومنازل القمر، وكتاب «السّر». توفي سنة١٧٩هـ/٧٩٥م.انظر، ابن خلكان:وفيات الأعيان،ج٤،ص١٣٥-١٣٧؛الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج٨،ص٤٨-٨٩.

٤) ابن سحنون، محمد بن عبد السلام: كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمد عبد المولى، (الجزائر: مطبعة الرأي الجديد، ١٩٦٩م)، ص٨٧.

٥) ابن سحنون: المصدر السابق، ص٨٢؛ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي: قانون التأويل، دراسة وتحقيق محمد السليماني،(جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٤١٦؛ أحمد شلبي: المرجع السابق، ص٥٥.

وأحوالهم(١).

أما عن سن دخول الصبيان إلى الكتاتيب فيبدو أن الآباء كانوا يدفعون بأبنائهم إلى الكتاتيب، أو يتخذون معلمين لابنائهم في سن السادسة أو السابعة، وقد يزيد أو يقل، وربما لم يذهب بعضهم إلى الكُتَّاب إلا بعد العاشرة وذلك حسب ظروف الأهل، و مع هذا يجب مراعاة الاستعداد العقلي للطفل والقدرة على التعلم(٢).

وكان من المعتاد أن تعقد الكتاتيب من الصباح حتى منتصف النهار، فيعود الصبي إلى منزله للغداء والراحة، ثم يرجع مرة أخرى للكُتاب ليكمل دراسته، فيبقى هناك حتى بعد العصر بقليل، ثم ينصرف لمنزله(٣). وقد علل الغزالي ذلك بقوله : " وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائمًا يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا(٤) ".

وخير دليل على وجود الكتاتيب في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة ما شاهده ابن جبير اثناء رحلته أنه عندما يختم أحد ابناء مكة القرآن الكريم يقام احتفالاً له(٥).

ولم تجد الباحثة – في فترة الدراسة – أيًا من العلماء المشارقة يُعلمون في الكتاتيب بمكة المكرمة، حيث لم تشر المصادر التي اطلعت عليها إلى ذلك، ولكن هذا لا يعني عدم مزاولتهم هذا الأمر، فقد وجدت إشارات تشير إلى ذلك حيث أن شميلة بن محمد الحسني المكي المتوفى سنة٥٤٠هـ/١١٤٥م قد سمع من كريمة المروزية «صحيح البخاري»، وهو ابن أربع سنين(٦)، وعبد الكافي بن محمد السلاوي المتوفى سنة٦٣٥هـ/١٢٣٧م قد سمع من شيوخ الحرم في صغره(٧)، و كان عمره حين وفاته قد جاوز الثمانين عامًا ، ولا نستبعد أن يكون أحد هؤلاء

---

١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين،(بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)،ج٣، ص٩٦.

٢) ابن العربي: قانون التأويل، ص٤١٣؛ إبراهيم علي العكش: التربية والتعليم في الأندلس، (عمّان: دار الفيحاء، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص١٦٤.

٣) ابن العربي: المصدر السابق، ص٤١٩؛ علي الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص٢٢٩.

٤) الغزالي: المصدر السابق، ج٣، ص٩٧.

٥) انظر الفصل الأول، ص٩٥ .

٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص١٧.

٧) المصدر السابق، ج٥، ٤٧٣.

الشيوخ من علماء المشرق الإسلامي.

– المساجد:

يُعد المسجد أول مكان للتعليم في الإسلام على الإطلاق، ولذا فإن دراسته في أي منطقة من العالم الإسلامي هي دراسة المكان الرئيسي للحياة العلمية، وخاصة في الفترات التي سبقت نشأة المدارس وانتشارها في العالم الإسلامي(١). فالمسجد هو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم، وهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين يوميًا، ومحل تشاورهم وتناصحهم، والمنتدى الذي فيه يتعارفون ويتآلفون وعلى الخير يتعاونون، ومنه تخرج العلماء والفقهاء والمحدثون والقراء والمفسرون وغيرهم من العلماء(٢).

وبذلك يعتبر المسجد بمثابة جامعة كبيرة مفتوحة لكل راغب في العلم، فقد كان التعليم حرًا طليقًا غير مقيد بدوام معين، ولا تفرض مادة بعينها للدرس، مما يتيح لطالب العلم التنقل من حلقة لأخرى إلى أن يستقر في الحلقة التي تتلاءم مع ميوله واستعداده(٣). وينقسم طلاب العلم إلى قسمين: طلاب متفرغون للعلم، فلا ينقطعون عن الدرس إلا بعد إتمام المنهج والحصول على إجازة من المدرس المختص، وهؤلاء هم فئة العلماء الذين كان لهم دور بارز في الحركة التعليمية الإسلامية. والقسم الآخر هم الطلاب المستمعون الذين تشغلهم أعمالهم، ولا يتفرغون للعلم، فتعقد لهم حلقات خاصة عادة تكون بين صلاة المغرب والعشاء، وذلك بعد فراغهم من أعمالهم التي يزاولونها طيلة النهار، دون التقيد بمنهج معين، وإنما الاقتصار على تعليمهم أمور دينهم ودنياهم(٤).

ومن أهم المساجد الذي اشتهر بحلقاته العلمية، وأدى رسالته التعليمية على أكمل وجه في مكة المكرمة المسجد الحرام، فتضم حلقاته العلمية التي تعقد يوميًا الجميع بلا تفرقة بين غني أو

---

١) إبراهيم بن محمد الحمد المزيني: الحياة العلمية في العهد الزنكي، (الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١٠٨.

٢) خير الدين وائلي: المسجد في الإسلام، (الكويت: الدار السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ص٥.

٣) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص٢٥٣؛ إبراهيم المزيني: المرجع السابق، ص١١٠؛ وفاء المزروع: إسهام الرحّالة والمجاورين، ص٨٤.

٤) إبراهيم المزيني: المرجع السابق، ص١١٠؛ منيرة عبد الملك بن دهيش: دور المسجد في القرن الأول الهجري في الحجاز والشام دراسة تاريخية حضارية، (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، ص١٨٢.

فقير صغير أو كبير، وكانت هذه الحلقات تدور فيها العلوم الدينية من قراءات، وتفسير القرآنالكريم، والحديث الشريف، والفقه، والعلوم العربية(١). ويتصدر الشيوخ هذه الحلقات وحولهم طلبة العلم يسمعونهم ويناقشونهم وينهلون من علمهم وفقههم(٢). وقد وصف ابن جبير الذي قدم مكة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي هذه الحلقات العلمية بقوله: " والحرم مُحدقٌ بحلقات المدرّسين وأهل العلم "(٣). وكانت هذه الحلقات تزداد كثرة في موسم الحج، وفي شهر رمضان المبارك حيث يكثر زوار بيت الله الحرام في هذين الموسمين(٤).

وكانت هذه الحلقات تعقد إما بالقرب من أحد أبواب المسجد الحرام مثل باب شيبة، وباب الصفا أو داخل المسجد(٥) حيث ذكر الفاسي أن أحمد بن علي القيسي(٦) المتوفى سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م قد درس على يديه كثير من العلماء في قبة الشراب داخل المسجد الحرام(٧).

---

١) محمد الشامخ: التعليم في مكة المكرمة والمدينة، ص١١؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٨٧.

٢) خير الدين وائلي: المسجد في الإسلام، ص١٦٦-١٦٧؛ عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص٢٥٤؛ وفاء المزروع: إسهام الرحّالة والمجاورين، ص٨٤-٨٥.

٣) ابن جبير: الرحلة، ص٦٨.

٤) عبد العزيز اللميلم: رسالة المسجد، ص١٦٧؛ مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة، ص٢٥١.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٧،ص١٨٠؛ وفاء المزروع: المرجع السابق، ص٨٨.

٦) هو أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني المصري. ولد سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م بمصر. فسمع بمصر من خاله القاضي المرتضى القسطلاني، والفقيه أبي منصور المالكي، وغيرها، وبمكة من جوبكار السجزي، ويونس بن يحيى الهاشمي، وزاهر بن رستم، وأبي الفتوح الحصري، وجماعة. وسمع منه ابن الحاجب الأميني. انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٠٥.

٧) المصدر السابق، ج٣، ص١٠٥، ١٠٧.

- وقبة الشراب هي بإزاء قبة زمزم يسقي منها الناس في رمضان، ويجري إليها الماء في قناة تحت الأرض من قبة زمزم، فيجعل ماء زمزم في قلال يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وتترك بها ليبرد فيها الماء، فيشربه الناس، وبإزائها بيت صغير هو مخزن الكعبة، وليس في المسجد بنية سوى هذه الثلاث. انظر، ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٥٩؛ حمد الجاسر: في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج، (مجلة العرب، السنة العاشرة، الربيعان ١٣٩٦هـ/ مارس- أبريل ١٩٧٦م، ج٩-١٠)، ص٧٣٦.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة في المسجد الحرام لم تسر وفق منهج معين ومقرر بل كان المدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه لطلبته، وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم، فكان يلقي على طلبته العلوم التي تبحر فيها، ولم يكن هؤلاء العلماء الذين وهبوا أنفسهم وعلمهم للتدريس في المسجد الحرام يتقاضون راتبًا من أمراء مكة لقاء عملهم هذا، كما أنهم لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة بل كان تعليمهم في المسجد الحرام لله وفي سبيل الله(١). ولذا كان التعليم في متناول الجميع، مما شجع الكثير من الناس على الإقبال للدراسة في المسجد الحرام على يد هؤلاء العلماء.

وقد شارك في إثراء الحياة العلمية في مكة المكرمة في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين علماء من شتى بقاع بلاد الإسلام عامة والمشرق الإسلامي خاصة، فقد كان العلماء يفدون إلى مكة المكرمة لتلقي العلم في المسجد الحرام الذي كان منهلاً من مناهل العلم بل ومن أبرزها يقصده المسلمون من جميع البلاد، وتعقد فيه حلقات علمية في مختلف العلوم، كما وفد إلى المسجد الحرام علماء أجلاء زاولوا التدريس والإفتاء لأهل مكة والقادمين إليها(٢) فقد ذكرت كتب التراجم والوفيات أسماء كثيرين من العلماء المشارقة الذين قدموا إلى مكة للمشاركة في نهضتها العلمية، فلقد قدم إليها أبو أسامة محمد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م الذي كان شيخ الحرم(٣). وأبو ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م كان شيخ الحرم(٤). وإمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م الـذي أشتغل بالتدريس والإفتاء

---

١) عبد الرحمن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٤١؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٨٧- ١٨٩؛ عائشة باقاسي: مكة والمدينة، ص١٧٩، ١٨١ .

٢) إبراهيم المشيقح: تاريخ أم القرى، ص٤٦.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٦٤.

٤) المصدر السابق، ج١٧، ص٥٥٤.

بالمسجد الحرام(١). وأبو نصر محمد بن هبة الله البندنيجي المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م الذي يعرف بفقيه الحرم(٢). وعبد الملك بن أبي مسلم بن أبي نصر النهاوندي المتوفى سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م إمام المقام الشافعي بالمسجد الحرام، كما ولي القضاء بمكة(٣)، وهذا إن دل فإنه يدل على سعة علمه. وممن قدم إلى مكة أبو نصر عبد الجبار بن إبراهيم العبدي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م الذي كان شيخ المسجد الحرام سنين عديدة(٤). وأبو الفضل محمد بن عمر البخاري المتوفى سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م إمام المقام الحنفي بالمسجد الحرام الذي عقد دروسه العلمية بالمسجد الحرام أيضًا(٥).

كما أن أبا عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي المتوفى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م كرس معظم وقته بمكة المكرمة في التدريس والوعظ بالمسجد الحرام(٦).

ومنهم عبد الملك الطبري المتوفى في عَشْر الثلاثين وخمسمائة هجرية كان من العلماء الذين يلقون دروسًا علمية في المسجد الحرام حتى عُرف بشيخ الحرم(٧). وأبو الحسن علي بن الحسن البلخي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م الذي كان إمام الحنفية بالمسجد الحرام(٨). وأبو الفتح محمد بن عبد الله البرمكي الهروي المتوفى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م الذي قدم مكة واستوطنها، وحدَّث بها حتى أصبح إمام المقام الحنبلي بالمسجد الحرام(٩).

وقدم إلى مكة أيضًا أبو عبد الله محمد بن علوان التكريتي المتوفى سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م

---

١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٦٨؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٧؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٩٨.

٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٤٧٥.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥١٦؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٩٩.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٣٦٩.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٢٢٦؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٢.

٦) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٤٩؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٠-٢٩١.

٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥١٧.

٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٩٥٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٥٨-٢٥٩.

٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٥٢؛ النجم بن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٦١.

الذي أشتغل بالتدريس بالمسجد الحرام بالإضافة إلى كونه إمام المقام الشافعي(١). وأبو الربيع سليمان بن شادي الأزجي المتوفى سنة٦٠٨هـ/١٢١١م الذي جاور بمكة مدة، فأم الناس بالمقام الحنبلي بالمسجد الحرام(٢). وأبو محمد يونس بن يحيى القصار البغدادي المتوفى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م إمام المقام الشافعي الذي حدَّث بمروياته وسماعاته بالمسجد الحرام(٣). وأبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني المتوفى سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م إمام مقام إبراهيم – عليه السلام –، كما كرس نفسه للتدريس بالمسجد الحرام(٤). وأبو الفتوح نصر بن محمد الحصري المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م أشتغل بالتدريس في المسجد الحرام، كما كان إمام الحنابلة(٥). وأبو طالب عبد المحسن بن أبي العُميد الأبهري المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م الذي قدم لمكة، فاستقر بها، وحدَّث بالمسجد الحرام، واستفاد من علمه خلق كثير(٦).

ومن البديهي أن لا يتولى إمامة المقامات في المسجد الحرام إلا من عُرف واشتهر بإتقانه للكثير من فروع العلم، فمنصبه هذا يجعله قريب من السائلين الذين يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم، ولذا وجب عليه اتساع آفاقه العلمية للرد عليهم.

هذا بالنسبة للمسجد الحرام الذي أسهم في نشاط الحياة العلمية في مكة المكرمة، إلا أن هذا لا يعني أن المساجد الأخرى، وخاصة مساجد المشاعر المقدسة كانت بعيدة كل البعد عن النشاطات العلمية، فقد احتوت هذه المساجد إسهامات علمية متنوعة خاصةً في موسم الحج(٧).

---

١)الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٤٧.

٢) المصدر السابق، ج٤، ص٦٠٦؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص١٩١.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٥٠٠؛ يوسف الصبحي: المرجع السابق، ص٤٣٥.

٤) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج٢، ص٥٩٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٤٢٦؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٠؛ سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص٢١٢؛ عائشة باقاسي: بلاد الحجاز، ص١١٠.

٥) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٢٧٠-٢٧١.

٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٩٣؛ يوسف الصبحي: المرجع السابق، ص٢٧٠.

٧) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص١١٩.

وعليه يتضح إلى أي مدى تفاعل علماء المشرق الإسلامي تفاعلاً إيجابيًا ومؤثرًا مع الحركة العلمية النشطة التي كانت تعم مكة المكرمة، وذلك ببث ما يحملون من علوم عبر الحلق والدروس العلمية المنتشرة في المساجد، وخاصة المسجد الحرام، حيث أدرك هؤلاء العلماء أن التدريس هو محور العملية التعليمية، والأساس الذي تقوم عليه الحياة العلمية بشتى مجالاتها، ومحققين في الوقت نفسه رغبات طلاب العلم المكيين والوافدين إليها الذين يتوقون للتتلمذ على هؤلاء العلماء القادمين من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة، فيتسابق طلاب العلم للنهل من علومهم ومعارفهم الجمة(١).

- **حلقات العلم في الأربطة:**

ومن الأماكن المهمة التي كان لها أثر كبير في إثراء الثقافة ونهضة التعليم في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة الأربطة، فقد أسهمت الأربطة في نمو الحياة العلمية إذ لم تكن مجرد مكان لإقامة المجاورين، وإيواء الفقراء والمساكين الذين قصدوها بغية تحصيل أقواتهم والسكن المجاني في الأربطة، بل نزل فيها فئات مختلفة من الناس، ومنهم العلماء الذين عقدوا في جنباتها الحلقات العلمية، ونشروا معارفهم فيها وعظًا وإرشادًا وتحديثًا وتدريسًا(٢).

وهكذا نرى أن الأربطة أدّت خدمات اجتماعية ودينية وثقافية كالوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب. ومما ساعد على ذلك أن واقفيها أنشاوا بها خزائن، وأوقفوا فيها الكتب، وعينوا لها القوّام والخزّان. وكان الزهاد والمتصوفة من قاطني الرباط يترددون على مكتباتها، وكذلك كان يفعل طلبة العلم أثناء رحلاتهم(٣). وقد

---

١) عبد العزيز السنيدي: " أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠-٩٢٣هـ/ ١١٧٤- ١٥١٧م)".(مجلة الدرعية، السنة ٩، العددان ٣٤-٣٥، جمادى الآخرة – رمضان ١٤٢٧هـ/ يوليو – أكتوبر ٢٠٠٦م)، ص٢٠٣.

٢) أحمد بدر شيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص٣٧٣-٣٧٤؛ حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٢٤٩.

٣) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، (بيروت: دار الثقافة، ط٣، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٤٦٤-٤٦٥؛ سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية،(القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م)، ص٥٩٥-٥٩٦.

شجع وجود مثل هذه المكتبات العلماء على النزول في الأربطة، حيث اتخذوها أماكن للمطالعة والكتابة والاستنساخ والتأليف(١).

وقد حفظت لنا المصادر أسماء بعض العلماء المشارقة ممن نزلوا في الأربطة بمكة المكرمة، وعقدوا حلقاتهم هناك، فالعالم أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م عقد حلقة علمية لتدريس علم الحديث في رباط أم الخليفة العباسي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م(٢).

وكذلك أبو طالب عبد المحسن بن أبي العميد المتوفى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م الذي كان يَؤُمُّ برباط الجهة المعروفة بالأخلاطية، نزل في رباط المراغي(٣).

ونستنتج من هذا أن أربطة مكة المكرمة كانت منزلاً للعلماء بعد الفقراء، وهذا الأمر أضفى على الأربطة طابع تبادل الرأي والمعرفة بين العلماء وطلبتهم، مما أكسب أربطة مكة المكرمة الصبغة العلمية، بل جعلها محط أنظار واهتمام طلاب العلم، إذ هيأ لهم الفرص في لقاء العلماء والأخذ عنهم في أماكن عبادتهم بالمسجد الحرام، وفي أماكن راحتهم بمساكنهم في الأربطة(٤).

- المدارس:

قامت المدارس في المجتمعات الإسلامية إلى جانب الكتاتيب والمساجد تسهم في تنشئة أبناء المسلمين تنشئة علمية (٥). وقد ربط المؤرخون بين نشأة المدارس ونظام الملك (٦) حيث

---

١) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، ص٤٦٥.

٢) ابن الآبار: التكملة، ج١، ص٦١؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص١٨٢.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٩٣-٤٩٤.

٤) حسين شافعي: الأربطة في مكة المكرمة، ص٢٥٤.

٥) عبد الرحمن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٦١.

٦) هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الوزير الكبير. ولد سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م. حفظه والده القرآن، وشغله في الفقه، وسمع الحديث بأصبهان، ونيسابور، وبغداد. وخدم في الديوان السلطاني، فكان وزيرًا للسلطان ألب ارسلان، ومن بعده للسلطان ملكشاه. وقد مكث في الوزارة ثلاثين سنة. وبنى المساجد، والمدارس، والرباطات. توفي مقتولاً سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. انظر، السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٣-١٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٦٢- ٣٦٤.

أشار ابن خلكان أن أول من أنشأ المدارس هو نظام الملك، فشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، واقتدى به الناس(١). إلا أن المدارس لم تكن من مستحدثات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فقد ورد لفظ مدرسة عند المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » الذي ألفه سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م(٢)، وكذلك ذكرها السبكي عند ترجمته لمحمد بن عبد الله بن خمشاذ المتوفى سنة٣٨٨هـ/٩٩٨م(٣)، وأكد آدم متز ذلك بأن المدارس من منشآت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وأن نيسابور كانت مهدًا لها، وأن أول مدرسة بنيت بها كانت لأبي إسحاق الاسفراييني المتوفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م(٤) ، وذكر السبكي أن المدرسة البيهقية بنيسابور كانت موجودة قبل أن يولد نظام الملك(٥).

وعليه يتضح أنه من الصعب تحديد تاريخ دقيق لنشوء أول مدرسة في البلاد الإسلامية، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أسبقية وجود المدارس في بلاد المشرق الإسلامي، حيث أنشئت مدارس كثيرة مستقلة عن المساجد(٦).

وحظيت مكة المكرمة بنصيبها من المدارس حيث بدأ ظهور المدارس بها في الربع الأخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (٧)، وحين نتتبع هـذه المدارس نجد أن من

---

١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٢٩.

٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٠.

٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص١٣٧.

٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبدالهادي ابو ريده، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ج١، ص٣٣٦.

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، الفقيه الأصولي، الملقب بركن الدين. ارتحل في طلب الحديث، فسمع من دعلج السجزي، وطائفة. وحدث عنه أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو الطيب الطبري، وغيرهم. ومن تصانيفه « جامع الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين». توفى سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م. انظر، ابن خلكان: المصدر السابق، ج١، ص٢٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٥٣-٣٥٤.

٥) السبكي: المصدر السابق، ج٣، ص٦.

٦) إبراهيم المزيني: الحياة العلمية في العهد الزنكي، ص١٢٣.

٧) عبد الرحمن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٦١؛ أحمد شيني: أوقاف الحرمين الشريفين، ص١٢٧؛ فواز بن علي الدهاس: " المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ". (مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد الثاني، السنة الأولى، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م)، ص٥٣.

ساهم في إنشائها أفرادمن غير المكيين، ولعل ذلك يرجع للتنافس بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة لإقامة مدارس خاصة تقوم على تدريس العلوم الشرعية المتعلقة بمذهب بعينه ضمانًا لنشر ذلك المذهب(١).

والحق أن هذا التمذهب كانت تحكمه في أغلب الأحوال دوافع سياسية، إذ أن مكة المكرمة كانت قبل نشأة المدارس يحكمها العباسيون السُنة تارة، والفاطميون الشيعة تارة أخرى، ولكن بعد سقوط الفاطميين وقيام الأيوبيين على أنقاضهم عززوا من مكانة الخليفة العباسي بمكة، فأقيمت المدارس في مكة المكرمة لمحاربة المذهب الشيعي(٢). ومن الملاحظ أن هذه المدارس وقفية(٣).

وفيما يلي المدارس التي أنشئت خلال فترة الدراسة، وساهمت في تطور الحركة العلمية بمكة المكرمة:

١- مدرسة الأرسوفي:

هي أقدم مدرسة أنشئت في مكة المكرمة، ويعود تاريخ انشائها إلى عام ٥٧١هـ/١٠٧٨م، وقيل: ٥٩١هـ/١١٩٥م، أو ٥٩٢هـ/١١٩٦م، وهي تقع بالقرب من باب العمرة، وأما مؤسسها فهو العفيف عبدالله بن محمد الأرسوفي(٤).

وقد انشئ قريبًا من هذه المدرسة رباطًا ليكون مسكنًا يأوي إليه طلابها، ولعل هذا يفسر لنا أنها لم تخصص قسمًا لسكن طلابها فاكتفت بإنشاء الأربطة قريبًا منها لتؤدي هذا الدور(٥). وهذا ما وضحه ناجي معروف بقوله: " رباط العفيف، والعفيف المشار إليه هو الأرسوفي صاحب المدرسة التي بقربه (٦) ".

---

١) فواز الدهاس: المدارس في مكة المكرمة، ص٥٤.

٢) سعيد إسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، ص٣٣٦.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٧؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦٢٠.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٨، ١٢٢؛ عبد الرحمن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٦١؛ ناجي معروف: المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، (بغداد: جامعة بغداد، ط٢، ١٩٧٥م)، ص٣٤٨.

٥) فواز الدهاس: المرجع السابق، ص٨٨-٨٩.

٦) المدارس الشرابية، ص٣٤٨.

وكانت هذه المدرسة تدرس المذهب الشافعي(١)، وقد اتضح ذلك من خلال ترجمة أبي الفتح ناصر بن عبد الله المصري العطار المتوفى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٩م الذي كان يُدرس بالمدرسة، حيث كان من أتباع المذهب الشافعي(٢).

٢- مدرسة الزنجيلي:

انشئت هذه المدرسة سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وهي تقع عند باب العمرة في الجانب الغربي من المسجد الحرام، ومؤسسها هو الأمير عثمان بن علي الزنجيلي.

كما بنى مقابل المدرسة رباطًا لسكن الطلبة، وأيضًا للحجاج.

وقد خصصت هذه المدرسة لتدريس الفقه الحنفي، إذ أوقفها على الحنفية(٣)، وممن وَلِي التدريس بها أبو الوفاء صديق بن يوسف الحنفي الذي عاش في القرن السادس الهجري(٤).

٣- مدرسة طاب الزمان الحبشية:

أسست هذه المدرسة سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وتقع في الجانب الغربي من المسجد الحرام، وتحديدًا بدار زبيدة(٥)، وقد أوقفتها طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة العباسي المستضئ.

وقد أغفلت المصادر ذكر إن كان قد خصص مكان لسكن طلبة المدرسة.

واهتمت هذه المدرسة بتدريس الفقه الشافعي، حيث أوقفت على عشرة من فقهاء الشافعية(٦).

---

١) سليمان مالكي: بلاد الحجاز، ص١٩٠.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣١٦.

٣) المصدر السابق، ج١، ص١١٧، ١١٩؛ محمد الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦٢٠، ٦٢٦؛ عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٣٧٣؛ ناجي معروف: المدارس الشرابية، ص٣٤٩؛ فواز الدهاس: المدارس في مكة المكرمة، ص٩١.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٣٩.

- هو الفقيه أبو الوفاء صديق بن يوسف بن قريش. ولد سنة ٥٣٧هـ/١١٤٣م، أو ٥٣٨هـ/١١٤٤م. سمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي، وأبي القاسم البوصيري. وكان عارفًا بالكيمياء. انظر، المصدر السابق، ج٥، ص٣٩-٤٠.

٥) عبد الله الغازي: المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٣.

٦) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص١١٧؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٥٣.

ونستنتج من ذلك أن هذه المدارس التي أنشئت في مكة المكرمة قد عنيت بالعلوم الدينية، فقد كانت هذه العلوم هي الشغل الشاغل لهذه المدارس، فقد اتضح لنا كيف أن كل مدرسة من هذه المدارس اختصت بتدريس العلوم الدينية على مذهب من المذاهب الأربعة الشهيرة(١).

ونستطيع القول أن المشرق الإسلامي كان له أثرًا في نشأة هذه المدارس بمكة، حيث أن المدارس أول ما نشأت في العالم الإسلامي كان في المشرق ، ومن ثم انتشرت في بقية الأقطار الإسلامية الأخرى. وأيضًا أن المدارس التي ظهرت في المشرق كان توجهها تعليم العلوم الشرعية وأصول الدين، وإهمال العلوم الأخرى، وانطبق هذا الأمر أيضًا على المدارس المكية حيث اختصت بتدريس العلوم الشرعية، وإهمال ما سواها.

وإلى جانب ذلك رأينا كيف أوقفت طاب الزمان عتيقة الخليفة العباسي المستضئ مدرستها في مكة.

- **مجالس العلماء:**

عرفت مكة المكرمة خلال فترة الدراسة الكثير من المجالس العلمية التي كان يعقدها العلماء في المساجد أو في الأربطة، أو في منازلهم، بل وفي قصور الأمراء أيضًا. وسوف نقتصر في حديثنا عن هذه المجالس على ما كان في منازل العلماء، وقصور الأمراء. حيث سبق الحديث عن مجالس العلماء في المساجد، وغيرها.

مجالس العلماء في منازلهم الخاصة لم تكن وليدة القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، إذ عرفها المسلمون منذ فجر الإسلام حيث كان يجتمع رسول الله ﷺ بأصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم(٢) ليعلمهم أمور دينهم الجديد، فاقتدى العلماء بسيرة نبيهم ﷺ، واتخذوا من منازلهم منارة لنشر العلم.

وعليه كانت منازل العلماء من بين مراكز التعليم خلال العصور الإسلامية المختلفة، خاصة وأن المسلمين يدركون مكانة العلم والعلماء ويسعون إليهما أينما وجدا، ويعتبرون ذلك

---

١) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص١١٥.

٢) هو أبو عبد الله عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. كان من السابقين الأولين =

تكريمًا للعلم والعلماء، وهذا مما ساعد منازل العلماء على نيل هذه المكانة، بالإضافة إلى سهولة رجوع العالِم إلى مصادره ومعلوماته، وتيسر حصوله على الراحة والغذاء في الوقت نفسه(١).

ونجد في فترة البحث أن الحياة السياسية قد أثرت على الحياة العلمية في مكة المكرمة، حيث أن مكة قد خضعت لحكم الفاطميين الشيعة لفترات متقطعة من الوقت، ونحن نعلم الدور الذي لعبه هؤلاء في سبيل نشر مذهبهم الشيعي في كل منطقة خاضعة لهم، فرأينا في مصر كيف أنهم قد سخروا العلم ومراكزه لخدمة هذا الهدف، ولابد من أنهم قد سلكوا هذا المسلك أيضًا في مكة المكرمة، فقد روي — في هذا الصدد — عن أبي القاسم سعد الزنجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م أنه كان يُملي سرًا في بيته؛ وذلك خوفًا من الدولة الفاطمية(٢)، ولعل السبب الذي دفعه لذلك هو عدم إتاحة الفرصة أمامه للتدريس نظاميًا بالمسجد الحرام أثناء حكم الفاطميين، ولم تنقطع رغبته في نشر علمه، فعمد إلى فتح بيته سرًا لطلبة العلم.

إلا أننا لا نستطيع أخذ هذا القول على مطلقه، فقد وِجد علماء مجاورين بمكة سواء كانوا مشارقة أو غيرهم شاركوا في تنشيط الحياة العلمية بها.

وكذلك كان للحالة الصحية للعلماء دور في فتح المنازل لطلاب العلم، فالكثير من العلماء عندما يشيخون ويرق عظمهم يعتزلون الوظائف الرسمية والتدريس بالمسجد، فيعوضون ذلك بالتدريس في منازلهم(٣)، فهذا أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني المتوفى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م كان إمامًا لمقام إبراهيم عليه السلام لعدة سنين حتى عجز وانقطع(٤)، فلابد أنه قد استمر في عقد دروسه العلمية بمنزله.

وبعد فإنه لابد أن يكون علماء المشرق الإسلامي الآخرين قد قاموا بالتعليم في منازلهم

=إلى الإسلام، حيث أسلم قديمًا، فقيل: كان ثاني عشر. وكانت داره على الصفا. شهد بدرًا. توفي سنة ٥٣هـ/٦٧٣م، وقيل: ٥٥هـ/٦٧٥م. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص٧٤-٧٥؛ العسقلاني: الإصابة، ج١، ص ١٩٦-١٩٧.

١) علي الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص٢٤٦؛ رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق، ص٢٢٤.

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٨٧؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٢٩.

٣) آمال صديق: الحياة العلمية في مكة، ص٣٥٤.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٤٢٧.

أيضًا أثناء مجاورتهم بمكة، وعدم وجود نصوص صريحة في المصادر تشير إلى ذلك، لا يعني أنهم لم يقوموا بتلك المهمة، خاصة أن مكة قد جاور بها أثناء فترة الدراسة علماء أجلاء لهم مكانتهم العلمية أمثال أبي الحسن الأزدي البصري، وأبي معشر الطبري، وأبي ذر الهروي، وغيرهم.

أما فيما يتعلق بقصور الأمراء فقد أحجمت المصادر عن ذكر مجالس العلماء بها، فقد ركزت هذه المصادر على الجانب السياسي لمكة وأغفلت الجوانب الأخرى، فلم نعثر إلا على مجلس الأمير عيسى بن فليتة الذي انعقد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م وفيه أخوه مالك، والشاعر العراقي الفخر بن سيف(١).

وهناك مجلس أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م مع الأمير علي بن عيسى بن وهاس الذي لم تحدد المصادر المكان الذي عقد به هل هو في قصر الأمير المكي أم في منزل الزمخشري الذي بناه له ابن وهاس على باب أجياد؛ إذ كانت العلاقة بينهما وطيدة، فأخذ كلٌ منهما عن الآخر(٢).

المطلب الثاني: الإجازات العلمية:

كان الطلاب إذا فرغوا من دراسة كتاب علمي على أحد شيوخهم حصلوا منه على إذن بتدريسه وروايته ونشره بين الناس، واصطلح على تسمية هذا الإذن بالإجازة(٣)، وبلا شك أن قيمة هذه الإجازة تتوقف على مكانة الشيخ الذي أخذوا عنه وسمعته العلمية(٤).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٤٦٨.

- وأشار إليه الجزيري بأنه الأديب فخر الدين بن يوسف العراقي. انظر، الدرر الفرائد،ج١، ص٥٦٦.

٢) الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، (بغداد: مطبعة العاني، (د.ت))، ج١، ص١١، ١٢.

٣) إبراهيم العكش: التربية والتعليم في الأندلس، ص١٥٠.

٤) إبراهيم المشيقح: تاريخ أم القرى، ص٥٣.

وأول من بدأ العمل بها هم علماء الحديث(١)، وذلك بأن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروي عنه حديثًا أو كتابًا من تصنيفه أو يرويه عن شيوخه بالإسناد إلى مؤلفه(٢).

وقد اتفق الخطيب البغدادي و السيوطي على أن الإجازة في كلام العرب مأخوذة من جواز الماء الذي تسقاه الماشية والحرث، يقال: استجزت فلانًا فأجازني إذا أسقاك ماء لماشيتك وأرضك. وكذلك يسأل طالب العلم شيخه أن يجيزه علمه فيجيزه إياه، فالطالب هنا مستجيز، والشيخ مجيز. وفيه يقول السيوطي: " يجوز أن يقال أجزت فلانًا مسموعاتي، ومن جعل الإجازة إذنًا وهو المعروف يقول: أجزت له رواية مسموعاتي"(٣).

وعليه يتضح أن الإجازة هي إذن ورخصة تتضمن تخويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه(٤).

فيمنح الشيخ تلميذه الإجازة بإحدى طريقتين: الإجازة بالمشافهة، والإجازة التحريرية. والإجازة الشفهية أقدم من الإجازة التحريرية(٥). وللإجازة أربعة أركان: المجيز،والمجاز له، والمجاز به، ولفظ الإجازة(٦).

ولم تقتصر الإجازات العلمية على علم الحديث، بل تعدته إلى فروع المعرفة الأخرى(٧). وليس ذلك فحسب فقد تطور نظام الإجازة منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر

---

١) محمد عبد اللطيف صالح الفرفور: " أدب الإجازات عند علماء المسلمين " .(مجلة الفيصل، العدد ٧٩، السنة ٧، أكتوبر/ نوفمبر ١٩٨٣م)، ص٦٧.

٢) دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، (القاهرة: دار الشعب، (د.ت))، ج٢، ص٢٣١.

٣) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، (حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص٤١٥؛ السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف، (بيروت: دار احياء السنة النبوية، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٢، ص٤٢.

٤) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص٢٤٩-٢٥٠.

٥) إبراهيم العكش: التربية والتعليم في الأندلس، ص١٥٠.

٦) السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٤٤؛ إبراهيم العكش: المرجع السابق، ص١٥١.

٧) محمد الفرفور: المرجع السابق، ص٦٧.

الميلادي إلى حد بعيد، حتى أصبح الشيخ يجيز قبل وفاته جميع مسلمي عصره في رواية الأحاديث التي كان يعرفها(١).

وللإجازة العلمية أنواع متعددة كما يتضح لنا فيما يلي:

١- إجازة مُعيّن لمِعيّن في مُعيّن(٢)، كأجزتك الكتاب الفلاني أو ما اشتملت عليه فهرستي، ومثالها إجازة أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري المتوفى سنة٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٤٩٨هـ/١١٠٥م لأبي بكر غالب بن عبد الرحمن المحاربي المتوفى سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م في «صحيح مسلم » (٣).

٢- إجازة مُعيّن لمِعيّن في غير مُعيّن(٤)، كأجزتك مسموعاتي أو جميع مروياتي(٥)، ومثالها إجازة أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م لأبي يحيى زكريا بن غالب الفهري المتوفى سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م فيما رواه(٦). وإجازة أبي المظفر محمد بن

---

١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٢٣٢؛ مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص٢٥٠.

٢) العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، (القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت))، ص ١٨٠؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٢٩؛ إبراهيم العكش: التربية والتعليم في الأندلس، ص١٥١.

٣) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٣٦٤.

-هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن المحاربيمن أهل غرناطة. ولد سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م. ورحل إلى المشرق حاجًا سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م. كان حافظًا للحديث وطرقه وعلله، عارفًا بأسماء رجاله ونقلته، ذاكرًا لمتونه ومعانيه، أديبًا، وشاعرًا، ولغويًا، ومن أهل الدِّراية والرواية. روى عن أبيه، والحسن بن عبيد الله الحضرمي، وأبي علي الغساني، وطائفة. انظر، ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٤-٣٦٥؛ الضبي: بغية الملتمس، ص٤٤١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٢٩٤-٢٩٥.

٤) العراقي: المصدر السابق، ص ١٨١؛ إبراهيم العكش: المرجع السابق، ص١٥١؛ محمد الفرفور: أدب الإجازات، ص٦٨.

٥) العراقي: المصدر السابق، ص ١٨١؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٣٢.

٦) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١، ص١٦٦.

-هو أبو يحيى زكريا بن غالب الفهري قاضي تملاك. روى عن أبي محمد بن دنين، وخلف بن عبد الغفور، وأبي عبد الله ابن الفخار. رحل إلى المشرق. وقدِم طليطلة واستوطنها. انظر، ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١، ص١٦٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٢٣٢.

علي الطبري المتوفى سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م للحافظ أبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال، وفيها قال ابن بشكوال:"كتب إلينا بإجازة ما رواه بخطه من مكة"(١).

وهنا يتضح أن مكة المكرمة كانت مسرحًا للقاء علماء المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ونخص منها لقاء علماء المشرق الإسلامي بعلماء الأندلس، حيث أن تواجد كلا الطرفين في مكة قد أعطاهم فرصة ثمينة للتواصل العلمي والتبادل الثقافي، ونيل الإجازات العلمية، الأمر الذي أتاح لمصنّفات علماء المشرق الإسلامي أن تنتقل إلى الأندلس عبر هذه اللقاءات العلمية المثمرة لكلا الطرفين.

٣- إجازة مُعيّن لغير مُعيّن- وهي الإجازة العامة - ، كأجزت المسلمين أو كل أحد أو أهل زماني(٢)، ومثالها إجازة أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م للمسلمين عامة قبل موته(٣).

٤- إجازة مُعيّن للمجهول أو بالمجهول، كأجزت لمحمد بن خالد الدمشقي مع وجود جماعة تحمل نفس هذا الاسم، فلم يعين من منهم المجاز، أو قوله أجزتك كتاب السنن وهو يروي عدة كتب في السنن(٤).

٥-إجازة مُعيّن للمعدوم، كأجزت لمن يولد لفلان(٥).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٥٢.

-هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال الأنصاري القرطبي. حافظ الأندلس في عصره ومؤرخها ومسندها. ولد سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م. سمع أباه، وأبا محمد بن عتَّاب فأكثر، وأبا القاسم بن منظور، وغيرهم. كتب إليه من أهل المشرق: أبو طاهر السلفي، وأبو علي ابن العرجاء، وغيرهم. ومن تصانيفه كتاب « الصلة » الذي وصل به «تاريخ ابن الفرضي»، وكتاب «الحكايات المستغربة »، وكتاب « معرفة العلماء الأفاضل »، وغيرها. ورحل إليه الناس وانتفعوا به. توفى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. انظر، ابن الآبار: التكملة، ج١، ص٣٠٤-٣٠٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٦١٢-٦١٣.

٢) العراقي: التقييد والإيضاح، ص ١٨٢؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٣٢؛ إبراهيم العكش: التربية والتعليم في الأندلس، ص١٥٢.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٠.

٤) العراقي: المصدر السابق، ص ١٨٤؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٣٤-٣٥؛ محمد الفرفور: أدب الإجازات، ص٦٨.

٥) العراقي: المصدر السابق، ص ١٨٦؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٣٧.

٦-إجازة ما لم يسمعه المجيز، كأجزتك أن تروي عني ما سأسمعه(١).

٧- إجازة المجاز، كأجزتك مجازاتي، أو أجزتك رواية ما أجيز لي روايته(٢).

٨- إجازة بالمراسلة(٣)، ومثالها ما كتبه أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م أثناء إقامته بالإسكندرية إلى أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م المجاور بمكة المكرمة يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته، فأجابه الزمخشري بجزء لطيف فيه لغة وفصاحة، ولم يصرح له بمقصوده(٤).

وقد منح عدد من علماء المشرق الإسلامي الإجازات العلمية لطلاب العلم في مكة المكرمة، ومنهم على سبيل المثال: أبو مكتوم عيسى بن عبد الهروي المتوفى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م للحافظ أبي طاهر السلفي(٥)، وكذلك أجاز أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ/١١١١م لأبي القاسم عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي الأندلسي(٦).

ومن هنا يتضح أثر علماء المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة، فقد رأينا أنهم قد منحوا الإجازات العلمية بمختلف أنواعها لطلاب العلم المكيين وغيرهم من الطلاب الوافدين إلى مكة، فقد شعر هؤلاء الطلاب بضرورة الإجازات التي يجب على العالِم الحصول عليها لكي يثبت أنه وصل إلى درجة كافية من العلم تؤهله للتدريس(٧).

---

١) محمد الفرفور: أدب الإجازات، ص٦٨.

٢) العراقي: التقييد والإيضاح، ص ١٨٩؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص٤٠؛ محمد الفرفور: المرجع السابق، ص٦٨.

٣) إبراهيم العكش: التربية والتعليم في الأندلس، ص١٥٣.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٦٩٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص١٩٧. وللمزيد حول هذا الموضوع انظر، المقري التلمساني، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، ج٣، ص ٢٨٣-٢٩٣.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٤٦٢.

٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٨٧٦.

٧) محمد الفرفور: المرجع السابق، ص٦٩.

المطلب الثالث: المكتبات والوراقون:

إن المكتبات هي القاعدة التي يمكن أن تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية في أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي عصر من العصور لدرجة تجعلنا في كثير من الأحيان نتخذها معيارًا نحكم به على مدى تقدم المجتمع أو العصر.

فالمكتبات تعد من أهم الأدوات التي يمكن الاستعانة بها لنشر الثقافة بين أفراد المجتمع، فعن طريق توفيرها للكتب تساعد المواطنين على الاتصال دومًا بمصادر الفكر والثقافة، والإلمام بنواحٍ مختلفة من المعارف فيما يحيط بهم من بيئات وما جرى في تاريخهم من أحداث وما تركه لهم أسلافهم من تراث وما تجري عليه أمور العالم الذي يعيشون فيه إلى غير ذلك من نواحي المعرفة التي تساعد على تقوية ورقي الحياة العلمية(١).

وقد عرفت مكة المكرمة نوعين من المكتبات، وهي المكتبات العامة، والمكتبات الخاصة. فالمكتبات العامة ألحقت بالمساجد والأربطة والمدارس، وذلك لتكون في متناول الدارسين فيها، والوافدين إليها(٢). وفيما يلي نظرة على بعض المكتبات العامة في مكة المكرمة خلال فترة البحث:

- **خزائن الكتب في المسجد الحرام:**

إن المكانة التي تبوأتها مكة المكرمة كمركز للحضارة الإسلامية فرض نوعًا من العلاقة بين المكتبات وخزائن الكتب والوسط العلمي في الحرم المكي، فهذا المسجد هو ملتقى المسلمين لأداء المناسك التعبدية من ناحية والتعلم من ناحية أخرى كما يحصل التبادل العلمي بين علماء المسلمين سواء بعقد حلقات الدرس في المسجد الحرام أو بتبادل الكتب العلمية، أو إهداء نتاجهم العلمي إلى هذه الأماكن المقدسة(٣).

---

١) سعيد إسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، ص٣٨٧-٣٨٨.

٢) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص١٨١.

٣) ناصر عبد الله سلطان البركاتي: "التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف".(مجلة العصور، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ذو القعدة ١٤٠٧هـ/ يوليو ١٩٨٧م)، ص٣٢٢.

وإن كان وجود المصاحف والكتب لا يعني بالضرورة وجود مكتبة بمعناها الاصطلاحي في المسجد الحرام، إلا أنها كانت تمثل النواة الأولى للمجموعات المكتبية لمكتبة الحرم المكي الشريف، ولهذا نشأت خزائن للكتب على مر العصور الإسلامية(١)، فقد ذُكر في كتاب «أخبار مكة» أنه وجدت خزائن للكتب في المسجد الحرام، وذلك عند الإشارة إلى السيول التي وقعت بمكة المكرمة(٢)، وأيد الفاسي ذلك حين ترجم لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المكناسي المتوفى سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م الذي أوقف ست مجلدات من كتاب « المقرب » لابن أبي زمنين المالكي سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م على المالكية والشافعية والحنفية الذين يتواجدون بمكة، وجعل مقره بخزانة الكتب المالكية(٣).

وعليه فإن وجود خزانة للكتب لأتباع المذهب المالكي في المسجد الحرام يعزز من الافتراض إلى وجود مثيلات لها بالنسبة للمذاهب الأخرى وإن أغفلت المصادر ذكرها(٤).

وقد نقلت هذه الخزائن إلى أماكن مخصصة نتيجة للكوارث الطبيعية – السيول – ، فحفظت الكتب بقبة الشراب التي كانت فيما مضى محل سقاية العباس بن عبد المطلب(٥) – رضي الله عنه – للحجيج، ثم اتخذها ابنه عبد الله(٦) – رضي الله عنه – خلوة له، ومع مر

---

١) ناصر البركاتي: التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي، ص٣٢٢.

٢) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، (بيروت: دار الأندلس، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص٣١٢؛ عبد اللطيف بن دهيش: مكتبة الحرم المكي الشريف، ص٤١١.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٧٤؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٨٧-٤٨٨؛ فواز الدهاس: المدارس في مكة المكرمة، ص٨١-٨٢.

٤) فواز الدهاس: المرجع السابق، ص٨٢.

٥) هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة. عم رسول الله ﷺ، كانت له السقاية في الجاهلية. وقد شهد مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية، وكان حينئذ مشركًا. أسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه. شهد حنين. توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ/٦٥٣م. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص ٦٠-٦٣؛ العسقلاني: الإصابة، ج٣، ص ٥١١-٥١٢.

٦) هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ﷺ. ولد بالشعب حين قاطعت قريش بني هاشم. كان يسمى البحر؛ لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، وترجمان القرآن. شهد صفين مع علي بن أبي طالب– رضي الله عنه –. توفي بالطائف سنة ٦٨هـ/٦٨٧م، وقيل: سنة ٧٠هـ/٦٨٩م. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص١٨٦-١٨٨؛ العسقلاني: المصدر السابق، ج٤، ص ١٢١-١٣١.

السنين تم اتخاذها مكانًا لتجميع كتب الحرم المكي، وذلك لحفظها وتسهيل الاطلاع عليها من قبل طلاب العلم(١).

وإن وجود مثل هذه الخزائن للكتب في المسجد الحرام كان يمثل النواة الأولى لما عُرف بعد ذلك بمكتبة الحرم المكي الشريف.

- **مكتبة رباط ربيع:**

سبق أن أشرنا إلى تأسيس هذا الرباط ومؤسسه. ولقد كان هذا الرباط من أزهى أربطة مكة المكرمة، وأحفلها بالكتب، فقد انشئت به مكتبة اودعت بها نفائس الكتب(٢)، ومنها ما أوقفه الملك الأفضل علي بن يوسف بن أيوب، حيث أمر ربيع بن عبد الله الماريديني بوقف كتاب « المجمل في اللغة » لابن فارس، وكتاب« الاستيعاب » لابن عبد البر(٣).

وهذا يوضح لنا حرص أمراء المسلمين وعلمائهم على توفير خزائن الكتب وما تحويه من كتب نفيسة في مختلف فنون العلم ووقفها على طلاب العلم ورواد بيت الله الحرام، لتعم فائدتها جميع المسلمين الذين يفدون إلى بيت الله الحرام للحج أو العمرة أو المجاورة(٤).

أما **المكتبات الخاصة** فقد أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وقلما نجد عالمًا أو أديبًا دون أن يكوّن له مكتبة يرجع إليها في دراسته واطلاعه(٥). مثل مكتبة أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤ هـ/ ١٠٤٣م(٦).

ولقد شارك علماء المشرق الإسلامي في نشر الكتب في الأوساط العلمية المكية وغيرها، وذلك عن طريق إملاء الكتب على طلاب العلم في مجالسهم العلمية ، والسماح لهم بنسخها

---

١) ناصر البركاتي: التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي، ص٣٢٥.

٢) عبد اللطيف بن دهيش: مكتبة الحرم المكي الشريف، ص٤٠٢.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٧٦؛ النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٥٦٤.

٤) فواز الدهاس: المدارس في مكة المكرمة، ص٨٣.

٥) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص١٩٩.

٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٦١؛ محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر " جمع وعرض وتعريف "، (مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٩٩٤م)، ص٣١.

وتداولها، ولم يكتفوا بذلك بل أن عددًا منهم قد برع في التصنيف حينذاك(١)، مثل أبي الحسن علي بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م المعروف بشيخ الحجاز الذي جاور بمكة، وصنف كتاب «السلوة» في التصوف(٢)، وأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م المعروف بإمام الحرمين الذي جاور بمكة وجمع كتاب « نهاية المطلب في دراية المذهب» الذي لم يصنف مثله في الإسلام(٣)، وأبو عبد الله الحسين بن علي الطبري المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٤٩٨هـ/١١٠٥م الذي جاور بمكة، وصنف كتاب «العدة» الموضوعة شرحًا على إبانة الفوراني(٤)، وهذا الكتاب قليل الوجود(٥). وأبو الفرج عبد القادر بن عبد القاهر الحراني(٦) المتوفى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م الذي كان يصحب معه في رحلاته كتبه، وقد اتضح ذلك من خلال فقدانه لكتابه «المذهب المنضَّد في مذهب أحمد» الذي ضاع منه في طريق مكة(٧). فقد كان تواجدهم في مكة المكرمة فرصة اغتنمها طلاب العلم المكيون وغيرهم لدراسة مصنفاتهم عليهم ونسخها، وبالتالي فقد انتشرت مصنفات هؤلاء العلماء في أوساط المتعلمين هناك، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من المكتبة المكية حينذاك(٨).

وكذلك ساهم بعض هؤلاء العلماء في دعم المكتبات الخاصة لأمراء مكة المكرمة الذين تربطهم بهم علاقات طيبة ، مثل أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/

---

١) عبد العزيز السنيدي: أثر مكة العلمي على بلاد اليمن، ص٢٠٨-٢٠٩.

٢) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص١٢٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٧٧.

٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٧.

٤) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران. ولد سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م. كان من علماء الأصول والفروع. و مقدم الشافعية بمرو. وصنف في الأصول والخلاف والجدل والملل والنحل، ومن تصانيفه « تتمة الإبانة ». توفى سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م. انظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٠٢.

٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٧؛ الأسنوي: المصدر السابق، ج١، ص٢٧٨-٢٧٩.

٦) شيخ حران ومفتيها. ولد سنة٥٦٤هـ/١١٦٩م. سمع بحران، وبغداد، ودمشق، وقد درَّس في آخر عمره في مدرسة بني العطار التي عُمِرت لأجله. انظر، ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٤٤١-٤٤٣؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٥٩٦.

٧) ابن رجب: المصدر السابق، ج٣، ص٤٤٢.

٨) عبد العزيز السنيدي: أثر مكة العلمي على بلاد اليمن، ص٢٠٩.

١١٤٣م الذي اهدى قبل رحيله عن مكة العديد من مؤلفاته إلى الشريف علي بن حمزة بن وهاس(١).

ولعل من أهم العوامل المساعدة على انتشار الكتب وتعدد المكتبات، أن صناعة الورق وشيوعه كانت عاملاً حاسمًا في نشر العلوم والمعارف و في توفير الكتب وتعدد المكتبات. وعليه فإن انتشار صناعة الورق في العالم الإسلامي كان من العوامل التي أدت إلى كثرة المكتبات، وظهور الوراقين على نطاق واسع نظرًا للحاجة إليهم(٢).

وقد أسس أول مصنع للورق في العالم الإسلامي في عهد هارون الرشيد(٣)، ثم تجددت المحاولة في عهد المعتصم بالله(٤)، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل لرداءة الأوراق المصنعة(٥)، وبالرغم من ذلك لم ييأس المسلمون فنجدهم يحاولون تطوير صناعة الورق حتى نجحوا في ذلك في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، فحل الورق ابتداء من هذا التاريخ محل الرقوق في جميع أنحاء العالم الإسلامي(٦).

ونشأت حرفة الوراقة، واكتسبت أهمية في التاريخ الإسلامي. وقد أطلق على من يشتغل بهذه الحرفة الوراق والمورِّق والصحّاف والصحفي والكتبي ودلاّل الكتب ، ووظيفته انتساخ

---

١) محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٥-٣٦.

٢) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص١٨٢-١٨٣.

٣) هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. ولد بالري سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م. استخلف بعهد من أبيه بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م. كان كثير الحج والغزو. وقد قسم الرشيد دولته بين ثلاثة من ابنائه: الأمين، والمأمون، والقاسم. توفي سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م. انظر، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢١٠-٢١٨.

٤) هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد. ولد سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م، وقيل: ١٧٨هـ/٧٩٤م. وكان يُعرف بالمثمن؛ لأنه ثامن الخلفاء العباسيين، وثامن أولاد الرشيد، وبويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م، وكانت مدة حكمه ثمان سنوات، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وفتح ثمانية فتوح، وخلف ثمانية أولاد، ومن الإناث كذلك، وعاش٤٨سنة. وفي خلافته بنيت مدينة سر من رأى. وكان في عهده القول بخلق القرآن. توفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م. انظر، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٤٣-٢٤٥.

٥) رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق، ص٢٢٨.

٦) مريزن عسيري: المرجع السابق، ص١٨٣.

الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها(١)، بالإضافة إلى بيع الورق وسائر أدوات الكتابة كالأقلام والحبر(٢). وكانت للوراقين أسواق معلومة خاصة بهم يقال لها سوق الوراقين أو سوق الصحافين أو سوق الكتبيين(٣) يكتبون فيها ويبيعون الكتب، فيقصدهم من يحتاج كتابًا أو يكلفهم بالبحث عنه وتهيئة نسخ منه(٤). وفي خلال فترة الدراسة احترف بعض العلماء الوراقة ونسخ الكتب لكسب معاشهم.

و وجود كبار العلماء والفقهاء والأدباء مع طائفة الوراقين في تلك الفترة يعطي أهمية لما كان يدور في تلك الحوانيت من محاورات ومناظرات ومناقشات، وهذا يدل على أن تلك الحوانيت كانت منتديات للعلماء تعقد فيها مجالس علمية يحضرها طلاب العلم والمعرفة(٥).

وهكذا فإن حوانيت الورّاقين لم تكن مقصورة على تجارة الكتب واستنساخها، وإنما كانت مجمعًا للعلماء وأهل الأدب، فأسهمت في ازدهار الحياة العلمية في تلك الفترة، وعليه فإن باعة الكتب لم يكونوا مجرد تجار ينشدون الربح، وإنما كانوا في أغلب الأحيان أدباء ذوي ثقافة واسعة واطلاع علمي غزير يسعون لمتعة فكرية من وراء هذه الحرفة التي تتيح لهم القراءة والاطلاع(٦).

---

١) رمضان ششن: "نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والورّاقين في التاريخ الإسلامي".(مجلة التاريخ العربي، العدد ٣٢، خريف ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٤٢.

٢) سعد بن عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ٤٢٢- ٤٨٨هـ/ ١٠٣٠- ١٠٩٥م، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص١٩٩.

٣) رمضان ششن: المرجع السابق، ص٤٢.

٤) بدري محمد فهد: "دور الورّاقين في نشر المعرفة".(مجلة الذخائر، السنة ٣، العدد٩، شتاء ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٩.

٥) هند بنت عبد العزيز محمد الضيف: مؤدبو أبناء الخلفاء في الدولة العباسية وأثرهم على الحياة العلمية والاجتماعية (١٣٢هـ - ٣٣٤هـ/ ٧٤٩م — ٩٤٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٠٥.

٦) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص٦٣.

وأما النسخ فكان يمثل كبرى مهام الوراق، فهذه المهمة تحتاج إلى براعة ومهارة في الخط إلى جانب الدقة والضبط في النقل والمقابلة بين الكتاب وما نسخ عنه(١)، وقد ظهر في مكة المكرمة عددٌ من النساخين كان لهم شأن عظيم، إذ أسهموا مساهمة فعالة في نشر المعرفة، وقد ساعدهم على ذلك نشاط حركة التأليف، وإقبال العلماء وهواة جمع الكتب على اقتناء ما يظهر من المؤلفات، وقيام الورّاقين باستنساخها(٢).

ولقد كان للمشرق الإسلامي أثر في هذا المجال أيضًا على الحياة العلمية في مكة المكرمة، فعندما ننظر لسير بعض العلماء وطلاب العلم القادمين من المشرق الإسلامي إلى مكة، نجد أن منهم من عمل في مجال الوراقة والنسخ مع عدم الانقطاع عن العلم، ومنهم على سبيل المثال: أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م الذي كان يكتب نسخًا من « جامع الترمذي » ليتكسب(٣). وأبو محمد المبارك بن علي الطباخ البغدادي المتوفى سنة٥٧٥هـ/١١٧٩م الذي كان يكتب العُمَر، وقيل: العبر، ويبيعها(٤).

واستمرت مهنة الوراقة طيلة التاريخ الإسلامي حتى جاء العصر الحديث، واخترعت آلة الطباعة.

المطلب الرابع: الأسر العلمية:

تعد الأسر العلمية أحد العوامل التي ساهمت مساهمة فعالة في ازدهار الحياة العلمية في مكة المكرمة واستمرارها، ونقصد بتلك الأسر العلماء الذين قدموا مكة بأسرهم أو بمفردهم وتزاوجوا مع غيرهم وأنجبوا الأبناء الذين ورثوا عن ابائهم العلم، وتعاقبت الأجيال ومعهم ذلك الإرث

---

١) سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص٢٠١.

٢) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص١٨٣-١٨٤.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٢٧٥؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٠٢.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٢، ص٥٦٥؛ العبر، ج٣، ص٧٠.

- لم يتم العثور على توضيح لتلك العبارة، ولعل المقصود هنا بالعُمَر تلك الكتب التي تحتوي على ادعية تقال أثناء اداء العمرة، وربما تكون كتب للعبر والمواعظ.

العلمي، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنهم ورثوا أيضًا الوظائف الدينية من إمامة وخطابة في المسجد الحرام.

وأولى تلك الأسر التي ظهرت في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة هي الأسرة الطبرية التي قدمت من المشرق الإسلامي، وتحديدًا من طبرستان، فأصبح البيت الطبري عنصرًا مهمًا من عناصر المجتمع المكي.

وهم ينتسبون إلى قريش، وقد هاجر أجدادهم في غمرة من هاجر في العهد العباسي، ثم ما لبث أن عاد الأحفاد إلى مكة المكرمة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(١).

وقد تفرع عن هذا البيت عدة فروع، وهي(٢) :

١- طبريون شيبانيون.

٢- طبريون حسينيون، ينتسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب(٣) — رضي الله عنهما—.

٣- من عرف بابن القطان.

٤- طبريون معروفون بابن النجار.

وقد عرفت مكة خلال فترة البحث الفروع الثلاثة الأولى.

- **الفرع الأول: الطبريون الشيبانيون:**

وأول من نزل منهم مكة مجاورًا أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الطبري المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٥٩٨هـ/١١٠٥م الذي لازم التدريس بمكة المكرمة ثلاثين عامًا،

---

١) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص١٩٨.

٢) خلود عبد الباقي إبراهيم البدنه: الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٨٧؛ خالد محسن الجابري: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، (مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص١٦٩.

٣) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ريحانة النبي ﷺ، وهو سيد شباب أهل الجنة. أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ولد في السنة الرابعة من الهجرة. قتل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ/٦٨٠م بكربلاء. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة، ج١، ص ٤٩٥-٤٩٨.

وصار له بها أولادٌ وأعقاب، ومن أولاده وأعقابه المشار إليهم، قضاة مكة الشيبانيون(١). ومن أعقابه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الحسين بن علي الشيباني الطبري المتوفى سنة٥٢٣هـ/١١٢٩م، وقد ولد بمكة، وولِيَ قضاءها، وكان فقيهًا فاضلاً، عالمًا بالمذهب والخلاف والفرائض، وله في ذلك تصانيف(٢).

وكذلك أبو المظفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م قاضي الحرمين، وتاج الخطباء، إذ ولِيَ خطابة المسجد الحرام(٣). وأخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمد ابن شيبة بن إياد بن عمرو بن العلاء الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م قاضي الحرمين ومفتيها، وقد ولِيَ قضاء مكة بعد أخيه أبي المظفر، وكذا ولِيَ قضاء مكة من ذريته جماعة(٤).

ومنهم أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م الذي ترجم له الفاسي بالقاضي السعيد العالم عز الدين قاضي الحرمين الشريفين(٥).

وأبو البركات الحسين بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين بن علي الشيباني الطبري الذي لا نعرف تاريخ وفاته، إلا أنه كان قاضي الحرمين، فقد عُثر على صكّيٍ بيع بخطه أحدهما مؤرخ سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م ، والآخر سنة ٥٧١هـ /١١٧٥م ، ولا ندري تحديدًا إلى متى استمرت

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٠٣-٢٠٤؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨٠٢-٨٠٣؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٧؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٦-٤٧٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٢٠٠-٢٠١.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٣٨٤؛ السبكي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٢-٢٣؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٨١.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٥٢؛ عبد الله مرداد أبو الخير: المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق محمد سعيد العامودي، وأحمد علي ، (جدة: عالم المعرفة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٤٥٧؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص٣٧٨.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٣٩٢-٣٩٣.

٥) المصدر السابق، ج٣، ص٧٧.

ولايته للقضاء(١).

وعبد الرحيم بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م – حفيد أبي المظفر محمد – ، وقد ترجم له الفاسي بالقاضي مجد الدين(٢).

وأبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين الشيباني الطبري الذي لا ندري من أمره شيئًا سوى أنه كان قاضيًا بمكة المكرمة، ووليَ الخطابة بالمسجد الحرام(٣).

– الفرع الثاني: الطبريون الحسينيون:

ولعل أول من قدم منهم أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري المتوفى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، وكان قدومه إلى مكة المكرمة سنة ٥٧٠هـ، أو بعدها بقليل، فجاور بمكة مستوطنًا بها. وكان قبل ذلك قد زار قبر الرسول ﷺ، وسأل الله أن يرزقه أولادًا علماء هداة مرضيين، فولد له سبعة أولاد فقهاء، وأصبحوا فيما بعد علماء مكة ورواتها وقضاتها وخطبائها وأئمتها(٤).

منهم أبو جعفر أحمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، الذي ولد بمكة المكرمة سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، وتلقى علومه فيها، حتى تأهل للتدريس والإفتاء بمكة، كما وليَ القضاء بها(٥).

وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المتوفى سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م الذي ولد بمكة سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، ونشأ بها، وطلب العلم على علماء البلد الحرام، ثم تولى إمامة المقام الشافعي، والخطابة بالمسجد الحرام(٦).

---

١) الفاسي: العقد الثمين ، ج٤، ص١٩٣.

٢) المصدر السابق، ج٥، ص٤٢٢.

٣) المصدر السابق، ج٥، ص٢٩٨.

٤) المصدر السابق، ج٨، ص٢٠-٢١؛ الطبري: الأرج المسكي، ص١٩٩؛ عبد الله أبو الخير: المختصر من كتاب نشر النور، ص٢٧٠.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٠-٢١؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٣١٠-٣١٢.

٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص١٤٣-١٤٤؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص٢٨٨.

وأبو طاهر إسماعيل بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري الذي ولد بمكة سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، وقد كتب كتبًا حديثية انتفع الناس بها، وقد وصف بأنه حسن التقييد والضبط مُقيمًا للشكل والنَّقْط مع جودة الخط، وقد عقد له مجالس علمية في المسجد الحرام، ولا نعرف متى توفي إلا أنه كان حيًا سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م(١).

وكان دخول القضاء وإمامة مقام إبراهيم في بيتهم سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م، ولم تزل مخصوصة بهم يباشرونها دون حاجة إلى إذن جديد لوقوع الإذن المطلق لهم، وظلت مناصب الإمامة والخطابة والقضاء والفتوى والتدريس يتولونها كابرًا عن كابر، ويفتخرون بذلك(٢).

- الفرع الثالث: من عرف بابن القطان:

تمثل هذا الفرع في أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن محمد القطان الطبري المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م الذي جاور بمكة، وجلس فيها للاقراء والتحديث(٣).

وقد ساهمت هذه الأسرة بشكل كبير في الحركة العلمية، ودفعها للأمام، إذ كان معظمهم على درجة عالية من العلم، وقد درس على أيديهم الآلاف من طلبة العلم، وقدموا الإجازات العلمية، فذاع صيتهم، ولا غرو من ذلك، فهم في كل عام يقابلون آلافًا مؤلفة من الحجاج القادمين من مختلف الأقطار، فيجتمعون بهم، ويتبادلون معهم المعارف في مختلف العلوم(٤).

وعليه يتضح أن هذه الأسرة كانت نواة الأسر العلمية التي تصدرت للتعليم في مكة المكرمة خلال القرون التالية، كأسرة النويري، وآل ظهيرة الذين استطاعوا أن يشاركوا الطبريين فيرئاسة التدريس بمكة، وأن يتداولوا الخطبة والإمامة و الفتوىفي المسجد الحرام(٥).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٩٨-٢٩٩.

٢) عبد الله أبو الخير: المختصر من كتاب نشر النور، ص٢٧٠-٢٧١؛ يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص٥٤.

٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٥٠؛ الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٦٣؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٠٨.

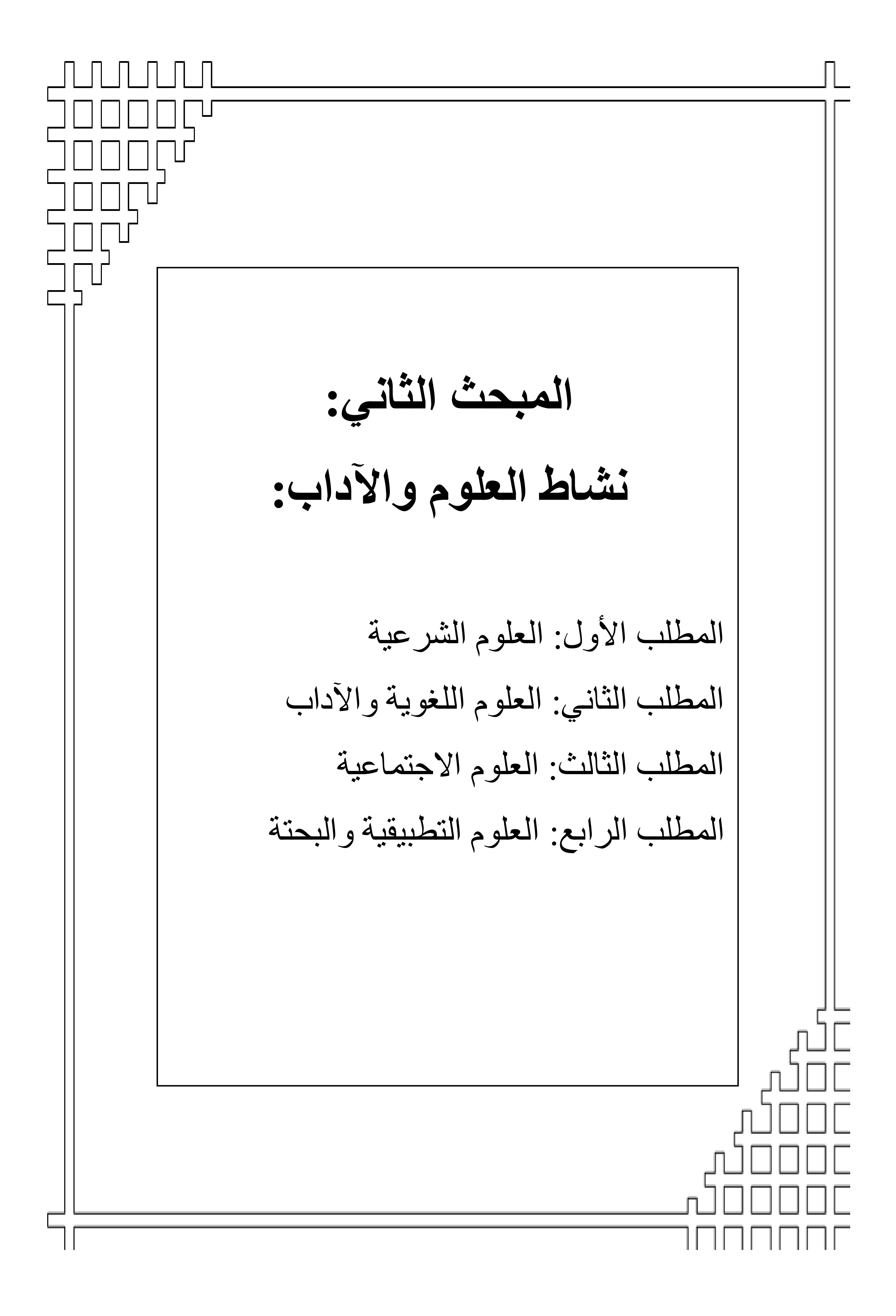
٤) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص٢٢٢.

٥) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص٢٢٤.

وقد انقرضت هذه الأسرة الطبرية في القرن الثالث عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، و لم يبقَ لهم سوى نسل من بطون البطون(١).

---

١) يوسف الصبحي: وسام الكرم، ص٥٤.



المبحث الثاني:

نشاط العلوم والآداب:

المطلب الأول: العلوم الشرعية

المطلب الثاني: العلوم اللغوية والآداب

المطلب الثالث: العلوم الاجتماعية

المطلب الرابع: العلوم التطبيقية والبحتة

المطلب الأول: العلوم الشرعية:

أسهم المشرق الإسلامي بعلمائه في العملية التعليمية في مكة المكرمة، فقد احتل علماء المشرق الإسلامي خلال فترة البحث مكانة عالية في مكة المكرمة، فأثبتوا أنهم أهلٌ لذلك، حيث خاضوا معترك الحياة العلمية بمختلف ميادينها مشاركين بذلك في ازدهارها بشتى الطرق والوسائل التي اتيحت لهم.

وكانت العلوم الشرعية من أبرز الميادين التي وضح فيها نشاطهم وحيويتهم كما سيتضح من خلال البحث، حيث ركز عليها العلماء والطلاب في دراستهم وتدريسهم بمكة المكرمة، فقد أقبل طلبة العلم على دراسة علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه. وفيما يلي عرضًا لهذه العلوم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين:

- **علم القراءات:**

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليه الصلاة والسلام يتلو الآيات فور نزولها على الصحابة – رضوان الله عليهم –، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتناقلها الناس واشتهرت إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضًا بأدائها، ونسبت إلى من أشتهر بروايتها، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة(١).

---

١) ابن خلدون: المقدمة، ص٥٢٤-٥٢٥؛ سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص٢٦٥.
- القراء السبعة هم: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي الكسائي، وعبد الله بن عامر. انظر، ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط٢، (د.ت))، ص١٣-١٤؛ القيسي، مكي بن أبي طالب حموش: الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي، (دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م)، ص٣١؛ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٤١٤؛ مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، (د.ت))، ص١٥٤.

وعليه فإن القراءات مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب إليه إمامًا من أئمة القراء مخالفًا به غيره(١)، وهي باقية إجماعًا يقرأ بها الناس. ومنشؤها اختلاف في اللهجات، وكيفية النطق، وطرق الأداء من تفخيم، وترقيق، وإمالة، وإدغام، وإظهار، وإشباع، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف ... إلخ(٢).

والقراءات التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، و وافق اللفظ بها خط مصحف عثمان بن عفان(٣) – رضي الله عنه – الذي أجمع الصحابة – رضوان الله عليهم –، ومن أتى بعدهم عليه، ونبذ ما عداه مما يخالف خطه(٤).

ويلحظ أن علم القراءات قد نال نصيبه من اهتمام علماء المشرق الإسلامي، فقد زخرت مكة المكرمة بهؤلاء العلماء الذين يشار إليهم بالبنان في هذا العلم، وممن اشتهروا في هذا الميدان بمكة خلال فترة البحث: أبو أسامة محمد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م بمكة(٥).و أبو علي الحسن بن محمد النرسي العديسي البزار المتوفى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م الذي رحل إلى مكة في آخر عمره مجاورًا، فسكنها، وكان عارفًا بالقراءات(٦).

ومنهم أبو عبد الله محمد بن حسين الفارسي الكارزيني المتوفى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م أو بعدها ، وكان هذا العالم الفارسي قد جاور بمكة المكرمة (٧)، فأخذ يدرس هذا العلم ، وتخرّج

---

١) محمد الزرقاني: مناهل العرفان، ج١، ص٤١٠؛ مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص١٥٣.

٢) مناع القطان: المرجع السابق، ص١٥٤.

٣) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. يكنى: أبا عبدالله، وقيل: أبو عمرو. أسلم في أول الإسلام، حيث دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام فأسلم. لقب بذي النورين؛ لأنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ رقية، ثم أم كلثوم. وكان ممن هاجر إلى الحبشة. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. بويع بالخلافة سنة ٢٣هـ/٦٤٤م، وقيل: ٢٤هـ/٦٤٥م. وفي عهده تم كتابة وجمع القرآن الكريم؛ وذلك لاختلاف القراء في القراءة. قُتل بالمدينة سنة ٣٥هـ/٦٥٦م. انظر، ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص ٤٨٠-٤٨٩؛ العسقلاني: الإصابة، ج٤، ص٣٧٧-٣٧٩.

٤) القيسي: الإبانة عن معاني القراءات، ص٣٢؛ سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص٢٦٥.

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٦٤؛ تاريخ الإسلام، ج٩، ص٣٣٣.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص١٧٠.

٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٦.

على يديه كثير من العلماء ممن برعوا في هذا العلم، مثل: أبي القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي المتوفى سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م الذي قرأ عليه بمكة، ثم عاد للأندلس، وأصبح مقرئ أهل قرطبة، وقد صنف في هذا العلم كتاب « المفتاح في القراءات »(١)، وأبي علي الحسن بن القاسم الواسطي المشهور بغلام الهراس المتوفى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م الذي عنى بالقراءات، وسافر فيها إلى النواحي(٢)، وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الرازي المتوفى سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م الذي قرأ بروايات على أبي عبد الله الكارزيني(٣).

وممن برع في هذا العلم بمكة أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المتوفى سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م الذي يعرف بإمام الحرمين، كان مقرئًا ومحدثًا(٤). وأبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي المتوفى سنة ٤٥٤هـ /١٠٦٢م كان مقرئًا فاضلاً كثير التصانيف(٥).

وكذلك أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م الذي يعتبر أحد مفاخر علماء المشرق الإسلامي الذين جاوروا بمكة، وكان رائدًا في هذا العلم، فقد صنف فيه كتبًا عده، منها كتاب «الرَّشاد في شرح القراءات الشاذة»، وكتاب «التلخيص في القراءات الثمان»، وكتاب «سوق العروس في القراءات المشهورة والغريبة»(٦).

---

١) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج٢، ص٤٥٣؛ ابن الجزري: غاية النهاية، ج١، ص٤٨٢.
- هو أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس الأنصاري القرطبي. ولد سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م. كان من جلّة المقرئين، والخطباء الحفاظ المجودين، فهو مقرئ محرر أستاذ كامل متقن كبير. رحل في طلب القراءات إلى دمشق، وحران، ومصر، وميافارقين، ومكة. انظر، ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٣٠٧؛ ابن الجزري: المصدر السابق، ج١، ص٤٨٢.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٢٥٩.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١٩٠-١٩١.

٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص١٩٩.

٥) ابن العماد: المصدر السابق، ج٥، ص٢٢٩.

٦) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج١، ص٤٣٥-٤٣٦؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٤٢٣-٤٢٤؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٥٠؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٥؛ الداودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٣٣٣؛ ابن الجزري: المصدر السابق، ج١، ص٤٠١.

والحق أن أبا معشر قد ذاع صيته بين الناس، واشتهر بالثقة وصحة الإسناد، وأقبل طلبة العلم من مختلف الأقطار إلى مكة للأخذ عن أبي معشر، والتلقي عليه، فهو مقرئ أهل مكة في عصره، وشيخ القراء بها(١).

وكان ممن درس على يديه أبو جعفر أحمد بن ثعبان الكلبي الأندلسي المتوفى بعد سنة٥٤٠هـ/١١٤٥م الذي لقب بالبكي؛ وذلك لطول فترة مجاورته بمكة المكرمة، وكان طوال إقامته بها يقرأ القرآن على أبي معشر، وسمع منه كتاب « التلخيص »، ثم ما لبث أن عاد إلى اشبيلية، وتصدر للإقراء بها، وانتفع به الخلق(٢)، والمقرئ إبراهيم بن عبد الملك القزويني المتوفى في حدود ٥٤٠هـ/١١٤٥م الذي جاور بمكة، وقرأ القرآن على أبي معشر(٣)، وعبد الله بن عمر القيرواني المعروف بابن العرجاء المتوفى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م الذي قرأ على أبي معشر برواياتٍ عدة(٤).

وكذلك من علماء القراءات أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البغدادي المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م الذي أقام بمكة مدة، ثم قفل راجعًا إلى العراق(٥). وأبو العباس أحمد بن محمد الرناني المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤١م، وذلك بعد خروجه من الحجاز، وكان عالمًا مقرئًا فاضلاً(٦).

وقد ازدحم طلبة العلم على أبي عبد الله محمد بن أبي السعود المبارك الحربي الحلاوي المقرئ المتوفى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م؛ ليقرأوا عليه بالإجازة(٧). وأبو الفتوح نصر بن محمد البغدادي الحصري المتوفى سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م الذي نزل مكة مجاورًا عشرين عامًا، وقد عني

---

١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٥٠؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٥؛ محمد محيسن: معجم حفاظ القرآن، ج٢، ص٤٠١.

٢) ابن الآبار: تكملة الصلة، ج١، ص٥١؛ ابن الجزري: غاية النهاية، ٤١-٤٢.

٣) ابن الجزري: المصدر السابق، ج١، ص٤٠١؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٣١-٢٣٢.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٢١٧- ٢١٨.

٥) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٤.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٩٤.

٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١٣١.

بالقراءات، واستـفـاد منه أهل مكة والوافدون إليها، وقد وصفه السيوطي بأنه شيخ القراء، وكما قد كان أحد أئمة المقامات في المسجد الحرام(١).

- **علم التفسير:**

والتفسير هو الفرع الثاني من العلوم الشرعية، ويعرف علم التفسير بأنه مأخوذ من الفَسر، وهو الكشف والإظهار، فهو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، و مدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحتمل عليها حالة التركيب(٢)، وكذا يبحث عن أسباب نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها(٣).

والجدير بالذكر أن علم تفسير القرآن هو أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان، ويأتي هذا الشرف من موضوعه، وغرضه، وشدة الحاجة إليه، فموضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، وأساس كل فضيلة، فيه أخبار الأمم السابقة وما بعدها.

وأما الغرض منه فهو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، فهو علمٌ يهدف إلى إفهام الناس عما في كتاب الله من الكنوز والخيرات، ويساعد على تدبر كتاب الله.

وأما شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وجميعها تتوقف على العلم بكتاب الله تعالى(٤).

---

١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٨٢-١٣٨٣؛ ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٢٧٠، ٢٧٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣٣٢؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٨٧.

٢) السيوطي: التحبير في علم التفسير، تحقيق زهير عثمان علي نور، (قطر: مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص٨٩-٩٠.

٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى القصاص، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢، ص٤٩١.

٤) المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٦.

وكان من أبرز المفسرين الذين تواجدوا في مكة المكرمة من المشرق الإسلامي خلال فترة الدراسة: أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م الذي اشتغل في صدر عمره بالتفسير، ثم قصد مكة حاجًا، ولابد أنه قد التقى بطلاب العلم في هذا الموسم، فاستفادوا منه، وقد غرق هذا العالم في بحر القلزم – البحر الأحمر – اثناء انصرافه من الحج(٢). وأبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م صاحب كتاب « التيسير في علم التفسير » الذي يعتبر من أجود التفاسير(٣).

ومنهم أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م صاحب كتاب «الدرر في التفسير»(٤). وأبو المظفر منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م الذي كان إمامًا في التفسير، وصنف فيه كتابًا(٥). وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٢٣هـ /١١٢٩م كان إمامًا في التفسير(٦).

وأبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤١م الذي كان عارفًا بالتفسير(٧).

ومن أبرز علماء التفسير أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة٥٣٨هـ/١١٤٣م الذي كان إمامًا في التفسير في عصره، وقد صنّف الزمخشري كتابه «الكشاف» في تفسير القرآن الكريم بمكة المكرمة، وقام بتدريسه هناك(٨).

---

١) السيوطي: الإتقان ، ج٢، ص٤٩٦.

٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٢.

٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٥٠، ١٥٣؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٩٦؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٠٧-٦٠٨.

٤) السبكي: المصدر السابق، ج٣، ص١٥٠؛ ابن الجزري: غاية النهاية، ج١، ص٤٠١؛ الداودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٣٣٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٥.

٥) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٩٩؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٥، ص٣٩٤.

٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٣٨٤.

٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٨٠-٨١، ٨٣.

٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٨؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٢٠؛ طاش كبرى زاده: المرجع السابق، ج٢، ص٨٩-٩٠.

- علم الحديث:

احتل هذا العلم من المسلمين مكانة عالية وعناية عظيمة قلما احتلها علم آخر. وكان السبب في هذا أن مصدره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعني علماء المسلمين بالحديث والتحري عن صحته و وضع قواعد وأسس لمعرفة صحيحه من زائفه، واستعانوا بالتاريخ والتراجم لدراسة أحوال الرواة ضبطًا وعدالة للوقوف على سلامة الحديث من ضعفه(١).

وقد قال السمعاني في ذلك: " اعلم وفقك الله أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ أن الأحكام مبنية عليها، ومستنبطة منها والله سبحانه وتعالى شرف نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[سورة النجم: ٣-٤]. وألفاظ رسول الله ﷺ لابد لها من النقل، ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح، والصحة في الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة والعدل عن العدل(٢) ".

ولقد وجِد بالفعل في مكة المكرمة خلال فترة البحث من يهتم بعلم الحديث من علماء المشرق الإسلامي، ومن هؤلاء: أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م الذي كان يروي « صحيح البخاري » على طلاب العلم في المسجد الحرام، حيث كان من كبار مشيخة الحرم المكي(٣)، مما جعل عددًا كبيرًا من طلاب علم الحديث يفدون إليه بمكة المكرمة للاستفادة من علمه، مثل: أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م الذي لزم أبا ذر ثلاثة أعوام، وحمل عنه علمًا كثيرًا(٤)، وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى القيسي الإشبيلي المتوفى سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م الذي رحل إلى مكة، ولقي أبا ذر، فصحبه ،

---

١) سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص٢٥١.

٢) السمعاني: أدب الأملاء والاستملاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٣-٤.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٥٤،٥٥٥، ٥٥٩.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٦٥.

وكتب عنه «الصحيح»(١)، وأبي عبد الله محمد بن سعدون القروي المتوفى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م(٢).

وقد كان لأبي ذر مؤلفات عديدة في علم الحديث استفاد منها طلاب العلم المشتغلين بهذا العلم، ومن تلك المؤلفات: كتاب «السُّنة»، وكتاب «الجامع»، وكتاب «الصحيح المسند المخرج على الصحيحين »(٣).

ومن أبرز علماء الحديث أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوائلي السجزي المتوفى سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م الذي كان أحد الحفاظ المتقنين، عارفًا بالحديث(٤)، وهو صاحب كتاب «الإبانة الكبرى عن مذهب السلف في القرآن »(٥). وأبوالقاسم بن عبد العزيز بن بندار الشيرازي المتوفى بعد سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م الذي جاور بمكة المكرمة مدة طويلة، وكان عالمًا بالحديث(٦)، وقد درس على يديه أبي الخليل مفرج بن عبد الله المالكي الذي كان في مكة سنة٤٥٢هـ/١٠٦٠م(٧). وكريمة بنت أحمد بن محمد المروزية المتوفاة سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، وقيل: ٤٦٥هـ/١٠٧٣م التي جاورت بمكة المكرمة، وكانت عالمة بعلم الحديث، وقد روت «صحيح البخاري» مرات كثيرة على طلاب العلم بمكة، فأقبل عليها الطلاب من مختلف الأقطار، وذلك للسماع منها، والاستفادة من علمها، ومن الملاحظ أن أغلب تلاميذها كانوا من طلاب العلم الذين قدموا إلى مكة في موسم الحج، فأخذوا عنها، وما هذا إلا دليلٌ

---

١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٢٨٣؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٤٣٠.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٥٤٩؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٨.

- هو أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال، أصله من القيروان. كان من أهل العلم بالأصول والفروع، وكتب الحديث بالقيروان، ومصر، ومكة. وسمع منه الناس بقرطبة، وبلنسية، والمرية. انظر، ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٨.

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٥٩-٥٦٠.

٤) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٥٧٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص١٩٤.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٦٥٧؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣، ص٣٩٩ ؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٤٨.

٦) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٤٩٢-٤٩٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٩، ص٧٠٩.

٧) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢، ص٤٨٠.

واضح على أن هذه المرأة العالمة كان لها حضور قوي في موسم الحج، وما يصاحب هذا الموسم من التقاء العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، ومن أبرز تلاميذها: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، وأبو طالب الحسين بن محمد الزينبي(١)المتوفى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، وأبو المظفر منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي المتوفى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م(٢)، وشميلة بن محمد بن جعفر الحسني المكي الذي كان حيًا سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م(٣).

ومن علماء الحديث أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م الذي كان عارفًا بالحديث(٤). وأبو عبد الله الحسين بن علي الطبري المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٤٩٨هـ/١١٠٥م الذي كان يروي « صحيح البخاري»، و« صحيح مسلم » بمكة المكرمة، وكان أسند من بقي في « صحيح مسلم »(٥)، وأقبل عليه طلبة العلم للسماع منه، ومن هؤلاء أبو محمد عبدالله بن أبي جعفر المرْسي(٦) المتوفى سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م الذي سمع منه « صحيح مسلم »(٧)، وأبو بكر غالب بن عبد الرحمن المحاربي المتوفى سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م الذي سمع منه « صحيح مسلم » أيضًا، ونال منه إجازة علمية(٨).

---

١) هو القاضي نور الهدى أبي طالب الحسين بن محمد بن علي بن حسن الزينبي الحنفي. ولد سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م. سمع من أبي القاسم التنوخي، وأبو عبد الله الدامغاني، وطائفة. ودرَّس بمدرسة شرف الملك. وحدَّث عنه عبد الغافر الكاشغري، وهبة الله الصائن، وغيرهما. ووليَ نقابة العباسيين والطالبيين، ثم استعفى بعد مدة. انظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٥٣- ٣٥٤.

٢) المصدر السابق، ج١٨، ص٢٣٣-٢٣٥.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٢٤٢.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٨٨؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٤٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٣٠٧-٣٠٨.

٥) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٦؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٥، ص٤٢٠.

٦) هو أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر محمد بن عبد الله بن أحمد الخُشَنِي المرْسي، الفقيه. ولد بمُرْسية سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. كان حافظًا للفقه على مذهب مالك، وعارفًا بالتفسير. سمع من حاتم بن محمد، وأبي عمر بن عبدالبر، وأبي العباس العُذْري، وطائفة. كان رفيعًا في أهل بلده، مُعظمًا فيهم. انظر، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٤٤٨-٤٤٩.

٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٦٠٢-٦٠٣؛ ابن العماد: المصدر السابق، ج٦، ص١٢٩.

٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٨، ص٣٦٤.

وفي مقدمة علماء الحديث أبو مكتوم عيسى بن عبد الهروي المتوفى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م، وهو ابن الحافظ أبي ذر الهروي، كان عارفًا بـ « صحيح البخاري »، وقد رواه عنه جماعة آخرهم علي بن حميد بن عمار الأطرابلسي، وأبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي الذي قصد مكة حاجًا سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م، وسمع « الصحيح » من أبي مكتوم، ثم اشترى منه «صحيح البخاري» أصل أبيه(١). وأبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م الذي أقام بمكة مدة طويلة ناشرًا للعلم، ويُسمِّع الحديث، ويروي « صحيح مسلم »(٢).

ومنهم أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م الذي تكلم في الرجال وأحوالهم(٣). وأبو المظفر محمد بن علي الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م الذي كان يروي « صحيح مسلم » عن جده الحسين بن علي الطبري، عن عبد الغافر الفارسي(٤).

ومن علماء الحديث أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م الذي كان يروي «جامع الترمذي » على طلاب العلم بمكة المكرمة(٥)، وكان ممن درس على يديه أبو الحسن علي بن نصر الواسطي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م الذي سمع منه « جامع الترمذي » مع كتاب « العلل » في مجالس آخرها

---

١)الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٥١٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٤٦١-٤٦٢.

٢)ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٤٩-٥٥٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص١٥٧.

٣)الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٧٨.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٥٢.

- هو أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي. ولد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، سمع من جده أبي القاسم القشيري، وإمام الحرمين عبد الملك الجويني، وأبو محمد الجوهري، وطائفة. وكان من أعيان المحدثين، وبصيرًا باللغة. وقد صنّف عدة كتب، مثل: «تاريخ نيسابور »، و« مجمع الغرائب »، و «المفهم لشرح مسلم ». وروى عنه بالإجازة أبو القاسم بن عساكر. توفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م. انظر، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٧٥- ١٢٧٦.

٥) ابن العماد: المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٤.

سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م بمكة(١). وأبو محمد يونس بن يحيى الأزجي القصّار البغدادي المتوفى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م الذي حدّث بمروياته وسماعاته بمكة المكرمة، وأيضًا روى «صحيح البخاري » هناك(٢).

وكذلك من علماء الحديث أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني المتوفى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م الذي كان حافظًا لـ « جامع الترمذي »(٣)، فوفد إليه كثير من العلماء وطلاب العلم للسماع منه والأخذ عنه، وكان ممن قدم إليه أبو بكر محمد بن علي الطائي الحاتمي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م(٤)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الكازروني المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م(٥). وكذلك أبو الفتوح نصر بن محمد البغدادي الحصري المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م الذي كان من حفاظ الحديث، والعارفين بفنونه، وكان يروي « سنن أبي داود » على طلاب العلم المهتمين بالحديث(٦).

- **علم الفقه:**

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٧١.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٢٠٦-٢٠٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٥٠٠.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٤٢٦.

٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٢٧٣.

- هو أبو بكر محمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن عبد الله لطائي الحاتمي الأندلسي المرسي، الملقب محيي الدين، ويعرف بابن عربي. رحل وسمع بأشبيلية، ومرسية، وسبتة، ودمشق. وقصد مكة سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، وجاور بها عدة سنين. ومن تصانيفة كتاب « الفتوحات المكية » ، و « فصوص الحكم ». انظر، الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٦٠، ١٦١، ١٨٦، ١٩٩.

٥) المصدر السابق، ج٢، ص١٢١.

- هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير ذاكر بن أحمد ابن الحسن الكازروني المكي. ولد سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م. سمع من يحيى بن ياقوت البغدادي كتاب « فضائل العباس لابن السمرقندي، وحدّث. انظر، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١.

٦) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٢٧١- ٢٧٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣٣٢ .

والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه(١).

وعليه فإن الفقه علم يبحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية(٢).

وقد مر علم الفقه بأطوار من النمو والازدهار، وقد وصل إلى منتهى قوته في القرون الأربعة السابقة، فلم يأتِ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلا وقد توقف علماء الفقه عن الاجتهاد، واقتصروا على الترجيح في الأقوال المذهبية، والاختيار منها، والنقل عمن تقدم فقط، وانصرفوا إلى شرح كتب المتقدمين، واختصارها وجمع فروعها(٣).

وقد عرف هذا الطور بمرحلة الشيخوخة والهرم، وذلك لأنه لما انتهى الفقه إلى الأئمة الأربعة، وكانوا بمنزلة من حسن الظن بهم، اقتصر الناس على تقليدهم، ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبته، وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان، وافتقاد من يقوم على غير هذه المذاهب الأربعة، فأقيمت هذه المذاهب أصول الملة(٤). ونعني بالتقليد أنه أصبح تلقي الأحكام من إمام معين، واعتبار أقواله كأنها نصوص من الشارع يلزم المقلد اتباعها(٥).

وقد برز في مكة المكرمة خلال فترة البحث عدد من علماء المشرق الإسلامي الذين برعوا في علم الفقه، ومنهم: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١١٨٢م الذي كان يُعد إمام المشرق كله في الفقه والأصول، وكان ممن جاور بمكة المكرمة، واشتغل

---

١) ابن خلدون: المقدمة، ص٥٣٤.

٢) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج٢، ص١٢٨٠؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص١٧٣؛ صديق القنوجي: أبجد العلوم، ج٢، ص٤٠١-٤٠٢.

٣) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ج٢، ص١٦٣.

٤) ابن خلدون: المقدمة، ص٥٤٦.

٥) محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط٩، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص٢٣٦.

بالتدريس بها(١)، فاستفاد منه طلاب العلم، مثل: الفقيه الأصولي أبي عبد الله محمد بن سعيد الميورقي المتوفى سنة٤٦٠هـ/١٠٦٨م الذي قدم لمكة المكرمة، ولزم الإمام أبا المعالي، فنقل عنه مؤلفاته، ثم عاد لميورقة(٢)، فتصدَّر بها لتدريس الفقه وأصوله(٣). وأبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بابن اللَّجَالش المتوفى سنة٤٩٠هـ/١٠٩٧م الذي رحل لمكة، فاستوطن بها، وأخذ عن أبي المعالي الجويني(٤).

وقد صنّف الإمام أبو المعالي في علم الفقه عددًا من المؤلفات منها: كتاب «نهاية المطلب في دراية المذهب»، وكتاب «الأساليب في الخلاف»، أما في أصول الفقه فقد صنّف كتاب «البرهان»(٥).

ومن أشهر الفقهاء أبو نصر محمد بن هبة الله البندنيجي المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م الذي جاور بمكة المكرمة أربعين عامًا، وقد عرف بفقيه الحرم، وقد صنّف في علم الفقه كتاب « المعتمد في الفقه »(٦). وأبو عبد الله الحسين بن علي الطبري المتوفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، وقيل: ٤٩٨هـ/١١٠٥م الذي لازم التدريس لمذهب الشافعي بمكة المكرمة نحوًا من ثلاثين عامًا(٧). والفقيه أبو الفرج محمد بن محمود الأنصاري القزويني المتوفى سنة ٥٠١هـ / ١١٠٨م

---

١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٦٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٠٧؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٧٢-٧٣.

٢) هي جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب من جزيرة منورقة، وقد فتحها المسلمون سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م. انظر، الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٧.

٣) ابن الآبار: التكملة، ج١، ص٣٩١ ؛ المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي: السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط١، ١٩٧٣م)، ص٢١٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص١٣٤.

٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص٤٤١.

٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨؛ السبكي: المصدر السابق، ج٣، ص١٦٣؛الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٩٨؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٧٣.

٦) السبكي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٥؛ الأسنوي: المصدر السابق، ج١، ص١٠٠.

٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٠٤؛ تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٨٠٣.

الذي حج سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م، وأملى مجلسًا بمكة(١).وأبو نصر محمد بن هبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م كان فقيهًا بارعًا، جاور بمكة المكرمة مدة، وسمع وحدّث بها(٢).

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيباني الطبري المتوفى سنة ٥٢٣هـ /١١٢٩م كان فقيهًا فاضلاً عارفًا بالمذهب(٣). وأبو طاهر يحيى بن محمد الضَبِّي المحاملي البغدادي المتوفى سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م الذي جاور بمكة المكرمة، وكان يتردد إلى بغداد، كان عارفًا بالمذهب، وله مصنَّف في الفقه(٤).

وعُرف أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م بفقيه الحرم لطول إقامته بمكة المكرمة، وكان بارعًا في الفقه والأصول(٥).

ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد الأكّاف النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م الذي صحب الشيخ عبد الملك الطبري بمكة، ودرّس مختصر أبو محمد الجويني هناك(٦). و أبو الحسن رافع بن نصر البغدادي المعروف بالحمّال المتوفى سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م كان فقيهًا أصوليًا(٧).

المطلب الثاني: العلوم اللغوية والآداب:

وتشتمل على علم اللغة والنحو، وعلم الأدب، وهي كالتالي:

- **علوم اللغة والنحو:**

لقد حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جدًا منذ أن شرفها الله بأن أنزل

---

١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٢٨-٢٩.

٢) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢١-٢٢؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٨٠.

٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٣٨٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٣٣.

٤) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج٢، ص٥٥٣.

٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١١، ص٥١٢-٥١٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص١٥٧.

٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٣٦٣-٣٦٤.

٧) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٣٨٩؛ الأسنوي: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٥.

القرآن بها. فأصبحت لغة الأمة الإسلامية ذات الجذور العريقة الممتدة في أعماق التاريخ. لذلك انصب اهتمام المسلمين بها فأرّخوا لها، وجمعوا واستنبطوا منها الأصول ووضعوا القواعد،كل ذلك بغية المحافظة على هذه اللغة الأصيلة من التأثر بلغات الأقوام الأخرى، وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية، والتي نجم عنها اختلاط العرب بغيرهم، وشيوع اللحن بين الناس، فظهرت الحاجة إلى حفظ اللغة العربية، كونها تخدم الدراسات الشرعية من قراءات، وتفسير، وحديث، وكذلك لضبط اللغة العربية وأصولها(١).

ويمكن تعريف هذه العلوم بأنها تبحث عن مدلولات جواهر المفردات، وهيئاتها الجزئية، بالإضافة إلى البحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعًا نوعيًا لما أراده المتكلم من المعنى، وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية، والاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية(٢).

وقد مر علم النحو بأربعة مراحل مهمة هي مرحلة الوضع والتكوين ورائدته البصرة، ثم مرحلة النشوء والنمو وقد شاركت الكوفة البصرة في هذا الدور، ثم مرحلة النضج والكمال، وفيه التقى البصريون والكوفيون ببغداد، ثم مرحلة الترجيح والبسط في التصنيف الذي نشأ في بغداد، وكان عماده الترجيح بين الفريقين. ولا نستطيع وضع حد زمني للفصل بين كل مرحلة وأخرى، وذلك لأن المراحل لابد من تداخلها وسريان بعض أحكام سابقها على لاحقها(٣).

وعليه يتضح أن اقليم العراق هو الذي تولى زمام الاهتمام بعلم النحو، ولكن هذا لا يعني أن بقية الأقاليم الإسلامية الأخرى كانت بمنأى عن الاهتمام بهذا العلم، خاصة وأننا نعلم أهمية هذا العلم بالنسبة للعلوم الشرعية.

وقد برع في مكة المكرمة على مدى القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين عدد من علماء المشرق الإسلامي الذين كانت لهم معرفة بعلوم اللغة

---

١) علي الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص٣٦٧؛ رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق، ص٣٢٧.

٢) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص١٠٠،١٠١، ١٣٨.

٣) محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، راجعه وعلق عليه سعيد محمد اللحام، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٢١.

العربية، ومنهم: أبو الفتح سُليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م الذي اشتغل في بداية حياته باللغة، والنحو(١). وأبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م كان عارفًا بالنحو(٢). وأبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م الذي له كتاب في اللغة(٣).

ومنهم أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي السرَّاج المتوفى سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م الذي كان عالمًا بالنحو، واللغة(٤). وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البغدادي المتوفى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م الذي أقام بمكة، وحدّث بها، وكان عارفًا بالنحو(٥). وأبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م الذي كان عارفًا بالإعراب(٦).

ومن أبرز علماء اللغة والنحو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م الذي كان لا يبارى في اللغة والنحو، وجاور بمكة المكرمة مدة من الزمان، صنّف خلالها كتابه « أساس البلاغة »، وهو معجم يهتم بالمجاز والاستعارة، وكتاب «المفصل في تعليم النحو »، و كتاب « جواهر اللغة »(٧)، وكتاب « المحاجاة بالمسائل النحوية » الذي قدمه للأمير علي بن عيسى بن وهاس(٨). ولاريب في أن الزمخشري قد بعث في مكة المكرمة حركة علمية في فنون اللغة والنحو، ولابد أن الكثير من طلاب العلم شدُّوا رحالهم إليه في مكة ليتلقوا عنه مصنفاته، وليحملوا عنه الإجازات بروايتها سماعًا وإلقاء(٩).

---

١) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٢.
٢) المصدر السابق، ج٥، ص٢٧٥.
٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٧٥.
٤) ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١، ص٤٧٤-٤٧٥.
٥) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص٤٠٤.
٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٨٣.
٧) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص١٣، ١٥، ١٦ ؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٦٣-٦٤.
٨) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج١، ص١٣.
٩) شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٦٤.

ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن أفضل الزمان المتوفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م كان عالمًا متبحرًا في النحو(١).

- علم الأدب:

لم يكن علم النحو واللغة هو الشيء الوحيد الذي اهتم به المسلمون في مجال العلوم اللغوية والأدبية، فقد نال الأدب نصيبه أيضًا من الاهتمام، فوصل به علماؤه إلى أسمى أنواع الإبداع.

واتسع مدلول الأدب، فأصبح يطلق على الأشعار، والأخبار، والوصايا، والخطب، والأمثال، والرسائل بكافة أنواعها، ومن ثم أصبحت كلمة أدب تطلق على مادتي الشعر والنثر وما يتصل بها من الأخبار والطرائف(٢).

ففي جانب النثر نهضت الخطابة في مكة المكرمة، ولا سيما الخطابة الدينية، ويتضح ذلك من الخطب التي يلقيها أئمة المسجد الحرام في مختلف المناسبات، ومجالس القصاص والوعاظ، وكانت تلك الخطب تستمد مادتها العلمية من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وقصص الأنبياء والرسل والأمم السابقة. وتكمن الأهمية الأدبية فيما تحتويه هذه القصص من أساليب بلاغية وأدبية رفيعة، يحرص عليها القاص لإثارة المشاعر وتحريك العواطف وتحفيز النفوس وإيقاظ الشعور، وذلك لاستقطاب المستمعين ونيل استحسانهم، فالعبارة البليغة لها وقعٌ كبير في آذان المستمعين(٣).

وقد أشرنا في موضع سابق إلى تولي بعض علماء المشرق الإسلامي الخطابة في المسجد الحرام، وكيف أنهم توارثوا هذا المنصب، وهذا خير دليل على امتلاكهم ملكة كتابة الخطب بأسلوب أدبي رفيع جعلهم ينافسون المكيين في تولية المنصب.

---

١) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤٣٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٧٧؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص٣٢٤.

٢) هدى بنت جبير السفياني: الحياة العلمية في الري وإقليم الجبال في العصر البويهي (٣٣٠-٤٢٠هـ/ ٩٤١-١٠٢٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٣٢.

٣) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٢٩٧.

ومن بين أنواع النثر أيضًا الرسائل والمكاتبات التي كانت تتم بين العلماء أنفسهم، أو مع الطلاب سواء كانوا من داخل مكة أو خارجها، بما احتوته من استفسارات علمية أو فتاوى أو إجازات. ويضاف إلى ذلك الحكم والأمثال التي يتفوه بها العلماء، ويتناقلها طلبة العلم للاستدلال بها(١).

أما في جانب الشعر فقد نشط في مكة المكرمة، خاصة وأنه قد وفد إليها عدد كبير من الشعراء غير الذين استقروا بها، فامتلأت كتب التراجم والطبقات بأشعارهم، حتى إن أمراءها الأشراف كانوا يجيدون نظم الشعر(٢)، مثل: الأمير أبي الفتوح الذي قال(٣):

وصلتني الهموم وصل هواكِ   وجفاني الرقاد مثل جفاكِ
وحكى لي الرسول أنكِ غضبى   يا كفى الله شر ما هو حاكِ

وقد عرفت مكة المكرمة مختلف الأغراض الشعرية من مدح، وهجاء، وغزل، ورثاء، وزهد، ومدائح نبوية. وقد انتشر الغرض الأخير بشكل كبير بمكة، وهذا ناشئ عن وجود الشعراء في المشاعر المقدسة، مما أيقظ فيهم العواطف الدينية نحو رسول الله ﷺ ، فأخذوا ينظمون القصائد في مدحه عليه الصلاة والسلام(٤).

و كان معظم الأدباء المشارقة في مكة المكرمة قد كرسوا أنفسهم في تعليم أبناء مكة وغيرهم، وأذكر منهم: أبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م الذي كان له معرفة بالأدب(٥). وأبو المظفر طاهربن محمد البروجردي المتوفى ظنًا سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م الذي انتقل إلى مكة، فجاور بها، و ولي قضاءها، كان عالمًا

---

١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة ، ص٢٩٨-٢٩٩.

٢) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص٥٢٥.

٣) الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي: دُمية القصر وعُصرة أهل العصر، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، (بيروت: دار الفكر العربي، (د.ت))، ج١، ص٣٠. وقد نسب الفاسي هذين البيتين إلى الأمير شُكر بن أبي الفتوح في كتابه العقد الثمين، ج٥، ص١٥.

٤) خالد الجابري: المرجع السابق، ص٥٢٥.

٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٥.

بالأدب والشعر(١).

و أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م الذي كان من أعلام المجاورين بمكة المكرمة، وانصرف إلى التدريس والتأليف هناك، فأقبل عليه طلاب العلم في مكة يدرسون عليه، فضلاً عن طلاب العلم الذين قصدوه من أرجاء العالم الإسلامي للأخذ عنه(٢)، وقد وصف تلميذه يعقوب بن شيرين مجالسه تلك، فقال(٣):

فتى سار في الآفاق ركبان ذكره مـغـربـة طـورًا وطـورًا مـشرقـه
إذا حـل في أرض أتـاه فحـولُها تـفـيد علـومًا حوله متحـلقـه
وإن خاض في شرح العلوم رأيتها لفرط احتشامٍ من معاليه مطرقه
فليس لـه في كل شـرق ومغرب نظير، بنو الدنيا على ذاك مطبقه

وقد اثرى الزمخشري المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات في مختلف العلوم والتخصصات، ومنها المؤلفات التي اختصت بعلوم الأدب، وقد كان لمكة المكرمة نصيبها في أن يصنّف الزمخشري بعض تلك المؤلفات بها، ككتاب « أطواق الذهب » الذي تضمّن مائة مقالة، حيث كان الزمخشري يطوف ببيت الله، فإذا فرغ من الطواف أخذ يكتب مقالة، ثم يعاود الطواف حول البيت، فإذا فرغ من الطواف أخذ يكتب مقالة أخرى، وهكذا حتى انتهى الكتاب بمائة مقالة(٤). وكتاب « ربيع الأبرار ونصوص الأخبار »، وكتاب « نوابغ الكلم»(٥).

---

١) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٥٩-٦٠.

٢) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج١، ص١٢.

٣) هند حسين طه: الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي (٩٣هـ) حتى سقوط الدولة الخوارزمية (٦٢٨هـ)، (الجمهورية العراقية: وزارة الإعلام، ١٩٧٦م)، ص٢١٩.

- هو القاضي يعقوب بن شيرين الجندي، وقيل: يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي الجندلي. كان أحد الأئمة في النحو والأدب، وله شعر حسن. رحل لبخارى، وسمرقند. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته. انظر، السمعاني: الأنساب، ج٢، ص ٩٥؛ الحموي: معجم الأدباء، ج٢٠، ص٥٥؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص ٣٥١.

٤) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج١، ص٢١.

٥) الزمخشري: الكشاف، ج١، ص١٥-١٧.

ويتضح تأثير الزمخشري على فتيان مكة برثائهم له، وقد رثاه أحدهم بقوله(١):

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها حزنًا لفرقة جار الله محمود

ومنهم أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي المتوفى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م العلامة خطيب خوارزم، كان أديبًا فصيحًا مفوهًا، وكان ينشئ الخطب بخوارزم دهرًا، وكان ممن تتلمذ على يد الزمخشري(٢)، ولا ندري إن كان حدوث هذا الأمر بخوارزم أم بمكة المكرمة. وأبو البدر الحسن بن علي الإسكافي المتوفى سنة ٥٩٦هـ /١٢٠٠م كان بارعًا في الأدب، وله تصانيف عدة فيه، وتنقل في الأقاليم الإسلامية، وكان ممن حج وجاور بمكة المكرمة، ثم قصد الشام، فأقام بها مدة، ثم ما لبث أن رحل إلى مصر مستوطنًا إلى أن توفى(٣). وأبو الفتوح نصر بن محمد البغدادي الحصري المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م الذي اشتغل بالأدب(٤).

المطلب الثالث: العلوم الاجتماعية:

اعتنى العلماء بتدريس العلوم الاجتماعية، ومنها: علم التاريخ، وعلم الجغرافيا والرحلات.

- علم التاريخ:

التاريخ علم يبحث عن احوال الطوائف، وبلدانهم، ورسومهم، وعاداتهم، وانسابهم، ووفياتهم، فضلاً عن البحث عن الوقائع بين قبائل العرب، وذلك للوقوف على الأحوال الماضية للعظة والعبرة(٥).

---

١) هند حسين: الأدب العربي في إقليم خوارزم، ص٢٣٠.

٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣١٠-٣١١؛ القفطي: انباه الرواة، ج٣، ص٣٣٢.

٣) الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، (د.ت))، ج١، ص٣٤٢.

٤) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، ج٣، ص٧٠-٧١.

٥) صديق القنوجي: أبجد العلوم، ج٢، ص١٢١، ١٣٧، ١٣٨.

وفي فترة البحث كان لكثير من العلماء والمؤرخين مشاركات فعّالة في كتابة التاريخ العام، وتاريخ المدن الإسلامية، والتأليف في تراجم الرجال والعلماء، مثل: أبي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م الذي صنّف كتاب « تاريخ بغداد أو مدينة السلام »، و أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري المؤذن المتوفى سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م الذي عمل مسودة لتاريخ مرو(١)، وابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م صاحب كتاب « المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ». إلا أن تاريخ مكة المكرمة قد تعرض للإهمال – وقد تم الإشارة إلى ذلك في مقدمة البحث –، حيث لم تلاقِ مكة الاهتمام الكافي من المؤرخين، مما أحدث فجوة مجهولة في تاريخها العلمي والحضاري(٢). ولعل ذلك عائد إلى انتقال العاصمة الإسلامية من الحجاز إلى الشام، ثم إلى العراق، وهذا الأمر كرّس عناية المؤرخين بدراسة دار الخلافة وما يرافق ذلك من تطورات سياسية وحضارية، وإهمال ما سواه، على الرغم من أهمية إقليم الحجاز بالنسبة للمسلمين.

ومع هذا لا ننكر الدور الذي قام به بعض العلماء، واهتمامهم بتدريس علم التاريخ في مكة المكرمة خلال فترة البحث، فقد أشارت المصادر إلى قيام بعض علماء المشرق الإسلامي بإلقاء دروس في هذا العلم.

وفي مقدمة المؤرخين الذين كتبوا في السيرة النبوية أبو ذر عبد الهروي المتوفى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م الذي صنّف كتاب «سيرة النبي ﷺ وأصحابه»، وكتاب «بيعة العقبة»(٣). وأبو طاهر يحيى بن محمد المحاملي البغدادي المتوفى سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م الذي صنّف كتاب «شرف النبي ﷺ»(٤).

أما من كتب في تراجم الرجال والعلماء أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المتوفى سنة٤٣٤هـ / ١٠٤٣م الذي صنّف « فضائل مالك » ، و « كتاب الرجال » ، و « معجم شيوخه ».

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤١٩–٤٢١.

٢) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص٥٣٨.

٣) محمد الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣١–٣٢.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٤٤٦؛ محمد الهيلة: المرجع السابق، ص٣٥.

وأبو معشر عبدالكريم بن عبد الصمد الطبري المتوفى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م صاحب كتاب «طبقات القراء»(١). وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م صاحب كتاب «التعريف بأصحاب رسول الله ﷺ »(٢). وأبو المؤيد موفق الدين بن أحمد الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م الذي صنّف كتاب «مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة »(٣).

وكذلك قام أبو محمد مبارك بن علي البغدادي المعروف بابن الطباخ المتوفى سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م بتدريس كتاب « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » للأزرقي(٤) على طلاب العلم(٥). وأبو بكر بن أبي الفتح بن عمر السجستاني المتوفى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م الذي كان يدرّس كتاب «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» للأزرقي على المهتمين بعلم التاريخ في مكة المكرمة(٦).

- **علم الجغرافيا والرحلات:**

ترتبط الجغرافيا بالرحلات، على اعتبار أن الرحلة هي السبيل الوحيد للمعرفة الجغرافية، ومن هنا جاء اهتمام العلماء المسلمين بهذا العلم؛ إذ اشتهروا بالرحلات – سواء كانت رحلاتهم بدافع الحج أو طلب العلم – .

---

١) محمد الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص٣١-٣٢.

٢) المرجع السابق، ص٣٧.

٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٣١١؛ محمد الهيلة: المرجع السابق، ص٣٨.

٤) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق المكي الأزرقي، كان مؤرخًا وجغرافيًا من أهل مكة، وهو يماني الأصل. روى عن جده، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، وغيرهما. و روى عنه أبو محمد إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي. توفي على الأرجح بعد سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م حسب ما قال محققو كتاب اخبار مكة. انظر، الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص١٣-١٥؛ السمعاني: الأنساب، ج١، ص١٢٢؛ عمر كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٢٩.

٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص١١٩.

٦) المصدر السابق، ج٨، ص١٨-١٩.

وكان الرحالة يسجلون كل ما يشاهدونه في رحلتهم من أحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار، وما يختلف حال السكان باختلافه(١).

فهذا ناصر خسرو بن حارث القبادياني البلخي المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م(٢) قد استهل رحلته المسماة « سفر نامة » التي استغرقت سبع سنوات بدئًا من شهر ربيع الآخر سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م وانتهت الرحلة في جمادي الآخر سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م وقد كتب ناصر خسرو حوادث رحلته، يومًا فيومًا، تشهد بذلك الدقة التي انجلت في وصفه لبعض الأماكن، وما واجهه أثناء حجه. وقد زار ناصر مكة المكرمة أربع مرات، حيث كانت زيارته الأولى لها سنة٤٣٧هـ/١٠٤٥م، واتخذ من سوق العطارين مكانًا لإقامته، وهذا يوضح أن أهل مكة كانوا يبنون في أعلى حوانيتهم غرفًا للإيجار، وكذلك أشار إلى حالة الرعب التي يشعر بها حجاج بيت الله الحرام من الأعراب الذين يتعرضون للحجيج. وأما زيارته الثانية كانت سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م حيث كان مرافقًا للوفد المصري الذي يحمل كسوة الكعبة، فوصف الحالة الاقتصادية لمكة التي كانت تعاني من القحط والجوع والفقر، الأمر الذي دفع بعض المجاورون وسكان مكة للرحيل والتفرق بالبلاد. وكذلك في زيارته الثالثة سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م كان يصحب الوفد المصري المحمل بكسوة الكعبة والعطايا، فأدى فريضة الحج، ولم يغفل ناصر عن ذكر ما تتعرض له قوافل الحجيج من المشاق والصعوبات، ثم بعد انقضاء حج هذا العام غادر إلى مصر وبصحبته أمير مكة شكر بن أبي الفتوح(٣). وأما زيارته الرابعة والأخيرة لمكة فكانت سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، فمكث مجاورًا بها ستة أشهر، وكان من الواضح أن مكوثه طيلة هذا الوقت في مكة، قد انعكس إيجابيًا في وصفه لدقائق الأمور المتعلقة بمكة، فنراه يصف مكة جغرافيًا ، بل وقد تطرق إلى الأسواق المحيطة بالمسجد الحرام ، ولم يغب عن باله أن يشير إلى

---

١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٥٩٠؛ صديق القنوجي: أبجد العلوم، ج٢، ص١٨٠.

٢) محمد محروس عبد اللطيف المدرس: مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية، (بغداد: وزارة الأوقاف احياء التراث الإسلامي، ١٩٧٨م)، ص١٠٢.

٣) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٦، ١٩، ٧٤، ١١١، ١١٢، ١١٣.

صفة العمرة.

كذلك أشار ناصر خسرو إلى وجود حمامات عامة. بالإضافة إلى قيامه بإحصاء تعداد سكان مكة والمجاورون بها(١).

ولم يتوانى على أن يشير إلى أهم موضع بمكة المكرمة ألا وهو المسجد الحرام، فوصف اروقته وابوابه ومناراته ووصف الكعبة المشرفة من الداخل، بالإضافة إلى بابها وغير ذلك. وقد غادر ناصر خسرو مكة يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٤٢هـ/١٠٥١م(٢).

المطلب الرابع: العلوم التطبيقية والبحتة:

لم تحظَ هذه العلوم بالاهتمام من قِبل العلماء في مكة المكرمة خلال فترة البحث، ولعل ذلك راجع إلى إقبالهم على العلوم الشرعية، خاصة بما تمثله دراسة مثل هذه العلوم بمكة، فضلاً عن أن العلماء المختصين بالعلوم التطبيقية لم يستقروا بمكة بعد أدائهم فريضة الحج أو الزيارة، بل فضلوا العودة لبلدانهم لنيل الحظوة والمنزلة المرموقة لدى سلاطينهم وأمرائهم. ولهذا لم يستفد طلاب العلم بمكة من هؤلاء العلماء إلا نزرًا يسيراً أثناء فترة مكوثهم القصيرة بمكة(٣).

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لا يعني خلو مكة المكرمة من هذه العلوم، فقد وجدت دلائل تدل على ممارسة العلوم التطبيقية بها، وأهمها: الطب، والحساب، والفلك.

- **الطب:**

هو علم يبحث في بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض، وأسباب تلك الأمراض التيتنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية(٤).

---

١) ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٢١-١٢٤.

٢) المصدر السابق، ص١٢٦-١٣٣.

٣) خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص٥٦٤.

٤) ابن خلدون: المقدمة، ص٦٠٥.

فالطب من العلوم الضرورية التي يجب على الإنسان معرفتها كونه يخدم الحياة البشرية، ولذا لا نستبعد أن يكون بمكة المكرمة من يمارس هذه المهنة، حتى وإن كان ذلك باستخدام وسائل بدائية، كالعلاج بالأعشاب وغيره، وأكبر دليل على ذلك هو وجود حوانيت العطارين. كما أنه لابد من وجود بيمارستان بمكة المكرمة لمعالجة المرضى، وأيضًا لخدمة ضيوف الرحمن أثناء موسم الحج، ولذا تم وقف بيمارستان المستنصري العباسي سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م(١)، ولكن هذا البيمارستان لم يوجد من عدم بل لابد أن هناك من زاولوا مهنة الطب في منازلهم أو مكان خاص بهم، فكان ذلك نواة لإنشاء البيمارستان، وكذلك لا نستطيع أن نغفل دور قوافل الحج التي يأتي بصحبتها أطباء مجهزين بجميع ما يلزم المرضى من أدوات وأدوية، وتكون أشبه ببيمارستان متنقل.

وفي مقدمة العلماء المشارقة الذين لهم معرفة بالطب في مكة ابن أبي يعلى محمد بن الحسين البغدادي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م صاحب كتاب «الطب»(٢). وعبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي المعروف بابن اللباد، وبابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م الذي زار الحجاز، وكانت له معرفة بالطب، وهو أحد العلماء المكثرين من التصنيف فيه، فصنّف « بلغة الحكيم »، وكذلك شرح أحاديث ابن ماجه المتعلقة بالطب(٣).

وممن مارس الطب في مكة المكرمة خلال فترة البحث أبو الحسن علي بن مسعود البغدادي المتوفى سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م نزيل مكة، وكان يعمل مُجبرًا بالبيمارستان، وبالرغم من أنه توفي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إلا أنه كان قد ناهز المائة من عمره حين وفاته(٤)، وهذا الأمر جعلنا نعده من اطباء مكة المكرمة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

---

١) أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، (بيروت: دار الرائد العربي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٢٦١.

٢) ابن أبي يعلى الفراء: طبقات الحنابلة، ج٣، ص٣٨٤.

٣) باقر أمين الورد: معجم العلماء العرب، ج١، ص٩٤.

٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٢٦٨.

وذكر لنا الذهبي أن أبا مروان عبد الملك بن محمد الإيادي الإشبيلي المتوفى في حدود سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م قد حج وتعلم الطب(١)، وهذا يوضح أنه قد وِجد بمكة المكرمة من يُعلم الطب، وإن لم تذكر المصادر اسماءهم.

- الحساب والفلك:

إن علم الحساب هو علم بقواعد تعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية من الجمع والطرح والضرب والقسمة، والمراد بالاستخراج معرفة كمياتها.

وقد ظهرت الحاجة إليه في ضبط المعاملات، وحفظ الأموال، وقضاء الديون، وقسمة المواريث والتركات– وهو علم الفرائض –، وفي علم الفلك، والمساحة، والطب، وهذا يوضح أهمية هذا العلم بالنسبة لكل العلوم الأخرى(٢).

ومن العلماء الذين برعوا في هذا العلم أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري المتوفى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م الذي قدم إلى مكة المكرمة حاجًا، وكان عالمًا بالرياضيات، وله مقالة في الجبر والمقابلة(٣). وأبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي النصري المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤١م الذي كان إمامًا في عدة فنون منها علمي الفرائض والحساب(٤). وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م صاحب كتاب «الرائض في علم الفرائض»(٥)، وتصنّيفه لهذا الكتاب يدل على معرفته بعلم الحساب. وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن أفضل الزمان المتوفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م الذي كان عالمًا بالحساب والفرائض(٦).

---

١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٠٥.

٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٦٦٢–٦٦٣ ؛ صديق القنوجي: أبجد العلوم، ج٢، ص٢٠١.

٣) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٣٨؛ باقر أمين الورد: معجم العلماء العرب، ج١، ص١٣٥–١٣٦.

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٢٥–٢٦.

٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٨؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٨٨.

٦) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤٣٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٧٧.

وهناك صلة وثيقة بين علم الحساب وعلم الفلك، حيث يحتاج الفلكي إلى علم الحساب والهندسة لمعرفة مواضع وحركات الكواكب، فالزيج مثلاً من الوسائل التي يعتمد عليها الفلكي في ارصاده وأبحاثه(١)، وقد عرفه ابن خلدون بأنه: " صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطءٍ واستقامة ورجوع وغير ذلك، يُعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها(٢)".

وعليه فإن علم الفلك ينظر في حركات الكواكب، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك(٣). وكانت هناك عدة عوامل دفعت المسلمين للاهتمام بهذا العلم، كمعرفة مواقيت الصلوات الخمس، ومعرفة بداية الشهور ونهايتها، وذلك لارتباطها ببعض العبادات كالصوم والحج، ولا غرو أن وجدنا بمكة المكرمة وظيفة المؤذن الزمزمي الذي كان يعلن وقت الإمساك في رمضان(٤)، وبلا شك أن هذا الأمر كان يحتاج إلى دراسة علم الفلك، لمعرفة وقت الزوال والإمساك.

وفي مقدمة العلماء الذين تواجدوا في مكة خلال فترة الدراسة أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري المتوفى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م الذي كان عالمًا بالفلك(٥).

أما أبرز المؤذنون في المسجد الحرام – الذين بالتأكيد لديهم معرفة بعلم الفلك – خلال فترة الدراسة، فهما أبو محمد عبد السلام بن أبي المعالي بن أبي الخير بن ذاكر الكازروني المتوفى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م(٦). ومحمد بن عرفة بن محمد الأصبهاني المعروف بعبود المؤذن على قبة بئر زمزم الذي كان حيًا سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م(٧).

---

١) سعد البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص٤٧٧.

٢) المقدمة، ص٦٠٠.

٣) المصدر السابق، ص٥٩٩.

٤) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج١، ص١٨٤.

٥) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٣٨؛ باقر أمين الورد: معجم العلماء العرب، ج١، ص١٣٦.

٦) النجم بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٩؛ فوزي ساعاتي: أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام، ص١١٩.

٧) فوزي ساعاتي: المرجع السابق، ص١٢٣.

ونخلص إلى القول في هذا الفصل أن وجود علماء المشرق الإسلامي في مكة المكرمة كان له دور فاعل وأثر إيجابي بالغ في انتعاش الحياة العلمية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، بل استطاع هؤلاء العلماء بوجودهم أن يسدوا الثغرة التي أسفرت عن هجرة العلماء المكيين وتفرقهم في الأمصار الإسلامية.



الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه، انتهى موضوع البحث الذي تناول أثر المشرق الإسلامي على الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ويمكن استنتاج ما يلي:

١- كانت مكة المكرمة مسرحًا للنزاع بين العباسيين والفاطميين، فضلاً عن النزاعات الداخلية التي كانت تنشب بين الحين والآخر بين الأشراف أنفسهم حكام مكة، ناهيك عن تلك الاعتداءات على الحجاج للسلب والنهب والقتل أيضًا، مما عرقل سير مناسك الحج في بعض السنوات.

٢- اتضح جليًا أن امراء مكة انشغلوا بالتنافس فيما بينهم على سدة الامارة، ولم يعنوا بإدخال الإصلاحات في بلادهم مما أدى إلى إضعاف شأنها وتأخيرها ماديًا وعلميًا.

٣- نشطت وتنامت حركة الرحلات العلمية من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة، وأصبحت مكة بحكم موقعها الجغرافي ومكانتها الروحية حلقة وصل بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ووفد إليها خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين عدد كبير من مشاهير العلماء تجاوز عددهم المائتين على اختلاف اختصاصاتهم، ومن الملاحظ أن الأغلبية الساحقة من هؤلاء العلماء كانوا من ذوي التخصصات الشرعية، حيث إن هذه العلوم هي السائدة في تلك الفترة، وكان سبب وفودهم سعيهم في طلب العلم ولقاء الشيوخ والإفادة منهم، وآثر بعضهم البقاء والمجاورة في مكة مما هيأ مناخًا جيدًا لتلاقح الأفكار وازدهار العلوم. كما كان لتلك الرحلات دورها في تعزيز وتقوية الأواصر بين أبناء الأمة الإسلامية.

٤- لقد تبين من خلال البحث أن هذه الفترة – أي القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين– وصفت بأنها عصر ضعفت فيه الحركة العلمية بمكة المكرمة، وهذا كلام جائر بعيد عن الحقيقة؛ وذلك لأنه لا يتواءم مع ما رأيناه في هذين القرنين من غزارة العلم والتأليف، إضافة إلى وجود الكثير من العلماء بمكة، حتى أن بعضهم قد بلغ شأنًا عاليًا في تخصصه، مثل: أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري، وأبي ذر عبد بن أحمد الهروي ، وكريمة بنت أحمد المروزية، وأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، وأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ولا ريب في أن هذا الأمر جعل طلاب العلم يشدون رحالهم لمكة المكرمة للقاء هؤلاء العلماء.

٥- إن بعض الأوقاف التي وجدت في مكة المكرمة كالأربطة والمدارس قد وفرت لنزلائها أماكن للإقامة، مما جعل طلاب العلم والعلماء يبذلون طاقة جهدهم للتفرغ للعلم دون حاجة للتفكير في معاشهم.

٦- أن الأربطة التي أوقفت في مكة تنوعت فيما أوقفت له، فنجد أن بعضها قد أوقف لأبناء إقليم بعينه، كرباط الزرندي، وربط الأخلاطي، والبعض الآخر قد أوقف على بعض المذاهب الفقهية، كرباط الزنجبيلي، والبعض الآخر أوقف على الصوفية، كرباط أم الخليفة- العطيفية- ، ورباط الخاتون، والبعض الآخر أوقف على العلماء والقراء والفقراء، كرباط الدمشقية.

٧- تمتع العلماء بمكانة عالية في مكة المكرمة، حيث أوكل لبعضهم مناصب هامة بالمسجد الحرام من إمامه وخطابة وإفتاء، مثل: علي بن الحسن البلخي، ومحمد بن عمر البخاري، وأبي المظفر محمد بن علي الشيباني الطبري، وأبي جعفر أحمد بن أبي بكر الطبري.

٨- شجع علماء المشرق الإسلامي الحركة العلمية في أغلب جوانبها من خلال مساهماتهم المباشرة في الكثير من الميادين العلمية والأدبية، وكذلك مزاولتهم لمهنة النسخ والوراقة، مثل: أبي الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي، وأبي محمد المبارك بن علي الطباخ البغدادي.

٩- شارك العلماء القادمون من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة في الحياة العلمية والأدبية، وبرز فيهم عدد من المشاهير ممن ذاع صيتهم كالزمخشري، بل وقد برزت إحدى الأسر القادمة من تلك البلاد بكونها إحدى الأسر العلمية العريقة التي ساهم أبناؤها في دفع الحركة العلمية من خلال نتاجاتهم العلمية وتوليهم للعديد من المناصب القضائية والتدريس والإمامه بالمسجد الحرام.

١٠- كانت المدارس من المراكز العلمية التي ظهرت فترة الدراسة في مكة المكرمة، واختصت كل مدرسة بتدريس مذهب بعينه.

١١- عرفت مكة المكرمة المكتبات بنوعيها الخاصة والعامة، وتمثل ذلك في مكتبات العلماء الخاصة، وخزائن الكتب في المسجد الحرام – التي تعتبر نواة لما عُرف فيما بعد بمكتبة الحرم المكي الشريف –، والمكتبات التي أنشأها القائمون على الأربطة.

١٢- شهدت مكة المكرمة كغيرها من البلاد الإسلامية اهتمامًا واضحًا بالعلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه، وذلك بسبب وجود المسجد الحرام بها، وما تمثله مكة في نفوس المسلمين.

١٣- أتضح جليًا أن للمشرق الإسلامي تأثيرات علمية مثمرة على الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وذلك من خلال ما ينشره العلماء القادمون من أقاليم المشرق الإسلامي من علوم ومعارف في أوساط أبناء مكة أو في طلاب العلم الموجودين في مكة من أبناء الأمصار الإسلامية الأخرى.



الملاحق

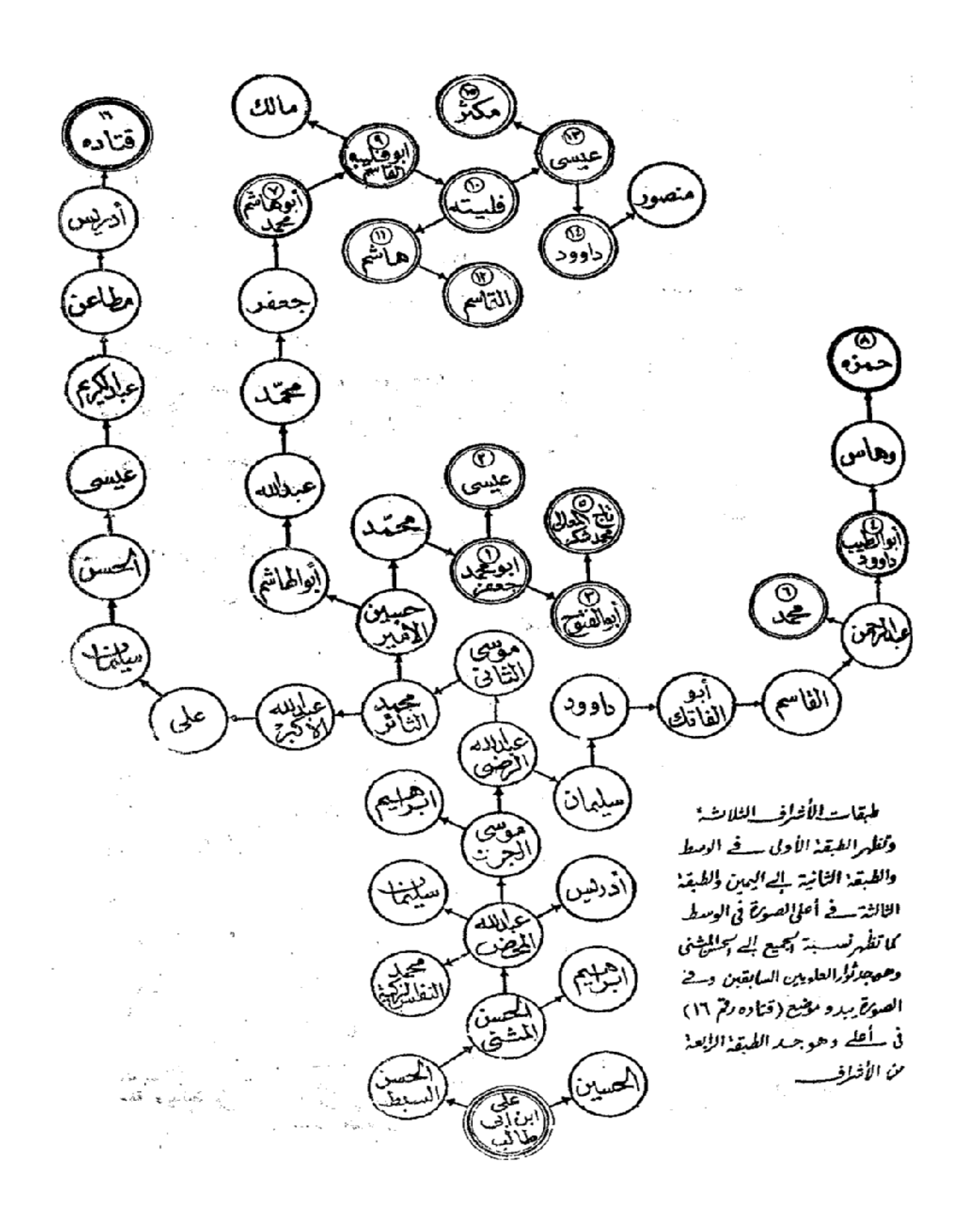
ملحق رقم (١)

تعدد المقامات في المسجد الحرام



ملحق رقم (٢)

طبقات الأشراف حكام مكة(١)

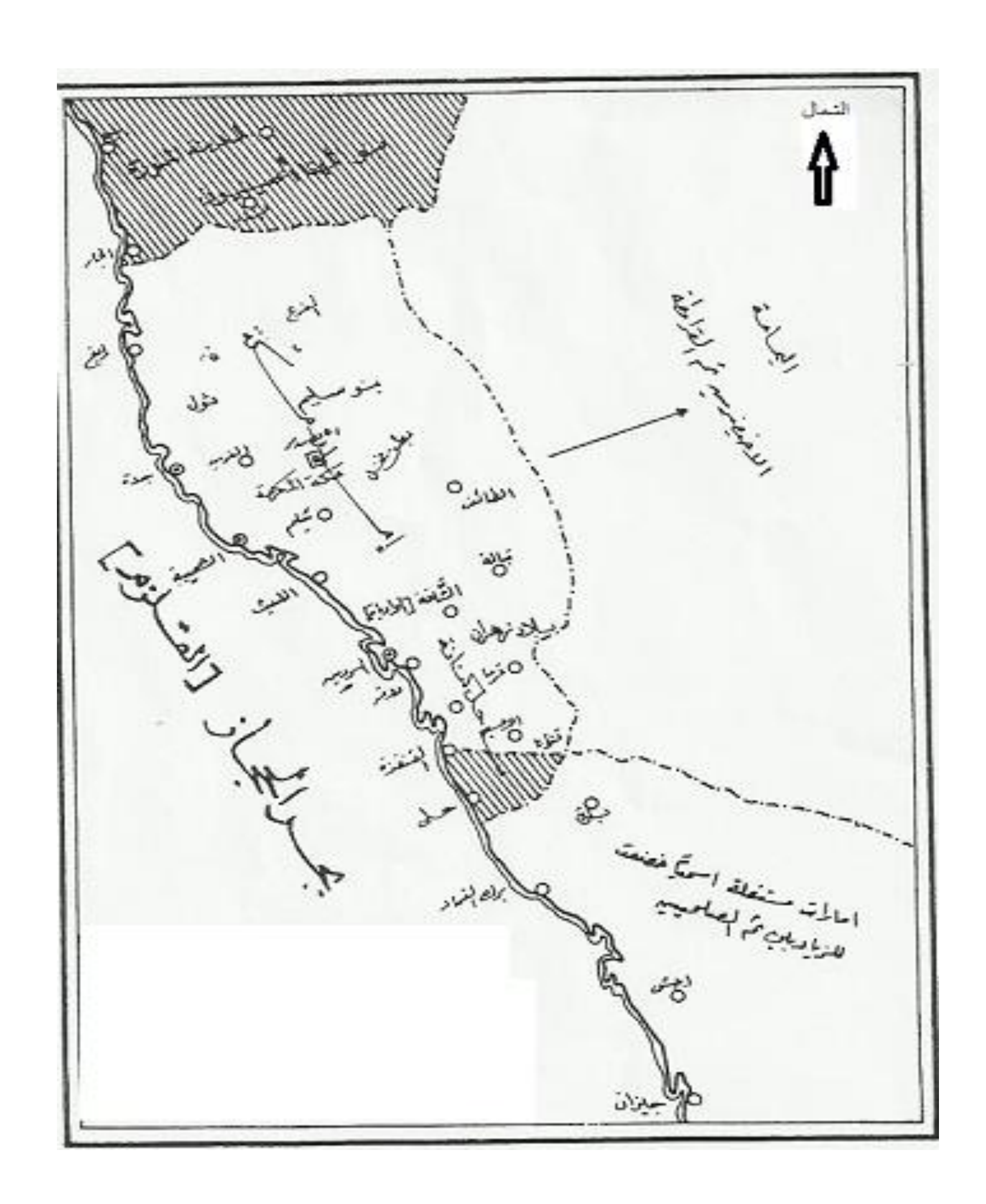


---

١) أحمد السباعي: تاريخ مكة ، ج١، ص١٧٣.

ملحق رقم (٣)

حدود امارة مكة المكرمة في القرن الخامس الهجري(١)

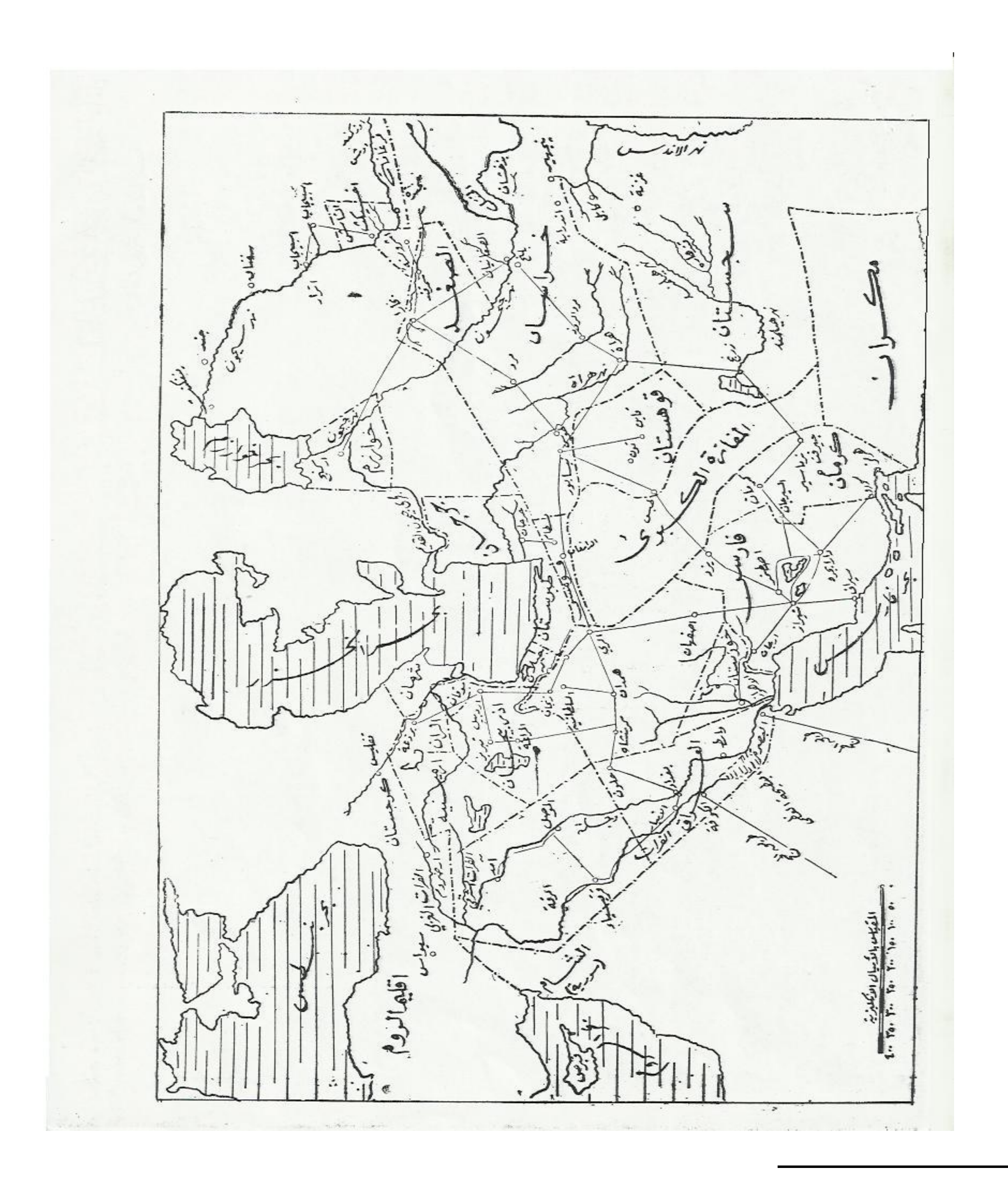


---

١) أحمد الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص٢١٧.

ملحق رقم (٤)

أقاليم المشرق الإسلامي(١)



---

١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٦.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

❖ ابن ظهيرة، محمد جار الله ابن أمين القرشي(ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م).

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، ١/٢٠ د.تاريخ.

❖ مؤلف مجهول.

- نبذة لطيفة تحتوي على ما يتعلق بالبيت الشريف والمسجد الحرام، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، ٢٨ تاريخ.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

❖ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

- التكملة لكتاب الصلة، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

❖ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م).

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

❖ الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م).

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

❖ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م).

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

❖ الأسنوي، عبدالرحيم (ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م).

- طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

❖ الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ومحمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١ هـ/١٩٦١م.

❖ ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ/١١٨١م).

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد، مكتبة الأندلس، ط٢، ١٩٧٠م.

❖ الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م).

- دُمية القصر وعُصرة أهل العصر، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، بيروت، دار الفكر العربي، (د.ت).

❖ بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي الشافعي (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م).

- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، عني به بو جمعه مكري، وخالد زواري، جدة، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

❖ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م).

- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ذيل كتاب تاريخ ابن الفرضي، قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

❖ ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه وقدم له علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، (د.ت).

❖ البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م).

- الفرقُ بين الفرق، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

❖ البيهقي، ظهير الدين (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م).

- تاريخ حكماء الإسلام، عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

❖ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).

- الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٨م.

❖ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

❖ ابن جبير، أبو الحسين محمد الكناني (ت٦١٤هـ/١٢١٧م).

- رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، (د.ت).

❖ ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ/١٤٣٠م).

- غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشره ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

❖ الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصاري (من أهل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي).

- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

❖ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م).

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

❖ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي (ت١٠٦٨هـ/١٦٥٨م).

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م).

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٤، (د.ت).

❖ الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
- معجم الأدباء، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.
❖ الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
❖ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت بعد٣٦٧هـ/٩٧٨م).
- كتاب صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م.
❖ ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م).
- تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
❖ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م).
- الكفاية في علم الرواية، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، خرّج أحاديثه وعلّق عليه أبو عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت).
❖ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة،(د.ت).
❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د . ت).

❖ الداودي، شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد (ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م).

- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٢٧م.

❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

❖ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

❖ ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٣م).

- الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، بغداد، مطبعة العاني، (د.ت).

❖ السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت٧٧١هـ/١٣٧٠م).

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق مصطفى عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

❖ ابن سحنون، محمد بن عبد السلام (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م).
- كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمد عبد المولى، الجزائر، مطبعة الرأي الجديد، ١٩٦٩م.
❖ السخاوي، شمس الدين محمد عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م).
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
❖ السمعاني، عبدالكريم بن محمد ابن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م).
- أدب الأملاء والاستملاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، (د.ت).
❖ السنجاري، علي بن تاج الدين بن تقي الدين (ت١١٢٥هـ/١٧١٣م).
- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، دراسة وتحقيق جميل عبد الله محمد المصري، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
❖ السهمي، حمزة بن يوسف بن إبراهيم (ت٤٢٧هـ/١٠٣٦م).
- تاريخ جرجان، بيروت، عالم الكتب، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
❖ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، دار احياء السنة النبوية، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- الإتقان في علوم القرآن، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر، راجعه مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- التحبير في علم التفسير، تحقيق زهير عثمان علي نور، قطر، مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١،

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- تُحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب، تحقيق حسن الملخ، وسهى نعجة، إربد، عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

❖ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م).

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين (المعروف بالذيل على الروضتين)، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٧٤م.

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

❖ الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م).

- طبقات الفقهاء، تصحيح ومراجعة خليل الميس، بيروت، دار القلم، (د.ت).

❖ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م).

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

❖ طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ/١٥٦١م).

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

❖ الطبري، علي بن عبد القادر (ت١٠٧٠هـ/١٦٦٠م).

- الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، إشراف سعيد عبد الفتاح، تحقيق أشرف أحمد الجمال، مكة المكرمة، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

❖ ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، قدم له عبد الكريم الخطيب، القاهرة، المطبعة الفنية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

❖ ابن عبدربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير الأندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م).

- العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ.

❖ العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م).

- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت).

❖ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)

- قانون التأويل، دراسة وتحقيق محمد السليماني، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

❖ العز بن فهد، عبدالعزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م).

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

❖ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)

- تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

❖ ابن علي، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت بعد١٠٠٩هـ/١٦٠٠م).

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زياده، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

❖ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر و محمود الأرناؤوط، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

❖ ابن عنبة، أحمد بن علي الحسيني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٥م).

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني، النجف، المطبعة الحيدرية، ط٢، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

❖ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/١١١١م).

- إحياء علوم الدين، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

❖ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي(ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م).

- العقد الثمين، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

❖ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

- تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، علق عليه ووضع هوامشه محمود ديّوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

❖ ابن الفرضي، ابن الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م).

- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

❖ النجم بن فهد، عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م).

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

❖ الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م).

- القاموس المحيط، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

❖ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م).

- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د.ت).

❖ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

- انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

❖ القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).

- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٦٤م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

❖ القيسي، مكي بن أبي طالب حموش (ت ٤٣٧هـ/١٠٤٥م).
- الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م.

❖ الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت).

❖ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحفيظ منصور، بيروت،دار المدار الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٤م.
- البداية والنهاية، تحقيق مصطفى بن العدوي، المنصورة، دار ابن رجب، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

❖ ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م).
- سنن ابن ماجه جمع جوامع الأحاديث والأسانيد ومكنز الصحاح والسنن والمسانيد، القاهرة، جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٢١هـ.

❖ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).
- أدب الدنيا والدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

❖ ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م).
- كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط٢، (د.ت).

❖ ابن المجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م).
- تاريخ المستبصر، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.

❖ المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٤م).

- السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط١، ١٩٧٣م.

❖ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

❖ المقري التلمساني، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م).

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

❖ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).

- اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.أما الجزء الثاني فتحقيق محمد حلمي محمد أحمد، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

❖ المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

❖ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م).

- لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م).

- سفر نامه رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، نقلها إلى العربية يحي الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٧٠م.

❖ النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م).

- صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

❖ الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م).

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء [الذهب والفضة]، تحقيق ودراسة أحمد فؤاد باشا، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

❖ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م).

- كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

❖ ابن أبي يعلى الفراء، محمد البغدادي الحنبلي (ت٥٢٦هـ/١١٣٢م).

- طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة:

❖ أحمد، منير الدين.

- تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

❖ الألوسي، السيد محمود شكري البغدادي.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

❖ أمين الورد، باقر.

- معجم العلماء العرب، راجعه كوركيس عواد، الجمهورية العراقية، اللجنة الوطنية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ باسلامة، حسين عبدالله.

- تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، جدة، تهامة، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

❖ باقاسي، عائشة بنت عبدالله.

- بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م، مكة المكرمة، دار مكة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

❖ البركاتي، طلال بن شرف بن عبدالله.

- المسكوكات العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري مع دراسة لمجموعة من القطع النقدية المعدنية المحفوظة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.

❖ البشري، سعد بن عبد الله.

- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ٤٢٢- ٤٨٨هـ/ ١٠٣٠-١٠٩٥م، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

❖ البغدادي،إسماعيل باشا.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

❖ البلادي، عاتق غيث.

- معالم مكة التاريخية والأثرية، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

❖ البنكاني، ماجد.

- رحلة العلماء في طلب العلم، عمّان، دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

❖ الجابري، خالد محسن.

- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ الجاسر، حمد.

- أشهر رحلات الحج، الرياض، منشورات دار الرفاعي، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ جبر، حسن.

- أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، الكويت، دار الكتاب الحديث، ط١، ١٩٩٨م.

❖ الجحمة، نواف عبدالعزيز.

- رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، أبوظبي، دار السويدي، ط١، ٢٠٠٨م.

❖ ابن جريس، غيثان بن علي.

- دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري السابع الميلادي إلى السادس عشر الميلادي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

❖ الحرازي، حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري ، والجهيني، حسن سليمان محمود.

- الصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة٢٦٧هـ إلى سنة٦٢٦هـ)، صنعاء، منشورات المدينة، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

❖ حسين، جميل حرب محمود.

- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، جدة، الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

❖ حلاق، محمد صبحي بن حسن.

- الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

❖ حمزة، محمد.

- نشأة الفرق الإسلامية، دمشق، دار قتيبة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

❖ الخضري بك، محمد.

- تاريخ التشريع الإسلامي، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط٩، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

❖ أبو الخير، عبد الله مرداد.

- المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق محمد سعيد العامودي، وأحمد علي ، جدة، عالم المعرفة، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ ابن دهيش، منيرة عبد الملك.

- دور المسجد في القرن الأول الهجري في الحجاز والشام دراسة تاريخية حضارية، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

❖ رفعت باشا، إبراهيم.

- مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

❖ راوة المكي، عبد الفتاح بن حسين.

- جداول تاريخ أمراء البلد الحرام مكة المكرمة من عصر النبي ﷺ حتى عصرنا الحاضر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م مُعززة بالخرائط والصور، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

❖ الزرقاني، محمد عبد العظيم.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

❖ الزركلي، خير الدين.

- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٧، ٢٠٠٧م.

❖ الزهراني، ضيف الله بن يحيى.

- زيف النقود الإسلامية، مكة المكرمة، ط١،١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

❖ الزهراني، ضيف الله بن يحيى ، وغباشي، عادل محمد نور.

- تاريخ مكة المكرمة التجاري، مكة المكرمة، الغرفة التجارية الصناعية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

❖ الزهراني، علي بن محمد بن سعيد.

- الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (٢١٢- ٤٨٤هـ/ ٨٢٦- ١٠٩١م)، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

❖ الزيلعي، أحمد عمر.

- مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١-٤٨٧هـ، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط٢،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

❖ الساداتي، أحمد محمود.

- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، القاهرة، دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م.

❖ السباعي، أحمد.

- تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكة المكرمة، مطابع دار قريش، ط٣، ١٣٨٥هـ.

❖ سرور، محمد جمال الدين.

- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.

❖ السليمان، علي بن حسين.

- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

❖ السنيدي، عبد العزيز بن راشد.

- الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ السيف، عبدالله محمد.

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

❖ شافعي، حسين عبد العزيز حسين.

- الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي " دراسة تاريخية حضارية "، مراجعة عباس صالح طاشكندي، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

❖ الشامخ، محمد عبد الرحمن.

- التعليم في مكة المكرمة والمدينة آخر العهد العثماني، الرياض، دار العلوم، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

❖ الشريف، أحمد إبراهيم.

- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، (د.ت).

❖ شلبي، أحمد.

- التربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٧٨م.

❖ بدر شيني، أحمد هاشم أحمد.

- مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين (دراسة مقارنة) ، المدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

❖ الصباغ، محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي.

- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، طبع على نفقة المحقق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

❖ الصبحي، يوسف بن محمد بن داخل.

- وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم (تراجم أئمة وخطباء المسجد الحرام عبر العصور)، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ ضيف، شوقي.

- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف، ط٨، (د.ت).

- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٦م.

❖ طراوه، حجازي علي.

- دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهد الراشدين والأمويين، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ الطنطاوي، محمد.

- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، راجعه وعلق عليه سعيد محمد اللحام، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

❖ طه، هند حسين.

- الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي (٩٣هـ) حتى سقوط الدولة الخوارزمية (٦٢٨هـ)، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، ١٩٧٦م.

❖ عبد الله، عبد الرحمن صالح.

- تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الفكر، (د.ت).

❖ عبيدات، محمود سالم.

- تاريخ الفرق وعقائدها،(د.ت).

❖ عسيري، مريزن سعيد مريزن.

- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٩٨٧م.

❖ العقيلي، محمد بن أحمد.

- تـاريخ المخـلاف السـليماني، الريـاض، دار اليمامـة للبحـث والترجمـة والنشـر، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

❖ العكش، إبراهيم علي.

- التربية والتعليم في الأندلس، عمّان، دار الفيحاء، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ علي، سعيد إسماعيل.

- معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م.

❖ عمر، أحمد مختار عبدالحميد وآخرون.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

❖ عنقاوي، فؤاد عبد الحميد.

- مكة.. الحج والطوافة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

❖ عيسى بك، أحمد.

- تـاريخ البيمارسـتانات في الإسـلام، بـيروت، دار الرائـد العـربي، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

❖ الغازي، عبدالله بن محمد المكي الحنفي.

- إفـادة الأنـام بـذكر أخبـار بلـد الله الحـرام مـع تعليقـه المسـمى بإتمـام الكـلام، تحقيـق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة الأسدي، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

❖ الفاسي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي.

- الفكـر السـامي في تـاريخ الفقـه الإسـلامي، المدينـة المنـورة، المكتبـة العلميـة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

❖ القحطاني، سعيد بن عبدالله بن بنية.

- تجـارة الجزيـرة العربيـة خـلال القـرنين الثالـث والرابـع للهجـرة التاسـع والعاشـر للميلاد،الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

❖ القطان، مناع.

- مباحث في علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د.ت).

❖ القنوجي، صديق بن حسن.

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

❖ كحالة، عمر رضا.

- معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون،ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

❖ اللميلم، عبدالعزيز محمد.

- رسالة المسجد في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

❖ لوبون، غوستاف.

- حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

❖ ماجد، عبد المنعم.

- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٤، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ مالكي، سليمان عبد الغني.

- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد (من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

❖ متز، آدم.

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابو ريده، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

❖ محفوظ، حازم.

- ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

❖ محيسن، محمد سالم.

- معجم حُفاظ القرآن عبر التاريخ، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

❖ المدرس، محمد محروس عبد اللطيف.

- مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية، بغداد، وزارة الأوقاف احياء التراث الإسلامي، ١٩٧٨م.

❖ المزيني، إبراهيم بن محمد الحمد.

- الحياة العلمية في العهد الزنكي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

❖ المشيقح، إبراهيم بن حمود.

- تاريخ أم القرى ومكانة المرأة العلمية فيها من خلال " الدرّ الكمين " لابن فهد، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

❖ مصطفى، شاكر.

- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، ط١، ١٩٨٨م.

❖ معتوق، رشاد بن عباس.

- الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٥- ١٠٥٥م، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

❖ معروف، ناجي.

- المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، بغداد، جامعة بغداد، ط٢، ١٩٧٥م.

- أصالة الحضارة العربية، بيروت، دار الثقافة، ط٣، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

❖ وائلي، خير الدين.

- المسجد في الإسلام، الكويت، الدار السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

❖ النمر، عبد المنعم.

- تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة، دار العهد الجديد للطباعة، ط١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

❖ نواب، عواطف محمد يوسف.

- الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة تحليلية مقارنة –، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

❖ هنتس، فالتر.

- المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمّان، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، ط٢، ٢٠٠١م.

❖ هورخرونيه، ك. سنوك.

- صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلّق عليه محمد محمود السرياني، و معراج نواب مرزا، راجعه محمد إبراهيم علي، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

❖ الهيلة، محمد الحبيب.

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر " جمع وعرض وتعريف "، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٩٩٤م.

رابعًا: الأبحاث والدوريات والصحف:

❖ إبراهيم، سمية حسن محمد.

-"منزلة العلم في الإسلام اهتمام الإسلام بالعلم وحثه على طلبه وبيان حقوق العلماء وآداب حملته". بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ. المحور الثالث.

❖ البركاتي، ناصر عبد الله سلطان.

-"التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف". مجلة العصور. المجلد الثاني. الجزء الثاني. ذو القعدة ١٤٠٧هـ/ يوليو ١٩٨٧م.

❖ الجاسر، حمد.

-"في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج". مجلة العرب. السنة العاشرة. الربيعان ١٣٩٦هـ/ مارس- أبريل ١٩٧٦م. ج٩-١٠.

❖ أبا حسين، علي.

-" مكة المكرمة مركز الدعوة العباسية ونبذة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها ". التاريخ العربي. العدد الرابع والثلاثون. ربيع١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

-" الحالــة الثقافيــة في مكــة أيــام العباســيين " . الوثيقة.الســنة ٢٥.العــدد ٤٩. ذو الحجة١٤٢٦هـ/ يناير٢٠٠٦م.

-" صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة أيام العباسيين". الوثيقة، العدد الخمسون. السنة الخامسة والعشرون. جمادى الثانية ١٤٢٧هـ/ يوليو ٢٠٠٦م.

❖ الخطيب، ياسين بن ناصر.

-" أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة ". بحث منشورضمن بحوث مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية الذي تنظمه جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ.

❖ الدهاس، فواز بن علي.

- " المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ". مجلة الجمعية التاريخية السعودية. العدد الثاني. السنة الأولى. ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م.

❖ ابن دهيش، عبد اللطيف بن عبد الله.

- " التعليم في الحرمين الشريفين عبر العصور" .بحث منشور ضمن بحوث جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. اللقاء العلمي السنوي الثالث للجمعية. مسقط- جامعة السلطان قابوس. محرم- صفر ١٤٢٢هـ/ إبريل ٢٠٠١م.

- " مكتبة الحرم المكي الشريف عبر العصور".بحث منشور ضمن بحوث جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. اللقاء العلمي السنوي الرابع للجمعية. الشارقة- الإمارات العربية المتحدة. ٣-٥ صفر ١٤٢٣هـ/ ١٦-١٨ إبريل ٢٠٠٢م.

❖ أبو زيد، سهام مصطفى.

- "الرحلة في طلب العلم إلى مكة المكرمة من خلال الرحالة ابن حوقل (عام ٣٣١هـ/٩٤٢م)". بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. المحور التاسع.

❖ ساعاتي، فوزي محمد عبده.

- " أسماء من تولى الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام من خلال كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م". بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. المحور الثاني.

❖ السنيدي، عبد العزيز.

- " المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ/ ١١٧٤-١٢٦١م)". بحث منشور ضمن الأبحاث المقدمة إلى الندوة الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ. المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة. خلال الفترة من ١٣-١٥/ ٨/ ١٤٢٦هـ الموافق ١٧-١٩/ ٩/ ٢٠٠٥م. المحور الثالث.

-" أثر مكة العلمي على بلاد اليمن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٧٠-٩٢٣هـ/ ١١٧٤- ١٥١٧م)". مجلة الدرعية. السنة ٩. العددان ٣٤-٣٥. جمادى الآخرة – رمضان ١٤٢٧هـ/ يوليو – أكتوبر ٢٠٠٦م.

❖ ششن، رمضان.

- "نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والورَّاقين في التاريخ الإسلامي". مجلة التاريخ العربي. العدد ٣٢. خريف ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

❖ عباس، جاسم.

- " سبزوار في خراسان مدينة الفقهاء.. والفواكه المجففة". جريدة القبس.العدد ١٤١١٤. بتاريخ ٢٧شوال١٤٣٣هـ/١٤سبتمبر٢٠١٢م.

❖ عدوان، أحمد محمد.

- " عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك ٦٤٨هـ -٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م".مجلة الجمعية التاريخية السعودية. العدد الخامس. السنة الثالثة. ذو القعدة ١٤٢٢هـ/يناير٢٠٠٢م.

❖ أبو العلا، إبراهيم عبدالمنعم سلامة.

- " الجرجانيون والحياة الثقافية والاجتماعية بمكة المكرمة حتى بدايات القرن الخامس الهجري". بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ. المحور الثاني.

❖ الفرفور، محمد عبد اللطيف صالح.

- " أدب الإجازات عند علماء المسلمين ". مجلة الفيصل. العدد ٧٩. السنة ٧. أكتوبر/ نوفمبر ١٩٨٣م.

❖ فهد، بدري محمد.
- "دور الورّاقين في نشر المعرفة". مجلة الذخائر. السنة ٣. العدد٩. شتاء ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
❖ مداح، أميرة بنت علي.
- " دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ". بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ.
❖ مراد، حسين سيد عبدالله.
- " المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين (٥٦٧- ٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)" . المجلة التاريخية المصرية. المجلد ٣٨. ١٩٩١- ١٩٩٥م.
❖ المزروع، وفاء بنت عبدالله سليمان.
- " إسهام الرحّالة والمجاورين على الرحلة العلمية بمكة المكرمة من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري". بحث منشور ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. المحور التاسع.
❖ المنيع، عبد الله بن سليمان.
- "بحث في تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة ". مجلة البحوث الإسلامية. العدد ٥٩. ذو القعدة – صفر ١٤٢٠هـ/١٤٢١هـ.
❖ الوراكلي، حسن.
- " أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين". بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية الذي تنظمه جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ.

خامسًا: الرسائل العلمية:

❖ إبراهيم، عطيه طه عبد العزيز.

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة القاهرة. كلية الآداب. قسم التاريخ. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ باقاسي، عائشة عبدالله عمر.

- مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري دراسة تاريخية حضارية. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. ١٤١٣- ١٤١٤هـ.

❖ البدنه، خلود عبد الباقي إبراهيم.

- الأسر العلمية في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م). رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

❖ الدهاس، مشعل نايف عايض.

- الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

❖ السالمي، عبدالحفيظ بن حمدي بن حامد.

- الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. ١٤٢٤-١٤٢٥هـ.

❖ السفياني، هدى بنت جبير.

- الحياة العلمية في الري وإقليم الجبال في العصر البويهي (٣٣٠-٤٢٠هـ/ ٩٤١-١٠٢٩م). رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.

❖ الصباغ، نجلة قاسم.

- بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القاهرة. كلية الآداب.١٩٦٩م.

❖ صديق، آمال رمضان عبدالحميد.

- الحياة العلمية في مكة (١١١٥هـ-١٣٣٤هـ)-(١٧٠٣م-١٩١٦م). رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية. ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.

❖ الضيف، هند بنت عبد العزيز محمد.

- مؤدبو أبناء الخلفاء في الدولة العباسية وأثرهم على الحياة العلمية والاجتماعية (١٣٢هـ – ٣٣٤هـ/ ٧٤٩م — ٩٤٥م). رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الملك عبد العزيز. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم التاريخ. ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.

❖ المصنف، عبد الرحمن أحمد حفظ الدين.

- الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة صنعاء. كلية الآداب. قسم التاريخ. ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.

❖ الهمزاني، بندر محمد رشيد.

- علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم ٤٥٦- ٥٩٧هـ/ ١٠٦٣-١٢٠٠م . رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة أم القرى. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م.

سادسًا: الموسوعات:

❖ دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، القاهرة، دار الشعب، (د.ت).

❖ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

سابعًا: الوسائل المساعدة – الشبكة العنكبوتية –:

❖ موقع الدكتورة رقية المحارب www.dr-roqaia.com



فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة